



دكتور

خالد إسماعيل حسان



42 Opera Square - Cairo Tel: (202)23900868

مكتبة الآداب

٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة - ت : ٢٣٩٠٠٨٦٨

في اللسانيات العربية المعاصرة

د. خالد إسماعيل حسان

مكتبة الآداب

في اللسانيات العربية المعاصرة

يضم كتاب «في اللسانيات العربية المعاصرة» أربعة فصول: ● **الأول:** بعنوان **«علم الأصوات»** فيعرض بشكل فيه إيجاز وتيسير على القاريء لمخارج الحروف مستفيدًا من قرارات الجمعية الدولية للأصوات حتى سنة ۲۰۰۰م، كما تناول علاقة الأصوات بعلم التجويد من خلال بعض النماذج التي عرضها، كما عرض لوظائف الصوت اللغوي؛ المقاطع الصوتية، والنبر، والتنغيم، والمفصل، ثمّ اهتم بمستويات التحليل اللغوي؛ الأصوات، والصرف، والنحو، والدلالة.

● **وفي الفصل الثاني «اللهجات العربية في القراءات الشاذة»** تناول العلاقة المتقاطعة بين علم الأصوات والقراءات الشاذة واللهجات العربية القديمة، فيكشف دور القراءات الشاذة في قواعد اللغة العربية، فقد تكون القراءة الشاذة أبعد تاريخيًا من القراءة الصحيحة، و ذلك لون يكشف لنا تاريخ اللغة العربية من خلال نصّ قرآني صحيح. ● وأما موضوع **الفصل الثالث فهو الإشباع الصوتي في اللغة العربية وأثره في المعجم**، وعلى حدّ علمي لم يظهر بحث علمي مستقل يدرس علاقة الإشباع الصوتي بالدلالة والمعجم العربي، فهذا الفصل محاولة جديدة وجادّة في بابه ● **ثمّ يأتي الفصل الرابع فيدرس ظاهرة الكراهة في** الل[illegible] قضايا التي وصفها النحاة وا[illegible] التحليل والمناقشة، لرصد ال[illegible] القرآن والحديث والأدب العربي. وفي خاتمة كل فصل يعرض هذا الكتاب أظهر النتائج التي توصل إليها.

في

اللسانيات العربية المعاصرة

تاليف

الدكتور خالد إسماعيل حسّان

Editions
Al-Adab
1923
42 Opera square - Cairo – Egypt

الناشر
مكتبة الآداب
٤٢ ميدان الأوبرا – القاهرة ت: ٣٩٠٠٨٦٨
البريد الإلكتروني e.mail adabook@hotmail.com



دار الكتب المصرية
فهرسة إثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

حسان ، خالد إسماعيل .

في اللسانيات العربية المعاصرة / تأليف خالد إسماعيل حسان

. ـ القاهرة:مكتبة الآداب، ٢٠٠٨.

مج ٤؛ ٢٤سم.

تدمك ٥ ٢٠٠ ٤٦٨ ٩٧٧ ٩٧٨

١ـ اللغة العربية ٢ـ اللغة ، علم

أ ـ العنوان

٤١٠

رقم الإيداع / ٢٠٠٥٦/٢٠٠٨

مُقَدِّمَة

الحمد لله، ولاء لذاته، وإقرارًا بنعمته، والصلاة والسلام على نبيه محمدٍ، المبعوث بلسان العرب، ودعوة الحقّ، وعلى آله وصحبه، ومَنْ دعا بدعوته إلى يوم الدين، وبعد.

إنَّ هذا الكتاب الموسوم بـ « في اللسانيات العربية المعاصرة» يضم بين دفتيه فصولاً أربعة، أتغيّا بها بيان بعض ما في الدرس اللساني العربي المعاصر من قضايا لغوية وصوتية مهمة، فتكشف لنا النقاب عن أسرار العربية، من خلال الربط بين الأصوات والدلالة والمعجم والقراءات الشاذة، وهذا جانب الدراسة فيه تصل إلى حدّ الندرة في الآونة الأخيرة؛ لوعورة الولوج فيه. وقد ذكر الحكماء أن الحقيقة بنت البحث، فربّما تمَّ للباحث الجادّ - ما لم يحد عن المنهج العلمي الصحيح - غرضه، غير أنه بحاجة إلى الدليل، وهذا الدليل هو النصّ القرآني، والحديث النبويّ، والشعر، والنثر، ومن هنا ننظر في تراثنا بتأمل وتدبر، من خلال الآراء اللسانية المعاصرة. فنعيد النظر في تراثنا اللغوي من خلال رؤية عربية معاصرة.

وقد توزعت فصول هذا الكتاب على النحو الآتي:

في الفصل الأول الذي يحمل عنوان «علم الأصوات» تناولت مكونات جهاز النطق عند الإنسان، والصوامت من حيث المخرج والصفة بين القدماء

والمحدثين، والإظهار والإدغام بين الدراسات الصوتية وعلم التجويد القرآني، والحركات «الصوائت»، والفونيم، والألّوفون، ومستويات التحليل اللغوي؛ الأصوات، والصرف، والنحو، والدلالة. وأشير إلى أن هذا الفصل بمثابة مقدمة وتوطئة نظرية للفصول التالية، فهو يمثل الناحية النظرية، وما بعده يمثل الجانب التطبيقي للأصوات.

وأما **الفصل الثاني «اللهجات العربية في القراءات الشاذة»** فيبدأ بأطلس جغرافي مبسَّط لإبراز اختلاف اللهجات العربية صوتيًا، ثمّ تأتي بعد ذلك مباحث خمسة؛ التغيرات التاريخية الصوتية، والهمز والتخفيف، والصوامت والصوائت، والإدغام، وألقاب لهجية في القراءات الشاذة، وفي الخاتمة عرضت لأظهر نتائج هذا الفصل.

وجاء **الفصل الثالث** بعنوان **«الإشباع الصوتي في اللغة العربية وأثره في المعجم»** ويبدأ هذا الفصل بمدخل حررت فيه مفهوم الإشباع الصوتي في اللغة العربية بين القدماء والمحدثين، ثمَّ عرضت لأسباب حدوث الإشباع الصوتي في اللغة العربية، ثمّ مظاهر الإشباع الصوتي وأثرها في المعجم العربي؛ مثل تحويل الكلمة من الثنائي إلى الثلاثي، وإشباع الصامت الثاني الذي هو عين الكلمة، وإشباع الصائت ا لثاني، ثمَّ علاقة الإشباع الصوتي بالنبر والتنغيم، وأثر الإشباع الصوتي في الوقف. وفي الخاتمة ذكرت أهم نتائج الفصل.

وفي **الفصل الرابع «ظاهرة الكراهة في اللغة العربية دراسة صوتية»** فقمت بعرض الأمثلة والنصوص التي وصفها العلماء العرب القدماء بأنها مكروهة أو قبيحة؛ لمعرفة أسباب هذه الكراهة، ومظاهرها، وعلل العلماء القدماء لها، ثمَّ

موقف الدرس اللساني المعاصر منها، من الناحية الصوتية، وعرضت فيه للمماثلة الصوتية والمخالفة الصوتية. وفي الخاتمة ذكرت أبرز النتائج.

وإني لأرجو من وراء هذا العمل العلمي تحقيق المنفعة والفائدة لطلاب العلم، وخدمة لغة القرآن الكريم، والله ولي التوفيق والمعونة على كل خير.

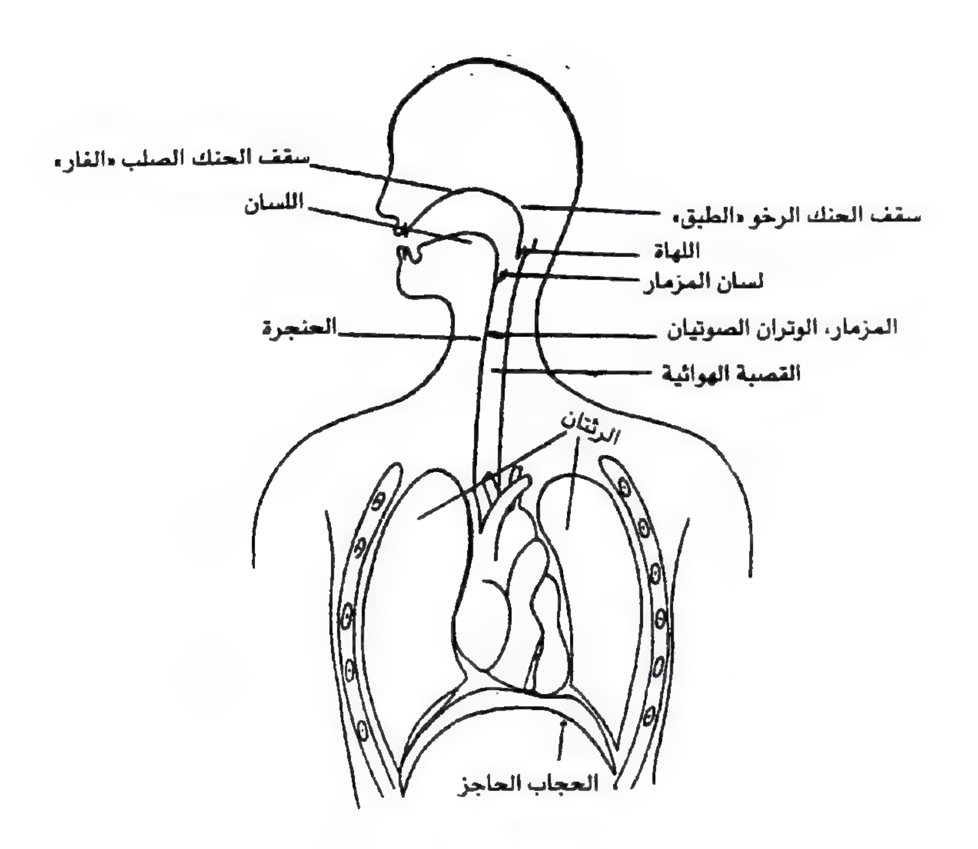
د. خالد حسّان

غرة رمضان سنة ١٤٢٩هـ = سبتمبر ٢٠٠٨م



الفصل الأول

علم الأصوات



شكل ر قم (١) منظر تخطيطي عام لجهاز النطق

الوتران الصوتيان

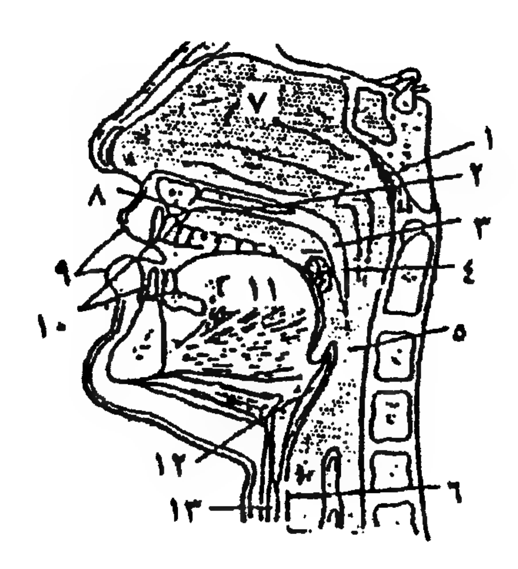
المزمار

الغضروفان الهرميان

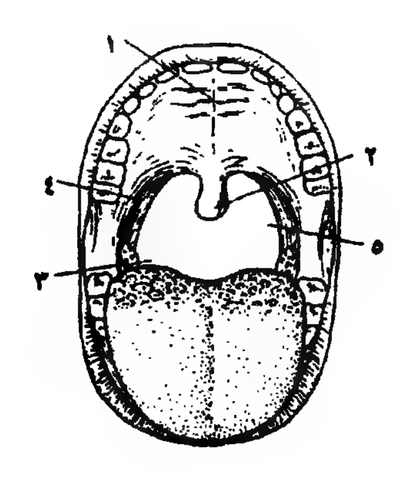
(ب) وضع الجهر

(أ) وضع الهمس

شكل رقم (٢) يبين وضع الهمس ووضع الجهر



شكل رقم (٣) قناة الصوت



١ – الحنك الليّن.

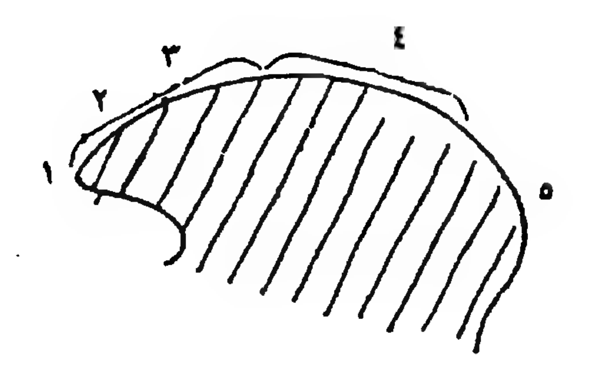
٢ – اللهاة.

٣ – القوس البلعومي – الحنكي.

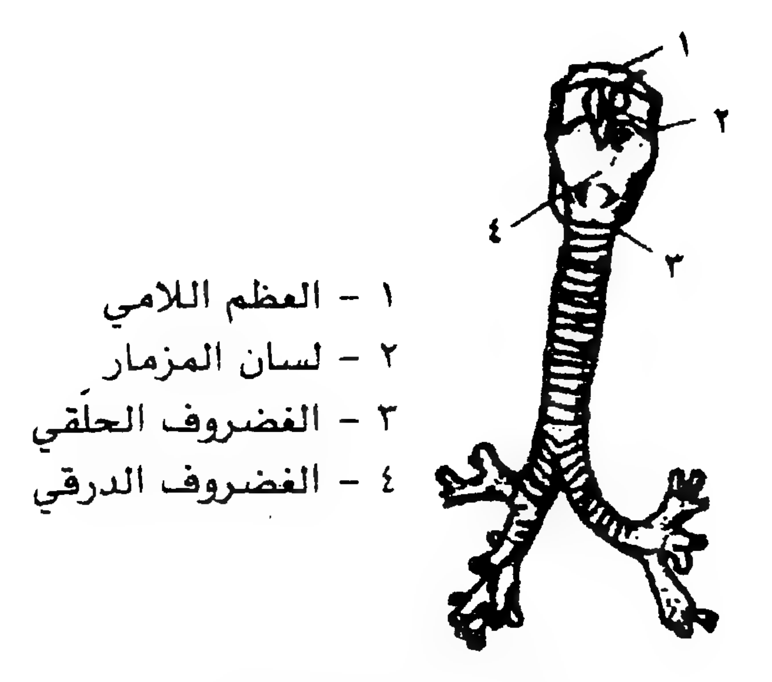
٤ – القوس اللساني – الحنكي.

٥ – المبلع.

شكل رقم (٤) تجويف الفم



شكل رقم (٥) أقسام اللسان



شكل رقم (٦) القصبة الهوائية

الفصل الأول

علم الأصوات

مكونات جهاز النطق عند الإنسان:

إن الجهاز النطقي عند الإنسان ليس مختصًا بالكلام فقط، ولكن له وظيفة أخرى أساسية، وهي حفظ حياة الإنسان، فمثلاً الرئتان تقومان بنقل الأوكسوجين إلى الدم، والوتران الصوتيان يساعدان على منع الأجسام الغريبة التي تأباها الرئتان، واللسان يقلّب الطعام في الفم ويقوم بعملية التذوق، والشفتان تتحركان بحرية في كل اتجاه، فتمنع الطعام من الانتشار في أثناء عملية المضغ وتقومان بأمور أخرى مثل المص والبصق ... والأسنان والأضراس تقطع الطعام وتمضغه...

* أعضاء التنفس:

١ - القصبة الهوائية[١]: Trachea

تقع القصبة الهوائية تحت الحنجرة، وهي عبارة عن أنبوبة مرنة يزيد طولها نصف بوصة في الرجال عنه عند النساء، فهي تقريبًا أربع بوصات عند الرجال، وثلاث بوصات ونصف عند النساء.

(١) دراسات السمع والكلام ٨٠.

وتتكون القصبة الهوائية من غطاريف على شكل حلقات غير مكتملة من الخلف متصل بعضها ببعض بواسطة نسيج غشائي مخاطي.

٢- الرئتان: lungs

وهما كتلتان مخروطيتان «من مادة أسفنجية عظيمة المرونة يغطيها غشاء بلّوري، وفي الرئتين تتم عملية كيميائية، تخليص الدم من حمولته من ثاني أكسيد الكربون بواسطة إمداده بالأكسجين النقي من الهواء الخارجي»[١] وثمّة عملية أخرى تقوم بها الرئتان، وهي الشهيق والزفير، والذي يحرك الرئتين هو الحجاب الحاجز والقفص الصدري.

الحنجرة[٢]: larynx

تقع الحنجرة في قمة القصبة الهوائية، وهي عبارة عن صندوق غضروفي، مكون من ثلاثة غضاريف؛ الأول، وهو العلوي ناقص الاستدارة من الخلف، ويعرف الجزء البارز منه بتفاحة آدم، والثاني كامل الاستدارة، والثالث نسيجان خلفيان هرميان.

وفي الحنجرة يوجد الوتران الصوتيان، ويتصلان عند أحد الطرفين بالبروز الداخلي للنسيجين الهرميين، وعند الطرف الآخر بالزاوية الأمامية للغضروف الدرقي الذي يمكن رؤيته في بروز إلى الأمام في تفاحة آدم. وهذان الوتران على شكل شفتين متقابلين على قمة القصبة الهوائية، وقابلان للحركة من الأمام

---

(١) دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر ٣٧.

(٢) دراسة السمع والكلام ٨٩ – ٩٠ – ٩١.

والخلف، «وفوق الوترين الصوتيين توجد شفتان بنفس الشكل تسميان الوتران الصوتيان الزائفان، وهما لا علاقة لهما بالتصويت العادي»[1].

* تجويف الفم:

١) ينقسم الحنك pālāte إلى قسمين.

أ) الحنك الصلب hard palate

«وهو الجزء العظمي الأمامي من الجدار الفاصل بين تجاويف الأنف وتجويف الفم، ويتخذ شكل قبة يحدها من الأمام اللثة والقوس الحامل للأسنان في الفك العلوي maxilla ويحده من الخلف الحنك اللين»[2] ويطلق على الحنك الصلب الطبق الصلب، أو الغار، وهو غير متحرك وصلب، وهو الملاصق للثة؛ وهي خلف الأسنان مباشرة.

ب- الحنك اللين soft palate:

ويحده من الأمام الحنك الصلب، ومن الخلف البلعوم واللهاة، ويطلق عليه الطبق أو الحنك الأعلى، وهو جزء عضلي متحرك، ويمكن رؤيته من خلال مرآة.

٢- اللهاة uvula:

وهي «زائدة متحركة صغيرة متدلية إلى أسفل من الطرف الخلفي للحنك

---

(١) دراسة السمع والكلام د. سعد مصلوح ١٣٠.

(٢) دراسة الصوت اللغوي ٢٠.

اللين»[1] وتقوم اللهاة بغلق البلعوم الأنفي عند البلع عن البلعوم الفموي، وتؤدي دورًا مهمًا في الغُنّة والصوت الأنفي، وهي متصلة بالحنك اللين، ويمكن رؤيتها من خلال مرآة.

٣- اللسان[2] tongue:

وهو عضو نطق متحرك ذو دور رئيسي في العملية النطقية، وبه سميت اللغة لسانًا، وسمّي علم اللغة اللسانيّات، ويتصل اللسان من قاعدته وجزئه الأوسط بأرضية الفم، ويتكون من:

أ) نصل اللسان أو حدّ اللسان أو الـذَّلق، وهـو الجـزء الأمـامي مـن اللـسان المقابل عند الانطباق لحافة اللثة، ويلامس الأسنان في التاء.

ب) مقدم اللسان: وهو الجزء الواقع بين حدّ اللسان أو نصله، ووسط اللـسان، وهو المقابل للحنك الصلب أو الغار، ويسميه بعضهم وسط اللسان.

ج) مؤخر اللسان: وهو الجزء المقابل للحنك اللين عند الانطباق.

د) جذر اللسان: وهو الجزء المقابل للحلق، أو المقابل لتجويف البلعوم، أو هو الجزء الأخير من اللسان.

*** الشفتان:**

أ) الشفة السفلى: تتحرك الشفة السفلى من الفك الأسفل، وتـصحب حركتـه

---

(١) دراسة الصوت اللغوي ٢٠.

(٢) دراسة السمع والكلام ١٣٥ – ١٣٦.

دائماً حركة اللسان في أثناء عملية المضغ أو الكلام، وتلامس الشفة السفلى الشفة العليا في نطق صوت الميم، وكذلك الأسنان العليا في نطق صوت الفاء، كما أن الشفة السفلى يحدث لها استدارة مع الشفة العليا في نطق صوت الواو، وفي الوقت نفسه يمكن أن يحدث لها انفراج مع الشفة العليا فينطق صوت الياء، وتكون في وضع حياد مع الشفة العليا في نطق صوت الفتحة.

ب) **الشفة العليا**: مرتبطة بالفك الأعلى الثابت، على حين ترتبط الشفة السفلى بالفك الأسفل المتحرك، ومن الجدير بالذكر أن الشفة السفلى تتحرك نحو الشفة العليا لا العكس.

* **اللثة**: إن اللثة التي تشترك في النطق هي جزء من اللثة للأسنان العليا، وهي ذلك الجزء الذي يلامسه نصل اللسان أو حَدّه أو ذَلَقه بسهولة، وتقوم بدور في نطق صوت اللام والنون.

* الفرق بين مخرج الصوت وصفته:

إنَّ مخرج الصوت هو موضع ولادة الصوت اللغوي؛ أي نقطة اتصال العضوين في أثناء النطق. أمّا صفة الصوت فهي الهمس، والجهر، والشدّة والرخاوة، والإطباق، والتكرير...

وهناك ناطق وموضع النطق، فمثلاً صوت الميم والباء صوت شفوي، ناطقه الشفة السفلى، وموضع النطق أو مخرجه الشفة العليا، وكذلك الفاء

صوت شفوي أسناني، ناطقه الشفة السفلى، وموضعه أو مخرجه الأسنان العليا.

ومما سبق يمكن القول إن موضع النطق بالصوت الشفة العليا، أو الأسنان العليا، أو بين الأسنان، أو اللثة، أو الحنك الصلب، أو اللهاة...

وأما صفة الصوت فيكون احتكاكيًا، بأن يُعاق تيار النَّفَس ولا يوقف، وذلك بتضييق مجرى الهواء، كما في صوت الفاء والسين والصاد والشين والخاء والغين والحاء والعين والذال والثاء والهاء والزاي. ويقابل الصوت الاحتكاكي الصوت الشديد أو الانفجاري، وذلك بأن يوقف قبل نطقه أو يُحْبَس تيار الهواء ثم ينطلق فجأة محدثًا انفجارًا، مثل صوت التاء والدال والكاف والضاد والطاء.

*** ملاحظ صوتية مهمة:**

١ – الفرق بين الصوت الانفجاري plosive والصوت الوقفي stop.

يخلط كثير من الدارسين لعلم الأصوات بين المفهومين، ويجعلان بينهما ترادف، غير أن الجمعية الدولية للأصوات توصلت إلى أن ثمّة فرقًا بين الانفجاري والوقفي، «حين يصحب النطق إغلاق تام لبرزخ البلعوم الأنفي بحيث يتم عزل تجاويف الأنف عزلاً تامًا عن تجويف الفم، ويتبع الاحتباس تسريح سريع وفوري فإن الانفجار الناتج يكون انفجارًا فمويا. ويسمى الصوت الناتج انفجاريًا»[1].

وأما الصوت الوقفي فعند النطق به «يتم التقاء العضوين الناطقين بالإغلاق التام، ولكن الالتقاء التام في نطق هذه الصوامت لا ينشأ عن توقف

---

(1) دراسة السمع والكلام ١٧٥.

لتيار الهواء، بل ينطق الهواء مع الميم والنون من الأنف، ومع اللام من جانبي اللسان....»[1].

٢ - الفرق بين المستوى الصوتي الفوناتيكي phonetics والمستوى الفنولوجي phonology.

قسَّم عالم الأصوات الكبير «كينيث باك» الأصوات إلى phonetics وهو دراسة الصوت مجردًا مفردًا؛ أي دراسة إنتاج الصوت وانتقاله واستقباله دراسة فيزيائية. والقسم الثاني: phonology وهو دراسة التغيرات التي تحدث في أصوات اللغة نتيجة تطورها فهي تبين وظيفة الصوت في الكلمة باعتباره فونيماوظيفيا[2].



---

(1) السابق ١٧٦ - ١٧٧.

(2) السابق ١٦٢.

أولاً: الصوامت

في اللغة العربية نوعان من الأصوات هما: الصوامت، وتسمى في الإنجليزية Consonants، والحركات أو الصوائت، وتسمى في الإنجليزية vowels، وفرّق العالم كينيث بايك في كتابه phonemics بين نوعين متمايزين من المصطلحات لإبراز التقابل بين الصوامت والحركات، حيث إن التمييز بينهما ذو أهمية بالغة في اللغة والتحليل الصوتي «بحيث تستخدم المنظومة القائمة على المقابلة بين المصطلحين contoid – vocoid حين يكون التمييز قائمًا على أساس الخصائص النطقية والفيزيائية (أي على المستوى الصوتي)، على حين تستخدم المنظومة consonant – vowel إذا كان التمييز قائمًا على أساس الوظيفة (أي على المسوى الصوتيمي أو الصوتولوجي)»[1].

١) **الأصوات الشفوية**: وهي الباء، والميم،والواو المتحركة.

- **الباء**: صوت شديد مجهور مرقق. يتم نطقه بضم الشفتين، مع ارتفاع الحنك اللين إلى أعلى «الطبق»، وسد التجويف الأنفي، واهتزاز الوترين الصوتيين.
- **الميم**: صوت أنفي مجهور. يتم نطقه بضم الشفتين، وحبس الهواء خلفهما، وانخفاض الحنك اللين «الطبق» ليمر الهواء من تجويف الفم والأنف معًا. واهتزاز الوترين الصوتيين.

---

(١) دراسة السمع والكلام ١٦٢.

- الواو: صوت مجهور. وسوف نعرض مخرج الواو عند حديثنا عن الحركات.

٢) **الأصوات الشفوية الأسنانية**: وهي صوت الفاء، وهو صوت رخو مهموس مرقق، ويحدث هذا الصوت بأن يتصل باطن الشفة السفلى بالأسنان العليا. مع عدم اهتزاز الوترين الصوتيين.

٣) **الأصوات الأسنانية**: وهي الثاء والذال والظاء، حيث يكون طرف اللسان مع الأسنان العليا.

- **الثاء**: صوت مهموس رخو مرقق. يتم نطقه بوضع طرف اللسان بين الأسنان العليا والسفلى ورفع الحنك اللين «الطبق» لغلق تجويف الأنف، وعدم اهتزاز الوترين الصوتيين.

- **الذال**: صوت مجهور رخو مرقق. يتم نطقه مثل صوت الثاء، مع وجود فارق واحد وهو اهتزاز الوترين الصوتيين.

- **الظاء**: صوت مجهور رخو مفخم. يقول سيبويه: «ولولا الإطباق في الظاء لكانت ذالاً»[1]. يتم نطقه مثل صوت الثاء، مع وجود فارق واحد، وهو ارتفاع مؤخرة اللسان نحو الحنك اللين «الطبق» ليحدث الإطباق. واهتزاز الوترين.

٤) **الأصوات اللثوية**: وهي اللام والراء والنون، حيث يتصل نصل اللسان أو

---

(١) الكتاب ٢/ ٤٠٦.

حده باللثة، أو أصول الأسنان، أو مغرز الأسنان.

- **اللام:** وهو صوت مجهور جانبي، حيث يمر الهواء من جانب الفم، والأصل في صوت اللام الترقيق، ويجوز تفخيمه إذا كان مفتوحًا وسبقه صوت إطباقي مثل صوت الطاء والضاد والظاء، مثل الصلاة، والضلال، والطلاق. واهتزاز الوترين الصوتيين.
- **الراء:** صوت مجهور تكراري؛ أي ينطق مرات متتالية سريعة، «ويلاحظ أن الأطفال في بداية نموهم اللغوي، لا يقدرون على نطق الراء؛ بسبب ضعف العضلات المحركة لمقدمة اللسان عندهم، وقصورها في هذه السن المبكرة عن إحداث الاهتزازات السريعة المكررة»[1]. ويتم نطقه باتصال طرف اللسان باللثة مرات متكررة. مع ذبذبة الوترين.
- **النون:** صوت مجهور أنفي، حيث يتصل نصل اللسان أو حده باللثة لكي يسمح هذا الانخفاض بمرور تيار الهواء من تجاويف الأنف؛ ليكون الصوت أنفيًا، وفي الوقت نفسه «انخفاض الحنك اللين واللهاة لا يصل إلى إغلاق الطريق إلى تجويف الفم، وإنما هو لمجرد السماح لتيار الهواء بالمرور من الأنف. نقول ذلك ونلح عليه تصحيحًا لبعض ما كتب بالعربية بشأن الوصف النطقي للصوامت الأنفية»[2] وقد ذهب الدكتور إبراهيم أنيس

(١) المدخل إلى علم اللغة، د. رمضان عبد التواب ٤٨، ٤٩.

(٢) دراسة السمع والكلام، د. سعد مصلوح ١٧٩.

والدكتور كمال بشر والدكتور رمضان عبد التواب وغيرهم، إلى أن الهواء يمر بالحنجرة أولاً «فيتذبذب الوتران الصوتيان، فإذا وصل في مجراه إلى الفم هبط أقصى الحنك فسد مجرى الفم»[1].

ويعلّق الدكتور سعد مصلوح على كلام الدكتور إبراهيم أنيس فيقول: «ونحن إذا افترضنا- جدلاً - إغلاق الحنك اللين لمدخل تجويف الفم عند النطق بالميم فإن تجويف الفم سيكون في هذه الحال أنبوبا مغلقًا من كلا طرفيه. وسنرى في معالجتنا لظاهرة الرنين الأكوستيكي أن الأنبوب المغلق من كلا طرفيه يكون تردده الرنيني صفرًا ... وبذلك ينعزل تمامًا عن عملية النطق ... والمسألة بعد قد حسمتها الصور الملتقطة بأشعة ✖ لعملية النطق بهذا النوع من الصوامت»[2] وهذا الكلام ينطبق على صوت الميم أيضًا باعتباره صوتًا أنفيًا أو أنفمويًا.

٥) **الأصوات الأسنانية اللثوية**: وهي الدال والضاد والتاء والطاء والزاي والسين والصاد.

- **الدال**: صوت مجهور شديد مرقق، حيث يتصل نصل اللسان أو مقدمة اللسان باللثة أو أصول الأسنان العليا اتصالاً يمنع مرور الهواء، مع سد تجويف الأنف برفع الطبق أو الحنك اللين، فينحبس الهواء خلف مقدمة

---

(١) الأصوات اللغوية ٤٦، ٥٦.

(٢) دراسة السمع والكلام ١٧٩ - ١٨٠.

اللسان أو نصله، ثمّ ينفتح بانخفاض مقدمة اللسان، فيندفع الهـواء فجـأة، ويسمى الصوت انفجاريًا أو شديدًا، وعلة ذلك التقاء العضوين النـاطقين التقاء تامًا توقف تيار الهواء في الفم؛ أي اتصال مقدمة اللسان باللثة اتصالاً تامًا، كما أن هذا الانفجار يسمى انفجارًا فمويًا؛ حيث يتم فيه عزل تجويـف الأنف عن تجويف الفم.

ويفرّق الدكتور سعد مصلوح بين مصطلح وقفي stop ومصطلح انفجاري plosive حيث يلاحظ أن المصنفات العربية تستخدم المصطلحين على سبيل الترادف، فيقول: «ويسمى الصامت احتباسيًا أو وقفيًا إذا نتج عن التقاء العضوين الناطقين التقاء تامًا توقف تيار الهواء من الفم عند نقطة التدخل. وغالبًا ما يعقب ذلك تسريح للهواء نتيجة انفصال العضوين الناطقين، والسماح لتيار الهواء بالاستمرار في مساره إلى الخارج... أما الانفجار ففي أنواعه تفصيل: فحين يصحب النطق إغلاق تام لبرزخ البلعوم الأنفي، بحيث يتم عزل تجاويف الأنف عزلاً تامًا عن تجويف الفم، ويتبع الاحتباس تسريح سريع وفوري فإن الانفجار الناتج يكون انفجايًا فمويًا، ويسمى الصوت الناتج انفجاريًا plosive».

- الضاد: حسب نطقنا لها الآن؛ الضاد الحديثة لا القديمة، فهي صوت مجهور شديد مفخم، حيث تلتقي مقدمة اللسان باللثة والأسنان العليا التقاءًا تامًـا يمنع مرور الهواء، مع ارتفاع مؤخرة اللسان تجاه الحنك اللين أو الطبق، ثـمّ انخفاض مقدمة اللسان، فيتبع ذلك تسريح للهواء إلى خارج الفم، ومن ثم

فالإغلاق هنا مزدوج، أي في موضعين اثنين واهتزاز الوترين الصوتيين.

- التاء: صوت مهموس شديد مرقق، حيث يتصل مقدمة اللسان باللثة والأسنان العليا اتصالاً تامًا وعدم اهتزاز الوترين الصوتيين.
- الطاء: صوت مهموس شديد مفخم، ويحدث لهذا الصوت إغلاق مزدوج double closure بأن يلتقي عضوان ناطقان التقاءًا تامًا وهما مقدمة اللسان باللثة والأسنان العليا، وفي الوقت نفسه يلتقي عضوان آخران، وهما ارتفاع مؤخرة اللسان نحو الحنك اللين أو الطبق، بحيث يتم الانفصال ويندفع الهواء إلى الخارج في النقطتين معًا في وقت واحد ولحظة واحدة، ومن هنا نلحظ وجود تشابه في عملية النطق بين الضادء والطاء في مسألة الإغلاق المزدوج، كما أن كليهما صوت شديد مفخم، والفارق الوحيد بينهما أن الضاد مجهورة والطاء مهموسة – عند اللغويين المحدثين –
- الزاي: صوت مجهور رخو مرقق، حيث يتصل طرف اللسان أو مقدمته باللثة والأسنان العليا، مع غلق تجويف الأنف، وهو صوت احتكاكي يكون ممر الفم معه واسعًا، وينتج عن هذا الاحتكاك صفة الصفيرية لصوت الزاي، كما أن تيار الهواء عند مروره بالفم يُعاق ولا يوقف، وهذا يحدث بتضييق مجرى تيار الهواء في الفم واهتزاز الوترين الصوتيين.
- السين: صوت رخو مهموس مرقق، حيث يتصل نصل اللسان أو مقدمته باللثة والأسنان العليا، مع تضييق مجرى تيار الهواء في الفم مع عدم اهتزاز الوترين الصوتيين.

- **الصاد**: صوت مهموس رخو مفخم، ولكي نفرق بين السين والصاد من خلال خصائص أيٍّ منهما في ذاته فحسب، فهذا من الصعوبة بمكان، حيث إن التحليل الفيزيائي للصوامت يذهب إلى أن «الصورة الطيفية للصوت لا تتحدد بخصائص أي منهما في ذاته فحسب؛ بل يشارك في تحديدها ما يسبق الصامت وما يلحقه من حركات «صوائت». ويرتبط هذا الأمر بنوع الحركة الانزلاقية التي تقوم بها أعضاء النطق من موضع النطق بصوت ما إلى موضع النطق بآخر»[1]. يتم نطقه بوضع طرف اللسان في اتجاه الأسنان واللثة، وارتفاع الحنك اللين إلى أعلى، لغلق تجويف الأنف، وعدم اهتزاز الوترين الصوتيين، وارتفاع مؤخرة اللسان تجاه الحنك اللين.

٦) **الأصوات الغارية**: وهي صوت الشين والياء والجيم الفصحى.

- **الشين**: صوت رخو مهموس مرقق، حيث يرتفع مقدمة اللسان تجاه الحنك الصلب أو الغار، مع غلق تجويف الأنف، وذلك بارتفاع الحنك اللين أو الطبق فيسد المجرى الأنفي أو تجويف الأنف، مع تضييق لمجرى تيار الهواء في الفم. ويطلق على صوت الشين أنه «صوت احتكاكي صفيري يغلب عليه صوت الشين»[2] فهو صوت احتكاكي هشيش على حسب تسمية

---

(١) دراسة السمع والكلام ١٨٨. مصطلح «الانزلاقية» يقصد به أنصاف الحركات أو أنصاف الصوامت، مثل صوت الواو والياء الصامتين، وهما يأتيان إما مسبوقين بحركة أو متبوعين بحركة، أو يقعان بين حركتين نحو: بَيْت وقَوْم.

(٢) الأصوات اللغوية، محمد علي الخولي ٣٧.

الدكتور محمد علي الخولي له وعدم اهتزاز الوترين الصوتيين.

كما أن هذا الصوت يصفه الدكتور سعد مصلوح بأنه من الانطلاقيات الاحتكاكية، حيث نجد عدم توقف تيار الهواء في أثناء النطق به، كما أن العضوين الناطقين يحدث لهما تقارب شديد «ينشأ تضييق لمر الهواء عند نقطة المخرج، وحدوث حفيف أو احتكاك مسموع وهذا الاحتكاك يحدث نتيجة لاندفاع الهواء إلى الخارج من خلال المضيق، وتصادم جزئيات الهواء بعضها ببعض، واحتكاك الدوامة بالسطوح الملامسة من قناة الصوت»[1].

- **الجيم**: صوت مجهور مزدوج؛ أي يجمع بين الشدة والرخاوة، ويتم إنتاج هذا الصوت باتصال مقدمة اللسان بالحنك الصلب أو الغار اتصالاً محكماً يمنع الهواء الخارج من الرئتين، ثمَّ انفصال عضوي النطق ببطء، فينتج صوت مركب مزدوج يجمع بين الشدّة والرخاوة.

ويذهب الدكتور رمضان عبد التواب – رحمه الله – إلى أن مقارنة العربية باللغات السامية الأخرى يبين أن الجيم صوت متطور عن جيم «تشبه نطق المصريين لهذا الصوت، والدليل على ذلك مقارنة اللغات السامية الأخرى، كالعبرية والسريانية والحبشية، فصوت الجيم في هذه اللغات، صوت شديد يشبه نطق المصريين»[2].

- **الياء**: الذي نقصده هنا هو الحرف الصامت لا الصائت، نحو: يذهب، وهو

---

(١) دراسة السمع والكلام ١٨٤.

(٢) المدخل إلى علم اللغة ٥٢.

صوت مجهور، ينطق بأن يرتفع مقدمة اللسان في اتجاه الحنك الصلب أو الغار، مع ترك فراغ يسمح بمرور الهواء من دون حدوث احتكاك مسموع أو احتكاك طفيف، ويرتبط بحركة اللسان في أثناء النطق بالصوت الصامت «الياء» عامل آخر مهم، ألا وهو هيئة الشفتين، حيث تتخذ الشفتان وضع الانفراج. وسوف نتحدث عنه في قابل إن شاء الله.

٧) **الأصوات الطبقية**: وهي الكاف والغين والخاء.

- **الكاف**: صوت شديد مهموس مرقق، يتم إنتاج هذا الصوت باتصال مؤخرة اللسان بالطبق أو الحنك اللين، مع غلق المجرى الأنفي، ثمّ زوال هذا الاتصال بين اللسان والطبق فجأة، محدثًا صوتًا انفجاريا وعدم اهتزاز الوترين الصوتيين.
- **الغين**: صوت رخو مجهور مرقق، يتم إنتاجه برفع مؤخرة اللسان في اتجاه الحنك اللين أو الطبق بصورة تسمح بمرور الهواء مع حدوث احتكاك مسموع، فيحتك الهواء باللسان والطبق، مع غلق تجويف الأنف بارتفاع الطبق ليسد المجرى الأنفي، وقد ذكر سيبويه أن صوت الغين حلقي، ويعلق الدكتور تمام حسّان على ذلك فيقول: «يستطيع الباحث أن يقف منهم أحد موقفين، ينبني كل منهما على طريقة فهمهم للاصطلاح (حلق)؛ فإذا كان مفهوم هذا الاصطلاح في أذهانهم مطابقًا لما نفهمه الآن، فهم ولا شك مخطئون في القول بأن صوت الغين يخرج من الحلق. أما إذا كان

فهمهم للاصطلاح أوسع من فهمنا له، حتى يشمل ما بين مؤخر اللسان والطبق، فلا داعي للقول بخطئهم»[1]. مع ملاحظة اهتزاز الوترين الصوتيين.

- الخاء: صوت رخو مهموس مرقق، يتم إنتاجه بارتفاع مؤخرة اللسان، حتى يتصل بالحنك اللين أو الطبق اتصالاً يضيق المجرى بحيث يسمح بمرور الهواء بين العضوين الناطقين، مع حدوث احتكاك مسموع، وفي الوقت نفسه يتم غلق تجويف الأنف. مع عدم اهتزاز الوترين الصوتيين.

٨) **الأصوات اللهوية**: وهو صوت القاف.

- القاف: صوت شديد مهموس، يتم نطقه برفع مؤخرة اللسان مع اللهاة، بحيث يتصلان اتصالاً تامًا، مع غلق تجويف الأنف، وفي الوقت نفسه يتصل مؤخرة اللسان باللهاة مع الحنك اللين أو الطبق، بشكل لا يسمح بمرور الهواء، ويعقب ذلك تسريح الهواء فجأة. وعدم اهتزاز الوترين الصوتيين من وجهة نظر العلماء المحدثين.

٩) **الأصوات الحلقية**: وهما صوتا العين والحاء.

- **العين**: صوت رخو مجهور مرقق.

«جذر اللسان مع الجدار الخلفي للبلعوم الفموي، ومنهما مخرج الحاء

(١) مناهج البحث اللغوي ١٠١.

والعين»[1] ويتم نطق هذا الصوت عن طريق تقريب جذر اللسان من الجدار الخلفي للحلق بشكل يسمح للهواء بالمرور، مع حدوث احتكاك، ومن ثمّ يحدث تضييق لمر الهواء إلى الخارج من خلال المضيقة مع اهتزاز الوترين الصوتيين.

- الحاء: صوت رخو مهموس مرقق: ويتم إنتاجه في هذا المخرج الحلقي «عن طريق تقريب جذر اللسان من الجدار الخلفي للحلق بصورة تسمح بمرور الهواء مع حدوث احتكاك استمراري»[2]. وعدم اهتزاز الوترين الصوتيين،

١٠) الأصوات الحنجرية: وهما صوتا الهمزة والهاء.

- الهمزة: صوت شديد مهموس[3] مرقق، يتم نطقه عن طريق الوترين الصوتيين، حيث يتصلان ثمّ ينفتحان فجأة، فينطلق الهواء فجائيًا انفجاريًا. مع عدم اهتزاز الوترين الصوتيين.
- الهاء: صوت رخو مهموس مرقق «يتم نطقه بأن يحتك الهواء الخارج من الرئتين بمنطقة الأوتار الصوتية دون أن تحدث ذبذبة لهذه الأوتار، ويرتفع

---

(١) دراسة السمع والكلام ١٧٠.

(٢) دراسة الصوت اللغوي ٣١١.

(٣) وقد جعل سيبويه وابن جني والزمخشري وكل العلماء القدماء الهمزة صوتًا مجهورًا؛ بل إن الخليل جعل الهمزة مع أحرف العلة الواو والألف والياء، فذكر أنها «حرف هوائي يخرج من الجوف» العين ص٥٣. وهذا الكلام لا يتفق مع رأي اللغويين المحدثين. فهم يرون الهمزة صوتًا مهموسًا.

الطبق ليسد المجرى الأنفي، ويتخذ الفم عند النطق بالهاء نفس الموضع، الذي يتخذه عند النطق بالحركات»[1]. نلحظ خروج الهواء من الفم من دون أن يعترضه شيء، فنطقها مفتوح مما يشبه نطق الحركات.

ملاحظات عامة:

* المهموس والمجهور:

يلعب الوتران الصوتيان دورًا مهمًا في مسألة الجهر والهمس، كما أن حركة هذين الوترين الصوتيين سريعة جدًا «وقد وجد أن معدل التذبذب للأوتار الصوتية يتفاوت بين ٦٠ و٧٠ دورة في الثانية لأخفض الأصوات الرجالية، وبين ١٢٠٠ و١٣٠٠ لارتفاع الصوت الموسيقي، ويتوسط الذبذبات للرجل بين ١٠٠ و١٥٠، وللمرأة بين ٢٠٠ و٣٠٠. والأوتار الصوتية عند الرجل أطول وأغلظ منها عند المرأة»[2].

والوتران الصوتيان في حال الجهر يقتربان ويهتزان، وفي حال الهمس يبتعدان ولا يهتزان، وتتنوع الأصوات الصامتة بحسب اهتزاز الوترين الصوتيين أو عدم اهتزازهما، إلى صامت مجهور وصامت مهموس.

* تذوق الخليل بن أحمد الفراهيدي للحروف:

كان الخليل يتذوق الحروف بأن يفتح فاه بالألف ثمّ يظهر الحرف نحو:

---

(١) المدخل إلى علم اللغة ٥٨ – ٥٩.

(٢) دراسة الصوت اللغوي ٨.

أبْ، أتْ، وقد قسم الخليل مخارج الحروف كما يأتي:

1) الحلقية: ع ح هـ خ غ.
2) اللَّهوية: ق ك.
3) الشَّجْرية: ويقصد به شّجْر الفم؛ أي سقف الفم، وهي: ج ش ض.
4) الأَسَلية: يقصد بها مستدق طرف اللسان، وهي: ص س ز.
5) النَّطْعية: يقصد بها الغار أو الحنك (الصلب) وهي: ط د ت.
6) اللِّثوية: يقصد بها اللثة أو مغرز الأسنان، وهي: ث ذ ظ.
7) الذَّلَقية: يقصد بها طرفي اللسان، وهي: ر ن ل.
8) الشفوية: يقصد بها الشفتين، وهي: ف ب م.
9) الهوائية: يقصد بها أنها هاوية في الهواء لا يعترضها شيء، وهي: و ا ى أ.

*** مخارج الأصوات عند سيبويه:**

وللحروف العربية ستة عشر مخرجاً.

فللحلق منها ثلاثة:

1) **أقصاها مخرجًا**: الهمزة والهاء والألف.
2) **أوسط الحلق**: العين والحاء.
3) **أدناها مخرجًا من الفم**: الغين والخاء.
4) **ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى**: القاف.
5) **من أسفل من موضع القاف من اللسان قليلاً ومما يليه من الحنك الأعلى**: الكاف.

٦) ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى: الجيم والشين والياء.

٧) من أول حافة اللسان؛ أي جانبه، إلى منتهى طرف اللسان: اللام.

٨) من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس[1]: الضاد، وهي الضاد القديمة المزدوجة، وهي عبارة عن ظاء ولام. فهي جانبية رخوة أو احتكاكية.

٩) من طرف اللسان بينه وما بين فويق الثنايا (اللثة): النون.

١٠) ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلاً لانحرافه إلى اللام: مخرج الراء التكراري.

١١) مِمّا بين طرف اللسان وأصول الثنايا؛ أي أصول الأسنان وهي: اللثة مخرج الطاء والدال والتاء.

١٢) مِمّا بين طرف اللسان وفويق الثنايا: الزاي والسين والصاد.

١٣) مِمّا بين طرف اللسان وأطراف الثنايا: مخرج الظاء والذال والثاء.

---

(١) الكتاب ٢/ ٤٠٥. يذهب سيبويه إلى أن الضاد صوت مجهور رخو مفخم ليس له مقابل مرقق، ويعلق الدكتور أنيس على هذا الكلام فيرى أن الضاد هذه تشابه نطقها مع نطق الظاء، وينصح من يريد أن ينطقها أن يبدأ بالضاد الحديثة ثم ينتهي بالظاء. راجع د/ أنيس. الأصوات اللغوية ٥٤ – ٥٥ومن خلال وصف سيبويه يتضح أن هذه الضاد كانت صعبة النطق على غير العرب، حتى شاع عن العربية بأنها لغة الضاد. أما صوت الضاد حسب نطقنا الحديث لها فهي المقابل المفخم لصوت الدال؛ أي باعتبارها صوتاً شديداً مجهوراً مخرجها أسناني لثوي. وهذا يخالف وصف القدماء للضاد.

١٤) **من باطن الشَّفة السفلى وأطراف الثنايا العليا: الفاء.**

١٥) مِمّا بين الشفتين: الباء والميم والواو.

١٦) من الخياشيم (الأنف): النون الخفيفة.

ومن الجدير بالذكر أن وصف مخارج الأصوات العربية عند الخليل وتلميذه سيبويه بقي إلى يومنا هذا هو الأساس الذي اعتمد عليه علماء تجويد القرآن الكريم، كما أن علماء النحو العربي إلى يومنا هذا يكررون ما قاله الشيخ الخليل وتلميذه سيبويه في باب المخارج والإدغام والتقاء الساكنين.

يقول الزمخشري في كتابه «المفصل في صنعة الإعراب»: «ومخارجها ستة عشر، فللهمزة والهاء والألف أقصى الحلق، وللعين والحاء وسطه، وللغين والخاء أدناه، وللقاف أقصى اللسان وما فوقه من الحنك، وللكاف من اللسان والحنك ما يلي مخرج القاف. وللجيم والشين والياء وسط اللسان وما يحاذيه من وسط الحنك، وللضاد أول حافة اللسان وما يليهما من الأضراس، وللاّم ما دون حافة اللسان إلى منتهى طرفه، وما يحاذي ذلك من الحنك الأعلى فويق الضاحك والناب والرباعية والثَّنِيَّة. وللنون ما بين طرف اللسان وفويق الثنايا، وللراء ما هو أدخل في ظهر اللسان قليلاً من مخرج النون، وللطاء والدال والتاء ما بين طرف اللسان وأصول الثنايا، وللصاد والزاي والسين ما بين الثنايا وطرف اللسان، وللظاء والذال والثاء ما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا، وللفاء باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا، وللباء والميم والواو ما بين الشفتين»[1].

---

(١) المفصل في صنعة الإعراب ٥٤١.

ومن الملاحظ أن الزمخشري أخذ هذا الفصل كله من الكتاب لسيبويه.

*** تعريف الجهر والهمس عند سيبويه:**

أولاً: المجهور: حرف أُشبع الاعتمادُ في موضعه، ومنع النَّفَس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت. والأصوات المجهورة: الهمزة، والألف، العين، والغين، والقاف، والجيم، والياء، والضاد، واللام، والنون، والراء، والطاء، والدال، والزاي، والظاء، والذال، والباء، والميم، والواو.

ثانياً: المهموس: حرف أُضعف الإعتمادُ في موضعه حتى جرى النَّفَس معه. والأصوات المهموسة (سكت فحثه شخص) الهاء، والحاء، والخاء، والكاف، والشين، والسين، والتاء، والصاد، والثاء، والفاء.

*** تقسيم صفات الأصوات:**

- **الأصوات الشديدة:** (أجدت طبقك).
- **الأصوات اللينة:** (لم يروعنا).
- **الأصوات الرِّخوة:** الهاء، والحاء، والغين، والخاء، والشين، والصاد، والضاد، والزاي، والسين، والظاء، والثاء، والذال، والفاء.

*** الأصوات الرِّخوة أو الاحتكاكية أو الانطلاقية:**

يحدث تضييق لمجرى تيار الهواء في موضع النطق بالصوت، وينشأ عن هذا التضييق احتكاك تيار الهواء بجدران الممرات الصوتية، والصوت الاحتكاكي هو المقابل للصوت الشديد الانفجاري.

* **التفخيم والترقيق:**

التفخيم «الإطباق»: هو ارتفاع مؤخرة اللسان إلى أعلى في اتجاه الحنك اللين «الطبق» من دون أن يتصل اللسان بالطبق. والأصوات المفخمة أو الإطباقية أو كاملة التفخيم (ص، ض، ط، ظ، واللام المفخمة). والأصوات المفخمة تفخيم جزئي (خ غ ق) فهي أصوات طبقية بحسب المخرج الصوتي. كما أن (خ غ ق) ليس لها مقابل مرقق.

قال تعالى ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ ﴾ [الشورى/ ٤٣]. ﴿ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْ ﴾ [آل عمران/ ١٤٦]. ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم ﴾ [النساء/ ٣]. ﴿ وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة/ ٤٨].

وأما الترقيق فهو المقابل للتفخيم، وهو عدم ارتفاع مؤخرة اللسان تجاه الحنك اللين عند النطق بالصوت؛ أي أن مؤخرة اللسان تكون مستوية في الفم، ويشمل الترقيق كل الأصوات المتبقية باستثناء الراءواللام فهما يأتيان في حال تفخيم وفي حال ترقيق. قال تعالى ﴿ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ ﴾ [النحل/ ٩٨].



بين علماء التجويد والدراسة الصوتية المعاصرة

(الإظهار والإدغام)

لا شك أن علماء تجويد القرآن الكريم أفادوا من آراء الخليل وسيبويه وابن جني وابن سينا في مخارج الأصوات وصفاتها وفي باب الإظهار والإدغام والمدّ والقصر وأحكام الميم الساكنة والتنوين وغير ذلك:

وفيما يلي سنعرض نموذجين اثنين لعلم التجويد القرآني في ضوء الدراسات الصوتية المعاصرة:

أولاً: الإظهار.

لغة: البيان.

اصطلاحًا: إخراج كل حرف من مخرجه من غير غنة في الحرف المظهر:

للنون إنْ تسكن وللتنوين أربع أحكام فخذ تبييني

فالأول الإظهار في أحرف للحلق ست رتبت فلتعرف

همز فهاء ثمّ عين حاء مهملتان ثمَّ غين خاء

وتظهر النون إذا وليها صوت حلقي (هـ أ ع ح غ خ) وما عدا ذلك يحدث إخفاء للنون.

ثانيًا: الإدغام.

لغة: الإدخال.

اصطلاحًا: التقاء حرف ساكن بحرف متحرك، بحيث يصيران حرفًا واحدًا مشددًا، أو هو النطق بالحرفين كالثاني مشددًا. والحروف التي تدغم بعد النون الساكنة يجمعها (يرملون)، وتنقسم إلى إدغام بغنة (ينمو) وإدغام بغير غنة (رل).

وينقسم الإدغام عند أصحاب القراءات القرآنية إلى إدغام كبير وإدغام صغير، «أما الكبير فهو ما كان الأول من الحرفين فيه متحركًا»[1] وقد اشتهرت قراءة أبي عمرو بن العلاء بهذا النوع من الإدغام، وأما الإدغام الصغير فهو «عبارة عمّا إذا كان الحرف الأول منه ساكنًا»[2].

وقسم ابن جني في كتابه «الخصائص» الإدغام إلى نوعين:

الأول: الإدغام الأكبر، ويقصد به الإدغام الكبير والصغير السالفي الذكر.

والثاني: الإدغام الأصغر، وهو عبارة عن «تقريب الحرف من الحرف وإدنائه منه من غير إدغام يكون هناك»[3] ومما سبق نلحظ أن الهدف من الإدغام هو طلب الخفة والسهولة والتيسير في عملية النطق، وقد اشتهرت قبيلة تميم

---

(١) النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢٧٤.

(٢) السابق ١٥.

(٣) الخصائص ٢/ ١٤١.

بالإدغام، على حين اشتهرت قبيلة الحجاز بالإظهار، وهذا لا يمنع التأثير والتأثر بين أهل الحجاز وبني تميم. ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم:

١) الباء مع الفاء: «وإنْ تعجبْ فعجب».

٢) التاء مع الثاء: «بَعُدَتْ ثمود».

٣) التاء مع الجيم: «نضجتْ جلودهم».

٤) التاء مع الظاء: «حملتْ ظهورها».

٥) التاء مع السين: «أنبتتْ سبع سنابل».

فقرأ أبو عمرو بن العلاء، وحمزة، والكسائي، بإدغامها في كل هذه الحروف السابقة الذكر. على حين قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو جعفر القعقاع، ويعقوب ابن إسحاق الحضرمي، بالإظهار.

ومما سبق نلحظ أن الإدغام ظاهرة موجودة في القراءات القرآنية وتعزي إلى لهجات عربية مشهورة بها، ومن أغراض الإدغام طلب الخفة، وقد ذكر الزمخشري في «المفصل في صنعة الإعراب» أن الإدغام على ثلاثة أضرب «أحدها: أن يسكن الأول ويتحرك الثاني فيجب الإدغام ضرورة، كقولك: لم يرحْ حاتم، ولم أقلْ لك. والثاني: أن يتحرك الأول ويسكن الثاني فيمتنع الإدغام: كقولك: ظلَلْتُ، ورسولُ الْحسن. والثالث: أن يتحركا وهو على ثلاثة أوجه: ما الإدغام فيه واجب؛ وذلك أن يلتقيا في كلمة وليس أحدهما للإلحاق نحو: ردَّ، ويَرُدُّ. وما فيه جائز، وذلك أن ينفصلا وما قبلها متحرك أو مدَّة، نحو: أنعتُ تِلْكَ، والمالُ لِزيد، وثوبُ بَكر، أو يكونا في حكم الانفصال نحو: اقتَتَلَ،

لأن تاء الافتعال لا يلزمها وقوع تاء بعدها، فهي شبيه بتاء تلك. وما هو ممتنع فيه، وهو على ثلاثة أضرب، أحدها: أن يكون أحدهما للإلحاق نحو: قَرْدَدَ، وجَلْبَبَ، والثاني: أن يؤدّي فيه الإدغام إلى لَبْس مثال بمثال نحو: سُرُر، وطلَلَ، وجُدُد. والثالث: أن ينفصلا، ويكون ما قبل الأول حرفًا ساكنًا غير مدَّة نحو: قَرْم مالك، وعدوّ وليد. ويقع الإدغام في المتقاربين، كما يقع في المتماثلين»[1].

وينقسم الإدغام إلى نوعين:

١ – الإدغام بغير غنة: وهو إدخال الحرف الأول في الثاني، حيث يفنى الحرف وصفته، فيصير الحرفان حرفًا واحدًا مشددًا. نحو ﴿ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ [الكهف/ ٦٥].

٢ – الإدغام بغنة: وهو إدخال الحرف الأول في الثاني، مع بقاء صفة الغنة للحرف الأول وهو حرف النون، والغنة صفة للنون، فيصير الحرفان حرفًا واحدًا مشددًا، فيفنى الحرف وتبقى صفة الغنة. نحو ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ [الزلزلة/ ٧]. ﴿ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴾ [الرعد/ ٣٤].

*** اختلاف القرّاء في يا الإدغام:**

١ – إدغام الباء مع الفاء، ﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ ﴾ قرأ أبو عمرو والكسائي بإدغام الباء في الفاء، وقرأ الباقون بالإظهار. راجع: النشر لابن الجزري ٢/ ٨.

٢ – إدغام الثاء مع الذال «يلهث ذلك» قرأ المدنيان وأبو جعفر وعاصم

---

(١) المفصل في صنعة الإعراب ٥٤٠.

بالإظهار، على حين قرأ الباقون بالإدغام. راجع النشر ٢/ ١٣.

٣ - إدغام الراء مع اللام، «أن اشكر لي» قرأ أبو عمرو بالإدغام، وقرأ الباقون بالإظهار.



الإدغام «المماثلة» Assimilation

تعريف الإدغام لغةً:

(دغم) قال صاحب معجم لسان العرب: دغمَ الغيثُ الأرضَ يدغمها، وأدغمها إذا غشيها وقهرها، والإدغام: إدخالُ اللجام في أفواه الدواب.

* تعريف الإدغام اصطلاحًا:

١) رأي الزمخشري: أن تصل حرفًا ساكنًا بحرف مثله متحرك، من غير أن تفصل بينهما بحركة أو وقف فيصيران لشدّة اتصالهما كحرف واحد.

٢) رأى ابن الجزري: إنّه اللفظ بحرفين حرفا كالثاني مشددًا.

٣) رأى دانيال جونز: المماثلةُ هي عملية استبدال صوت بصوت آخر، تحت تأثير صوت ثالث قريب منه في الكلمة أو الجملة.

٤) رأي د/ أنيس[١]: يقسم الإدغام «المماثلة إلى نوعين:

أ) **التأثير الرجعي**: وفيه يتأثر الصوت الأول بالثاني.

ب) **التأثير التقدمي**: وفيه يتأثر الصوت الثاني بالأول.

* ويلاحظ أن التأثير الرجعي هو المشهور عند القرّاء.

---

(١) الأصوات اللغوية ١٧٩ – ١٨٠.

* تقسيم ابن جنّي للإدغام:

١ - النوع الأول: الإدغام الأكبر.

ويعرّفه بأنه تقريب صوت من صوت، وهو في الكلام على ضربين: أحدهما – أن يلتقي المِثلان على الأحكام التي يكون عنها الإدغام، وهو ما كان الأول من الحرفين فيه متحركا. وثانيهما – وهو ما كان الأول من الحرفين فيه ساكنا.

٢- النوع الثاني: الإدغام الأصغر:

ويعرّفه بأنه تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه منه، من غير إدغام يكون هناك. وجعل منه الإمالة(١)، والإتباع(٢).

* القبائل التي اشتهرت بالإدغام، والأخرى التي عُرف عنها الإظهار. فأهل تميم اشتهروا بالإدغام، وأما أهل الحجاز فاشتهروا بالإظهار.

* نماذج من القراءات القرآنية:

- الباء مع الفاء {اذهبْ فإنّ لك}.
- الباء مع الميم {يعذبْ مَنْ يشاء}.

---

(١) الإمالة: «أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء... وتنقسم إلى إمالة شديدة وإمالة متوسطة، وكلاهما جائز في القراءة جار في لغة العرب».
راجع: النشر لابن الجزري ٢/ ٣٠ – ٣١.

(٢) الإتباع: تأثر الحركات القصيرة بعضها ببعض عندما يتجاور حركتان قصيرتان في كلمة أو كلمتين، فيتأثر أحدهما بالآخر، فيحدث انسجام صوتي. راجع في اللهجات العربية. د/ أنيس ص ٢٣ – ٢٤ – ٢٥.

- التاء مع الثاء: {كذبتْ ثمودُ}.
- الدال مع الثاء: {ومن يُردْ ثوابَ الدنيا}.
- الراء مع اللام: {وأنْ اشكرْ لي}.
- تاء الافتعال في قراءة الكسائي وحمزة {يطّهّرْن}.
- التاء مع الطاء، ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡ﴾ [يس: ١٨].

وفي آية أخرى: ﴿قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾ [النمل: ٤٧].

- التاء مع الدال، ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].
- الفعل المضعف: قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي {من يرتدَّ منكم عن دينه} وقرأ نافع وابن عامر {من يرتَدِدْ منكم عن دينه}.

*** نماذج على التأثر التقدمي من اللغة العربية:**

اطتلب ← اطّلب.

اطتلع ← اطّلع

اذتكر ← اذّكر

مِوْزان ← مِيزان

مِوْعاد ← مِيعاد

مُيْسر ← مُوسر

مُيْقن ← مُوسر

مُيْقن ← مُوقن

اصتفاه ⟵ اضْطفاه

*** ملاحظات صوتية:**

١ – قانون جرامونت، ويسمى «قانون الأقوى» وهو «حينما يؤثر صوت في آخر فإن الأضعف هو الذي يكون عرضة للتأثر بالآخر» وأحيانًا يحدث العكس.

٢ – قانون التردد النسبي «الفونيمات الأكثر ترددًا تختزنها الذاكرة أسهل من الأقل، والعناقيد المتكررة وقوعها تقاوم التبسيط والإضعاف أكثر من العناقيد الأقل تكررًا». راجع التطور اللغوي د. عبد الرحمن أيوب ص٢٦.

٣ – أمثلة على الإدغام أو المماثلة:

أ – التقدمي: اذتكر ⟵ اذّكر. أحدثُ ⟵ أحطُّ

ب – الرجعي: تطير ⟵ اطّير . بل رفعه ⟵ بَرَّفعه.



ثانيًا - الحركات

يطلق عليها صوت العلة، أو الصوت المتحرك، أو الصوائت، أو حروف المدّ، وتنقسم الحركات إلى حركات قصيرة مثل الفتحة، والكسرة، والضمة، وحركات طويلة مثل الألف، والواو، والياء، والحركات كلها أصوات مجهورة يخرج الهواء في أثناء النطق بها من الفم من دون أن يعترضه شيء.

ومن المعلوم في علم الأصوات بالضرورة أن تغيير الحركات يؤدي إلى تغيير المعنى، كما أن إشباع الحركة القصيرة يحولها إلى حركة طويلة، مما يؤدي إلى تغيير في المعنى، نحو: ضَرَب، ضارب. ضُرِب، ضورب، عِلْم، عليم، كما أن تقصير الحركات أو حذفها ينتج عنه تغيير في المعنى مثل نِعَم، نِعْمَ. فِقْه، فَقُه، فَقِه، قال رسول الله ﷺ: «الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا».

قال العكبري: الجيد هنا ضم القاف من فَقُه يَفْقُه إذا صار فقيها. وأمّا فِقه، بكسر القاف، يفْقَه، بفتحها، فهو بمعنى فهم الشيء، فهو متعدّ، قال تعالى: ﴿ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً ﴾ [الكهف: ٩٣]. بفتح القاف في المستقبل وماضيه بالكسر، وأمّا المضموم القاف فهو لازم لا مفعول له[1].

ومما سبق نلحظ أن الصوائت أو الحركات هي المقابل للصوامت في الكلام،

---

(١) إتحاف الحثيث بإعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث ١٥٢.

وتختص الحركات بأن نطقها مفتوح متسع، على حين تتميز الصوامت، بالنطق الضيق.

ومن أبرز من تنبهوا إلى تحديد منطقة الحركات عالم الأصوات دانيال جونز فعند النطق بالضمة يكون مؤخر اللسان في «اتجاه الحنك اللين إلى أقصى نقطة لا ينبغي تجاوزها في المنطقة الخلفية حتى لا يعترض اللسان مسار الهواء، فستكون الحركة الناتجة هي أقصى حركة ممكنة في الجهة الخلفية العلوية، ويرمز لها بالرمز [u]»[1].

ومن الجدير بالذكر أن الضمة حركة خلفية ضيقة close back vocoid ويقابلها في المنطقة الأمامية حركة الكسرة فهي حركة أمامية ضيقة أيضًا.

يتم نطق حركة الكسرة بأن يرتفع مقدم اللسان في اتجاه الغار أو الحنك الصلب «وتكون الحركة الناتجة هي أقصى إمكان أمامي علوي، ويرمز له بالرمز [i]. وتشبه هذه الحركة – بقطع النظر عن الطول – حركة الكسرة»[2].

وأما حركة الفتحة فإنه عند النطق بها يكون اللسان مستويًا في قاع الفم، ويمر الهواء دون حدوث احتكاك، وهي حركة واسعة.

وتقوم الشفتان بدور مهم وكبير في النطق بالحركات، فهما في حال انفراج عند النطق بالكسرة، وفي حال استدارة عند النطق بالضمة، وفي حال حياد عند النطق بالفتحة.

---

(١) دراسة السمع والكلام ٢٠٥.

(٢) دراسة السمع والكلام ٢٠٥.

وقد لاحظ علماء العرب القدماء العلاقة بين الشفتين والحركات، ومن أبرز الأدلة على ذلك أنهم سموا الحركات وفقًا لشكل الشفتين، فالواو صوت شفوي، بل إن ابن جني أشار إلى وجود صلة بين الضمة والكسرة، مما يجيز وقوع إحداهما موقع الآخر في عين الفعل، ومن ثَمَّ نجد قبائل تميل إلى الكسر، وأخرى تميل إلى الضم، يقول ابن جني «إن بين الياء والواو قربًا ونسبًا، ليس بينهما وبين الألف، ألا تراها تثبت في الوقف، في المكان الذي تحذفان فيه» وذلك قولك: هذا زيد، ومررت بزيد، ثمّ تقول: ضربت زيدًا»[1].

ويرى الدكتور رمضان عبد التواب أن قوة الصلة بين الضمة والكسرة نتج عنه أن «تطورت كل واحدة منها في الجعزية، وهي الحبشية القديمة إلى الكسرة الممالة (e) مِمّا يدل على أنهما كانتا في أذن الحبشي شيئًا واحدًا، أو كالشيء الواحد»[2].

وأما مسألة الطول والقصر في الحركات فإنه يمثل ملمحًا مهمًا في التفرقة بين الحركات القصيرة والحركات الطويلة، ويقصد بالطول هنا المدة الزمنية لنطق الحركات، وقد أدرك علماء العرب القدماء الفرق الطولي بين الحركات القصيرة والطويلة، فذكر العالم اللغوي الفذّ ابن جني في كتابه «سر صناعة الإعراب» «اعلم أن الحركات أبعاض حروف المدّ واللين، وهي الألف والواو والياء ...

---

(١) سر صناعة الإعراب ١/ ٢٣.

(٢) المدخل إلى علم اللغة ٩٦.

فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو»[1].

وأما علماء العرب المحدثون من أمثال الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه «الأصوات اللغوية»، والدكتور كمال بشر في كتابه «علم اللغة العام» والدكتور رمضان عبد التواب في كتابه «المدخل إلى علم اللغة»... وغيرهم. فقد ذكروا أن الفرق بين الحركات القصيرة والطويلة فرق في الكمية، ولكن الدكتور سعد مصلوح يرى أن الأمر «يقتضي التمييز بين جانبين مختلفين؛ ونعني بهما الجانب الصوتي والجانب الصوتيمي. فأمّا من الجانب الصوتي فإن الفروق بين الصوائت القصيرة والطويلة ليست كمية فحسب، ولكنها كمية وكيفية في آن واحد ... وعند المقارنة بين [sin] و [siin] سنجد أن الكسرة الطويلة أكثر ضيقًا من الكسرة القصيرة، حيث إن الأولى أقرب – في شبه منحرف الحركات – إلى موضع الحركة الأمامية الضيقة من الثانية. وما يقال عن الكسرة القصيرة والطويلة يقال مثله أيضًا عن الضمة ... ويلاحظ أن الفروق الكيفية بين الفتحة القصيرة والفتحة الطويلة ليست على مثل هذه الدرجة من الوضوح. لذا يمكن أن يقال:إنَّ الكم هو المميز الأساسي بين الفتحة القصيرة والفتحة الطويلة، على حين يشترك الكم والكيف في تمييز الضمة القصيرة والضمة الطويلة. وتمييز الكسرة القصيرة والكسرة الطويلة ...»[2].

---

(١) سر صناعة الإعراب، لابن جني ١٧.

(٢) دراسة السمع والكلام ٢٠٩ – ٢١٠.

الفونيم والألُّوفون

ظهر مصطلح الفونيم في العصر الحديث على يد عالمين لغويين، الأول في لندن هنري سويت والآخر في روسيا جان بادون دي كورتني ١٨٧٧م وقد تابع تلاميذ هذين العالمين اللغويين البحث العلمي في التمييز بين الفونيم والألّوفون، ومن الملاحظ أن ظهور نظرية الفونيم قد انطلق من ملاحظات كيفيات النطق المختلفة، ووظائف الأصوات المتنوعة، وكذلك ألفبائيات للغات المختلفة.

ويطرح الدكتور أحمد مختار عمر سؤالاً: لماذا رغم وجود هذه الفروق نحن نتعرف على العلل والسواكن التي ينطقها غيرنا كأنها هي العلل والسواكن التي ننطقها؟؟؟

يجيب الدكتور مختار عمر على ذلك فيرى أن «السبب يكمن في أن هذه الأصوات – رغم اختلافها – تؤدي نفس الوظيفة في نظام اللغة، ولذا يعتبرها المجتمع اللغوي نفس الشيء. والوظيفة هنا تعني الوظيفة التمييزية. وذلك هو الدور الذي تؤديه العناصر المتنوعة للغة في تمييز تتابع صوتي من آخر يحمل معنى مختلفًا. ونعنى اختلاف المعنى ما يؤدي إلى اختلاف الاستجابة من أعضاء المجتمع البشري»[1].

---

(١) دراسة الصوت اللغوي ١٧٢ – ١٧٣.

* تعريفات الفونيم:

١) الفونيم صوت مجرد لا وجود له أثناء النشاط الكلامي. فنحن عندما نتكلم لا نصدر فونيمات؛ بل ألوفونات[1].

٢) الفونيم أصغر وحدة صوتية غير قابلة للقسمة إلى وحدات أصغر.

٣) الفونيم أصغر وحدة صوتية يمكن عن طريقها التفريق بين المعاني فلو قلنا «دار» و «سار» و «زار» و «صار» و «نار» وهذا معناه أن تغيير الفونيم يؤدي إلى تغيير المعنى.

٤) الفونيم مجموعة أصوات متماثلة صوتيًا في توزيع تكاملي أو تغير حر، فالفونيم وحدة صوتية تتكون من عدة أصوات يسمى كل منها ألوفونا.

٥) يقول جونز: «الفونيم هو أسرة من الأصوات – في لغة معينة – متشابهة الخصائص، ومستعملة بطريقة لا تسمح لأحد أعضائها أن يقع في كلمة، في نفس السياق الصوتي الذي يقع فيه الآخر».

ومما سبق نلحظ أن التعريفات السابقة للفونيم ترى أن الفونيم وحدة صوتية أو أسرة صوتية أو مجموعة صوتية يجمع تحته أفراده، كما أنه يحتوي على خصائص تميزه عن غيره من الفونيمات الأخرى. ومن هنا نحن أمام أمرين: الأول – تحليل الفونيم إلى عناصر أو مكونات، والثاني – تغيير الفونيم يؤدي إلى تغيير المعنى، فضلاً عن وجود خصائص مميزة للفونيم تميزه عن غيره.

---

(١) راجع تعريفات الفونيم في كتاب دراسة الصوت اللغوي ١٧٤ – ١٨٣.

ويمكن تحليل الفونيم إلى ألّوفونات، وهذا المنهج يحلل الأصوات بالنظر إلى ملامحها التكوينية، ويتأثر الفونيم صوتيًا بمجاورة فونيمات سابقة له ولاحقة عليه مثل الجهر والوقف والأنفية والاحتكاكية والتغوير التهميز والشدّة ... فالفونيم أصغر إنتاج لغوي مركب ليس له معنى منفرد، لكنه جزء مكون من مباني الكلمة، فهو صوت مبني لا معنى. وتختلف الفونيمات فيما بينها وفقًا للخصائص المميزة لكل منها مثل: الجهر، والهمس، والشدة، والرخاوة، والصفيرية، والأنفية، والانطلاقية، وغير ذلك من الملامح التمييزية.

والفونيم لا يتحقق وجوده بنفسه، وإنما الذي يتحقق في الوجود هو أفراد الفونيم أو أسرة الفونيم، لذا فالفونيم مفهوم صوتي تحكمي افتراضي للعملية التحليلية، أما الاستعمال الواقعي فهو الألوفونات، فكل ألّوفون هو عضو في أسرة الفونيم، أو فلنقل تنوعات صوتية للفونيم، وتلك التنوعات تتفاوت تبعًا للسياقات المجاورة له، ومن هنا يقول Dinneen: «إن الفونيم يمكن أن يتحقق واقعيًا بصور متنوعة ولكنه لا يمكن أن ينطق فعلاً. ذلك لأننا لا يمكننا أن ننطق في وقت واحد صوتًا وقفيًا شفاتيًا مهموسًا ....»[1] ويرى علماء الأصوات أن التشابه الصوتي أو التماثل الصوتي معيار أساسي لإلحاق صوت بفونيم معين، كما أن طبيعة كل صوت، ونظام كل لغة، يؤدي دورًا مهمًا في التفرقة بين الفونيمات، فثمّة خصائص عامة ينضوي تحتها ألوفونات الفونيم الواحد، وينماز

---

(١) انظر: دراسة الصوت اللغوي ٢٠١.

بها عن غيره من الفونيمات، كما أن هناك سمات خاصة لكل ألوفون تبعًا للسياقات الصوتية المجاورة له، ولطبيعة الشخص الناطق بهذا الكلام، كما لا ننس أثر الحركات القصيرة والطويلة في الخصائصة العامة والخاصة للفونيم والألوفون، إذن تجاور الصوامت والصوائت وطبيعة كل لغة، يشكل عاملاً مهمًا في العلاقة بين ألوفونات الفونيم الواحد. ولا يفوتنا في هذا المقام أن نشير إلى طبعة النظرة إلى الفونيم والألوفون هل هي نظرة تحليلية صوتية فيزيائية أم أنها نظرة صوتيمية وظيفية؟.

وإذا نظرنا إلى الفونيم نظرة وظيفية، فهو بمثابة الوحدة الصوتية المقابلة للحرف في الألفبائية العربية مثلاً، وكذلك دوره في التفريق بين المعاني، يقول العالم الإنجليزي wingfield عن الفونيم الوظيفي «إنه مجموعة من أصوات الكلام متماثلة تقريبًا. وبشكل كافٍ لأن تعالج كوحدة لأغراض ألفبائية»(1). كما أن الفونيم يؤدي وظيفة في تركيب اللغة، وفي التفرقة بين الكلمات، وزيادة الفونيم أي المبنى يؤدي إلى زيادة المعنى نحو «قَتَل – غَلَق» «قَتَّل – غَلَّق» والعكس «صبر – غفر» «صِرْ – بر».

وأما النظرة التجريدية الصوتيةالفيزيائية للفونيم فترى أن «بعض الأصوات لها ملامح مشتركة كثيرة يمكن أن تلخص في مثال أو صورة أو انطباع ذهني image يعتبر صوتًا تجريديًا على المستوى الأول. وهناك مستوى ثانٍ من التجريد، حيث يستخلص المرء عائلة كاملة من هذه الأصوات التجريدية في

(1) دراسة الصوت اللغوي ص ١٨٠ – ١٨١.

شكل صورة عامة. هذه الأصوات التجريدية هي الفونيمات»[1]. فالفونيم فكرة صوتية في ذهن الناطق باللغة، أما الاستعمال النطقي في الكلام فهو الفونيماتيكي أو التمثيل النطقي أو تحقيق النطق بالفونيم، أو الألوفون.



(١) السابق ١٨١.

مستويات التحليل اللغوي

أولاً: المستوى الصوتي

*** الفونيم فوق التركيبي «التطريزي» «الثانوي»:**

١ - المقاطع الصوتية: phonetic syllables

يعرف المقطع الصوتي بأنه «قمة إسماع، غالبًا ما تكون حركة، مضافًا إليها أصواتًا أخرى عادة – ولكن ليس حتمًا – تسبق القمة أو تلحقها، أو تسبقها وتلحقها»[1].

ويتكون المقطع من:

أ) دخلة المقطع onset، وهو الصوت الصامت.

ب) نواة المقطع، وهو الحركة القصيرة أو الطويلة.

ج) خرجة المقطع، وهو تسكين الصامت الأخير في المقطع[2].

وقد يوجد في المقطع خرجة أو لا يوجد، كما أن نواة المقطع يحظي بأكبر قدر من الجهد في أثناء النطق، ويلاحظ أن قوة الإسماع ترجع إلى الجهد المبذول في أثناء النطق.

---

(١) أسس علم اللغة لماريو باي ٩٦.

(٢) راجع دراسة السمع والكلام ص ٢٣٠.

* درجات النبر في المقطع:

أ) نبر أساسي، أو قوي.

ب) نبر ثانوني، أو متوسط.

ج) نبر من الدرجة الثالثة.

د) نبر ضعيف، أو النبر الأدنى.

* أنواع المقاطع الصوتية:

نشير إلى أن رمز «ص» يرمز إلى صوت صامت، ورمز «ح» يدل على حركة قصيرة، ورمز «م» يدل على حركة طويلة أو حرف مدّ.

أ) المقطع الأقصر: «ص»: صوت صامت عليه سكون، بْ – تْ – ثْ ...

ب) المقطع القصير: «ص ح»: صوت صامت + حركة قصيرة، بَ بُ بِ.

ج) المقطع المتوسط المفتوح: «ص م»: صوت صامت + حركة طويلة، ما – في – قو – لا – حا – ها – فا –

د) المقطع المتوسط المقفل: «ص ح ص»: صوت صامت + حركة قصيرة + صوت ساكن، مِنْ – عَنْ – لَمْ – هلْ – بلْ – قَدْ.

هـ) المقطع الطويل بالمدّ والإسكان: «ص م ص»: قالْ – باغْ – نامْ – صامْ – عاذْ.

و) المقطع الطويل بالتقاء الساكنين: «ص ح ص ص»، نَهْدْ – بَعْدْ – دَهْرْ – فَهْدْ – دَعْدْ – وَغْد.

وتكمن فائدة دراسة المقاطع الصوتية في معرفة الصيغ الجائزة في اللغة، كما يفيد في معرفة موسيقى الشعر وموازينه، والعلاقة بين البحور الشعرية والأوزان والتفعيلات الممكنة، وكذلك العلاقة بين الوزن والقافية الشعرية، وإمكان التوصل إلى الصلة بين الوزن الشعري والقاعدة النحوية، وهو ما يطلق عليه في أوربا بالنحو العروضي أو العروض النحوي، وهو موضوع بكر لمّا يلج فيه الباحثون العرب قديمًا وحديثًا.

*** ٢- النبر: stress**

تعريفه:

أ- «هو البروز المعطى لمقطع واحد، داخل ما يشكل الوحد البروزية التي تطابق في معظم اللغات ما يسمى بالكلمة»[١]، ومن ثَمَّ فالمقطع المنبور يتطلب جهدًا أكبر من المقاطع المجاورة له في الكلمة أو الجملة. ويظهر الأثر السمعي للنبر من خلال درجات علو الصوت، واللغات التي تستخدم النبر تسمى لغات نبرية، وتتفاوت اللغات في ذلك، فالنبر يقع على المقطع الأول في اللغة الفنلندية والتشيكية، على حين يقع النبر على المقطع قبل الأخير في اللغة البولندية.

ومن وظائف النبر في اللغة العربية وغيرها من اللغات «إبراز كلمة معينة من كلمات الجملة، على نحو يعبر به المتكلم عن موقفه أو انفعاله. ويطلق على هذا النوع من النبر نبر الجملة sentence stress وقد يسمى أحيانًا النبر التأكيدي

---

(١) دراسة الصوت اللغوي ٢٢١.

.... وهذه الوظيفة بطبيعتها ليست من وظائف النبر داخل نظام اللغة، ولكنها وظيفة من خارج هذا النظام ....»[1].

ويذهب الدكتور إبراهيم أنيس إلى أنه «ليس لدينا من دليل يهدينا إلى موضع النبر في اللغة العربية، كما كان ينطق بها في العصور الإسلامية الأولى؛ إذ لم يتعرض له أحد من المؤلفين القدماء»[2].

ثمّ ذكر الدكتور أنيس تصوره لمواضع النبر في الكلمة العربية فيقول: «ينظر أولاً إلى المقطع الأخير، فإن كان من النوعين الرابع والخامس (طويل مغلق بحركة طويلة – مقطع زائد في الطول) كان هو موضع النبر، وإلاّ نظر إلى المقطع الذي قبل الأخير، فإنْ كان من النوع الثاني أو الثالث (مقطع طويل مفتوح ص ح – مقطع طويل مغلق بحركة قصيرة ص ح ص)، حكمنا بأنه موضع النبر، أما إذا كان مثله؛ أي من النوع الأول أيضًا، كان النبر على هذا المقطع الثالث، حين نعدّ من آخر الكلمة، ولا يكون النبر على المقطع الرابع حين نعدّ من الآخر إلا في حالة واحدة، وهي أن تكون المقاطع الثلاثة التي قبل الأخير من النوع الأول»[3] ومن أمثلة النبر: نستعينْ، ذاكرْتَ، تعلَّمْ، قاتلْ، اجتمع.

٣- التنغيم intonation

هو ارتفاع الصوت وانخفاضه في الكلام، ويسمى موسيقى الكلام،

---

(١) دراسة السمع والكلام ٢٣٩.

(٢) الأصوات اللغوية ١٠٤.

(٣) الأصوات اللغوية ١٠٦.

وينقسم إلى نوعين:

أ) تنويع درجات الصوت على مستوى الكلمة، ويسمى التون tone.

ب) تنويع درجات الصوت على مستوى الجملة، ويسمى التنغيم.

وتنقسم اللغات إلى قسمين:

أ) اللغات النغمية: tone languages

وتتميز هذه اللغات باتباعها نظامًا يستخدم على مستوى الكلمة، بحيث يختلف معنى الكلمة باختلاف درجة النغمة من صعود، وهبوط، ومستوية، وهابطة صاعدة. ومثال ذلك اللغة الصينية، فكلمة (chu) مكتوبة بالحروف الإنجليزية، تعني:

- بالنغمة الصاعدة: الخيزران.
- وبالنغمة الهابطة: السيد.
- وبالنغمة المستوية: الخنزير.
- وبالنغمة الهابطة الصاعدة: يعيش.

ب) اللغات التنغيمية intonation languages

فيعمل التنغيم فيها على مستوى الجملة مثل اللغة العربية والإنجليزية، فجملة «ظهر الحق» بنغمة هابطة تدل على التقرير، وبنغمة صاعدة تدل على الاستفهام، ومن هنا فالتنغيم قد يحول الجملة الخبرية إلى استفهامية . كما أن التنغيم في الكلام يقوم بوظيفة الترقيم في الكتابة، غير أن التنغيم أوضح من الترقيم في الدلالة على المعنى الوظيفي للجملة، فالجمل الاستفهامية لها نظام

تنغيمي يختلف عن الجملة التعجبية، والجملة الخبرية المثبتة تختلف في تنغيمها عن الجملة المنفية، كما نلحظ استخدام التنغيم عند المجيدين من المقرئين للقرآن في آيات النار والعذاب، وكذلك نلحظ أثر التنغيم في إنشاء الشعر:

ثـمَّ قـالوا تحبها قلتُ بهرًا	عدد النجم والحصى والتراب
لا يكونُ العير مهرًا	لا يكونُ المهرُ مهرُ
طربتُ وما شوقا إلى البيض أطرب	ولا لعبا منّي وذو الشيب يلعب
فأصبحت فيهم آمنا لا كمعشر	أتوني وقالوا: من ربيعة أو مُضر

٤- المَفْصِل: juncture

وهو عبارة عن سكتة خفيفة بين كلمات أو مقاطع في حدث كلامي بقصد الدلالة على مكان انتهاء لفظ ما، أو مقطع ما، وبداية آخر [١].

ويذكر ماريو باي في كتابه «أسس علم اللغة» ص٩٦ – ٩٧، فوائد المَفْصِل:

أ) إن المفصل يؤدي دورًا ملحوظًا في التفريق بين نطق الأجانب، ونطق أبناء اللغة.

ب) يؤدي المفصل دورًا مهمًا في الوقف في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾ [القصص: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ [البقرة: ١٥٨]، وقال تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ

(١) أسس علم اللغة لماريو باي ٩٥.

ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدًى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١ - ٢].

ج) يرسم المفصل حدود الكلمات، نحو: علماء، بلحارث بن كعب، علنار، جابلأكل، فطريق ، سَلْخير، سَنُّور، عارّاس – فلّيل....

د) يوضح المفصل النعت المقطوع، نحو الحمدُ لله الحميدُ، ومررت باللاجىءِ المسكينُ، وأعوذ بالله من الشيطانِ الرجيمُ.

هـ) كما يفيد المَفْصِل في دراسة المخصوص بالمدح، والمخصوص بالذم، نحو:

- نِعْمَ الضيفُ ضيفٌ ذو علمٍ.
- نِعْمَ الضيفُ ضيفُ ذي علمٍ.
- بئس الرجلُ الكسولُ .

و) ويفيد أيضًا في تحديد نوع الموصوف، نحو: «هذا طريقُ المطار الجديد».

* إذا نطقتا: طريق + المطار الجديد، فالجديد صفة للمطار.
* إذا نطقتا: طريق المطار + الجديد، فالجديد صفة للطريق.



ثانياً: مستوى الصرف «البنية» Morphology:

تعريف علم الصرف:

هو العلم الذي يبحث في بناء الكلمة، في حين أن علمَ النحو يبحث في بناء الجملة.

* المصطلح الأساسي في التحليل الصرفي الحديث هو مصطلح المورفيم Morpheme أي الوحدة الصرفية.

- ويقول علماء اللغة المحدثون: إنّ المورفيم هو أصغر وحدة لغوية ذات معنى.
- يُعْني مستوى الصرف بدراسة التغييرات التي تحدث في صيغ الكلمات فتحدث معنًى جديدًا، مثل:

١) السوابق = الصدور: ما يُلصق أول الكلمة مثل أحرف المضارعة (أنيت)، وأداة التعريف «أل»، وحرف الاستقبال «س — سوف» وحرف الاستفهام «أ - هل» ...

يكرم – الولد – ستذاكر – أفاطمةُ – أشكيته – أجربته – أعجمته.

٢) اللواحق = الأعجاز: ما يلصق آخر الكلمة مثل: علامة التأنيث، والجمع المذكر، والجمع المؤنث، والمثنى، والتنوين، وألف الاثنين، وواو الجماعة، وياء المخاطبة، وضمائر الرفع والنصب والجر....

جلست - معلمون - معلمات - معلمان - كتاب - اذهب - اذهبوا - اذهبي - ضربه - ضربك - حقك.

٣) الحشو = التغييرات الداخلية: ما يوضع وسط الكلمة

نحو: كاتب - مظلوم - شُجَيرة - جَميل - تقاتل - جَرَّبته - كسَّرته - غَلَّق.

*** أنواع الوحدات الصرفية «المورفيم»:**

١) مورفيم حرّ: يمكن أن يوجد مستقلاً أي منفصلاً، وهو الجِذرُ اللغويُّ للكلمة. ويُطلق بعض العلماء «مورفيم معجمي». كتب - فهم - ولد.

٢) مورفيم مُقَيَّد: لا يكون مستقلاً، وهو اللواحق والسوابق والحشو. نحو (ال - س - ون - ان - ات).

* مثال: «المصريون» «العاملات - أعجمتُ الكلام

المورفيم الحر: مِصْر

المورفيم المقيد: السوابق ال واللواحق (ياء النسب + ون).

* كما يهتم المستوى الصرفي بدراسة: (النوع - العدد - البناء للمعلوم والبناء للمجهول - والجامد والمتصرف - والمجرد والمزيد - والصحيح والمعتل - والأوزان ......

* هناك أبنية تخضع للتحليل الصرفي وهي الأسماء والأفعال. وهناك أبنية لا تخضع للتحليل الصرفي وهي الأبنية البسيطة مثل: الحروف، والأدوات، والضمائر.

* وهناك دلالات للأسماء المشتقة: (اسم الفاعل - اسم المفعول - صيغة

المبالغة – اسم الزمان – اسم المكان – اسم الآلة – اسم المرة – المصدر - المزيد).

* الفرق بين المورفيم والمقطع:

١) المورفيم: وحدة لغوية ذات معنى بالضرورة.

٢) المقطع: قد يكونْ له معنى وقد لا يكونُ له معنى، نحو: «في»: مقطع طويل مفتوح، وله معنى. رَ : فعل أمر من الفعل الماضي «رأى»، قِ: فعل أمر من الفعل الماضي «وقى».

«ب» حرف جر، «س» للتسويف، «ل» للقسم: مقطع قصير له معنى – وهناك مقاطع كثيرة ليس لها معنى نحو: (كَ + تَ + بَ) (فَا + طِ + مَ) (بَ + صَ - لٌ) (قَ + مَ + رٌ).

* الفرق بين المورفيم والكلمة «الوحدة المعجمية»:

١) المورفيم له معنى، وكذلك الكلمة؛ لكن المورفيم غير قابل للتجزئة إلى وحدات ذات معنى، في حين أن الكلمة قد تحتمل التجزئة، نحو: (المعلمون) هي كلمة واحدة تتكون من عِدّة مورفيمات: ال + معلم + ون.

٢) ليس كل مورفيم كلمة، فبعض المورفيمات ليست كلمات وهي المورفيم المقيد (أل – تُ َ ِ – ون – ان ....).



ثالثاً: مستوى النحو «التراكيب» structure:

القواعد: Gramar

نظم الجملة: syntax

تعريف علم النحو:

«هو علمٌ يُعرف به أحوالُ أواخرِ الكَلِم إعرابًا وبناءً».

- ومن هنا نجد أنَّ النحوَ يهتمُّ بحركة الحرف الأخير، ويهتمُّ بالإعراب والبناء. قَتَلَ محمدٌ – قُتِلَ محمدٌ – قَتْلُ محمدٍ.
- كما يُعْنَى علمُ النحو «التراكيب» بدراسةِ نظامِ ترتيب وتآلفِ الكلماتِ في جُمَلٍ، وعلاقة الكلماتِ داخلِ الجُمَل.
- اللغات لا تسير على نظامٍ واحدٍ في بناء تراكيبها؛ لأنَّ بنيةَ اللغةِ تَقْبَلُ تراكيبَ معينةً، وترفضُ تراكيبَ أخرى، فاللغةُ العربيةُ مثلاً لا تقبلُ فِعْلَ الكينونة لربط المسند بالمسند إليه، نحو: السماءُ صافيةٌ، بخلاف اللغة الإنجليزية.

The sky was clear – the sky is clear

- ويُشْتَرَطُ لصحةِ الجملةِ في اللغةِ العربيةِ خُضُوعُهَا لقوانين انتظامِ الكلماتِ مع صِدْقِ المعلومات داخلَ الجملة.

نحو: جاء الولد القلم – إلى جاء البيت القلم.

عائشة أكبر من أمها – عاصمة فرنسا القاهرة.

هل لن بصلة تأكل الحديد والزجاج والزلط؟!

- ويقول الدكتور محمود السَّعَران: «إنَّ لكلِّ لغةٍ طريقَتَهَا في نَظْمِ الكلام. وهذا أمرٌ يُلاحظه على وجهٍ بَيِّنٍ مَنْ يُعاني الترجمة، فالنقلُ من لغةٍ إلى أخرى يُطلعنا على ما بين اللغاتِ من خلافٍ في هذا الميدان. نحن في العربية مثلاً نأتي بالموصوف أولاً ثم نُتْبِعُهُ الصفةَ، فنقول: في الطائف مطرٌ غزيرٌ أمس؛ «ولكنَّ عقليةَ الرجل الإنجليزي عندما تريد التعبيرَ عن هذه الفكرة لا تتصورُ إيرادَ الكلمة الدالة على المطر أولاً، إنّ أولَّ ما تتصوره هو الصفة».

- ويقول الدكتور محمود فهمي حجازي: «ولكنَّ أهمَّ فَرْقٍ يُمَيِّزُ البحثَ الحديثَ في بناءِ الجملةِ عن البحث العربيِّ يَكمنُ في أنَّ الجهدَ العربيَّ دارَ حولَ مُحْوَرِ نظرية العامل، بينما يضعُ البحثُ الحديثُ هدفَه دراسةَ التركيب الشكلي لعناصر الجملة وسيلةً للتعبير عن معنى، ومن ثَمَّ يُعدُّ المعنى عنصرًا مهمًا في دراسة بناء الجملة».

- **يختص التحليل التركيبي بنَظْم الكلمات داخل الجُمَل من حيث ترتيب الكلمات؛ مثل التقديم والتأخير، والذكر، والحذف، والزيادة. وكذلك المعنى النحوي، والمعنى الوظيفي. وأيضًا الترابط الإسنادي وغير الإسنادي.**

- **أدرك العلماء القدماء أهمية النحو «التركيب» في فهم دلالات اللغة الدقيقة،**

فيذكر السيوطي في كتابه «الأشباه والنظائر» حوارًا دار بين الكسائيّ إمام مدرسةِ الكوفة وأبي يوسفَ القاضي «يقولُ الكسائيُّ: اجتمعتُ وأبو يوسفَ القاضي عند هارونَ الرشيد، فجعلَ أبو يوسفَ يَذُمُّ النحوَ، ويقول: ما النَّحو؟ فقلتُ وأردتُ أنْ أعلِّمَهُ فَضْل النحو: ما تقولُ في رجلٍ قالَ لرجلٍ: أنا قاتلُ غُلامِكَ، وقال له آخر: أنا قاتلٌ غُلامَكَ، أيُّهما كنتَ تأخذُ به؟ قال: آخذهما جميعًا، فقال له هارون: أخطأتَ – وكانَ له علمٌ بالعربية – فاسْتَحْيَا وقال: كيفَ ذلك؟ فقال: الذي يُؤخذُ بقَتْلِ الغلام – هو الذي قال: أنا قاتلُ غُلامِكَ، بالإضافة؛ لأنّه فعلٌ ماضٍ، فأمّا الذي قال: أنا قاتلٌ غلامَكَ، فإنَّه لا يُؤخذُ؛ لأنَّه مستقبلٌ لم يكنْ بعدُ».

ومعروف أن الهدف من تحليل أي نصّ هو إضاءته، وكشف بعض أسراره اللغوية، بتفسير نظام بناء الجملة فيه، وإدراك العلاقات بين التركيب، ودلالة ذلك في فهم المعنى، ومن هنا فرَّق الدارسون بين الصيغة النحوية والمعاني النحوية، فالصيغة النحوية قالب جامد يُحشى بالأمثلة، على حين المعاني النحوية تتعدد وتتحدد بتعدد الإبداع في النصّ، فوظيفة الفاعلية ثابتة في الصيغة النحوية، وأما دلالة الفاعلية بوصفها معنى نحويًا لا يتوقف على كون الاسم فاعلا فقط، بل ننظر في الصيغة الصرفية ودلالتها، ثمَّ علاقة هذه الصيغة بالصيغ الأخرى في الجملة، وذلك في إطار دلالة السياق اللغوي[1].

ويكشف الدكتور حماسة عبد اللطيف أثر ترابط النحو مع النص، فيرى

(١) راجع: اللغة وبناء الشعر د. حماسة عبد اللطيف ٣٢ – ٣٣.

«الانطلاق من النحو في تفسير النصّ الأدبي، إذ إنَّ النصّ لا يمكن أن يتنصص إلا بمفتل جدلية من البنية النحوية والمفردات، وعند محاولة فهم أي نصّ وتحليله لا بدّ من فهم بنائه النحويّ على المستوى النحوي أو مستوى الجملة ... ومفهوم النحو أوسع من المفهوم الذي يحصره في دائرة الإعراب الضيقة»[1].



(١) النحو والدلالة ١٤٠.

من النظريات الحديثة في التراكيب

مدرسة النحو التوليدي التحويلي

ظهر اتجاه «النحو التوليدي التحويلي على يد العالم اللغوي الأمريكي «نوعم تشومسكي» Chomsky في النصف الثاني من القرن العشرين، حيث يبدأ تشومسكي تحليله بالجملة ثمَّ ينطلقُ منها إلى المعاني ثم الأصوات. وهو في ذلك متأثرٌ بأستاذه «هاريس».

التوليدي: هو علمٌ يرى أنَّ في وسعِ أيَّةِ لغةٍ أنْ تنتج ذلك العددَ اللانهائي من الجُمَلِ التي تردُ بالفعل في اللغة.

التحويلي: هو العلم الذي يدرسُ العلاقاتِ القائمةَ بين مختلفِ عناصرِ الجملة.

- يرى التحويليون أنَّ العملياتِ التحويلية تندرج تحت الأنواع الثلاثة الرئيسية: الحذف – الزيادة – إعادة الترتيب – التقديم ...

يقول الدكتور رمضان عبد التواب: «وقد أفاد تشومسكي من تقسيم «دي سوسير» ت ١٩١٣م السابق للغة إلى: لسان وكلام، وأطلق على النوع الأول: مصطلح الكفاءة وعلى الثاني: مصطلح الأداء. ويقصد بالكفاءة: ما يكونُ عند المتكلم باللغة – من أبنائها – من معرفةٍ حَدْسِيَّةٍ غير واعيةٍ بالأصواتِ والمعاني والنحو. أمَّا الأداء فهو عبارة عنْ الممارسةِ اللغويةِ الفعليَّةِ في الحياةِ اليوميَّة».

- كما تقول نظرية تشومسكي على العلاقة بين البنية العميقة والبنية السطحية، نحو:

* كتبَ أحمدُ رسالةً إلى والده ←بنية عميقة.

أحمدُ كتبَ رسالةً إلى والده.
أحمدُ كتبَ إلى والده رسالةً
كتبَ أحمدُ إلى والده رسالةً.
رسالةً كتبَ أحمدُ إلى والده.
رسالةً كتبَ إلى والده أحمدُ.
} سطحية.

- ويمكن أن يعدّ التلوين في الخطاب في القراءات القرآنية شكلا من أشكال التحويل في التركيب، مما يؤدي إلى تغير في التركيب النحوي، ومن هنا يحدث تغيير في الدلالة، وهذا يثري المعني، ويجعله متعددًا وخصبًا، بل إنه وجه من وجوه ثراء العربية الفصحى وقوتها، وبالتالي إبراز الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، قال تعالى ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [المنافقون/ ٦٣/ ٨]. وقراءة الجمهور «لَيُخْرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ» (الأعزُّ) فاعل. (الأذلَّ) مفعول به. وقريء: «لَيَخْرُجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ» بفتح الياء، لأن الحال واجبة التنكير، فإن قدَّرت الأذلَّ مفعولا مطلقا على حذف مضاف، أي خروج الأذل، كما قدّره الزمخشري لم يحتج إلى دعوى زيادة «أل»»[1]. وقرأ الحسن

(١) مغني اللبيب ١/ ٦٤.

وابن أبي إسحاق وابن أبي عبلة «لَنُخْرِجَنَّ الأعزَّ منها الأذلَّ» «الأعز: مفعول به» «الأذل: حال». وأجاز الكوفيون ويونس والبغداديون مجيء الحال معرفة. وقرئ «لَيُخْرَجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ» «الأعز: نائب فاعل» الأذل: حال»[1]. ومما سبق يستبين لنا أن تغير التركيب والحركة الإعرابية يؤدي إلى تغيير الدلالة.



(١) راجع: معجم القراءات. د/ عبد اللطيف الخطيب ٩/ ٤٧٦. وهمع الهوامع ٤/ ١٨.

رابعًا: مستوى الدِّلالة «علم الدلالة» semantics:

أُطْلِقَتْ عليه عِدَّةُ أسماءَ في اللغة الإنجليزية أشهرها كلمة Semantics، وأمّا في اللغة العربية فَيُطْلَقُ عليه علم الدِّلالة – وتُضْبَطُ بفتح الدال وكسرها –.

تعريفه: هو العلم الذي يدرس المَعْنَى.

* علاقة علم الدِّلالة بفروع علم اللغة:

١) قد يؤثر الصوتُ على المعنى، مثل تبادل الفونيم؛ النَّـبْر، والتنغـيم، والمقطـع الصوتي، والمَفْصِل. وقد تناولنا ذلك في أثناء حديثنا عن المستوى الصوتي.

٢) دراسة المورفيم تؤثر على المعنى مـن خـلال الـسوابق واللواحـق والحـشو. وسبق شرحه في المستوى الصوتي.

٣) دراسة الوظيفة النحوية لكل كلمة داخل الجملة تؤثر على المعنى من خـلال التقـديم، والتـأخير، والـذكر، والحـذف، والعلاقـة الإعرابيـة، والزيـادة. وتناولناه في المستوى النحوي.

تعيشُ هند في القاهرة.

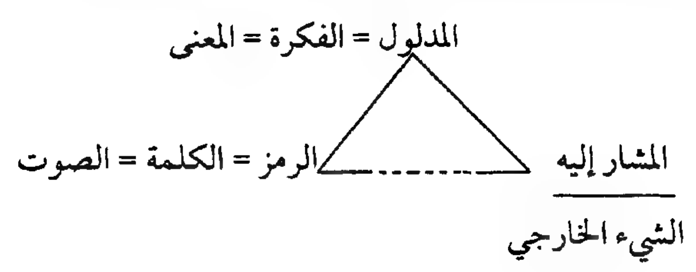
هندُ تعيشُ في القاهرة.

في القاهرة تعيشُ هند.

نظريات دراسة المعنى

١- النظرية الإشارية Referential theory

أصحاب هذه النظرية أوجدن وريتشاردز في كتابهما المشهور the Meaning of Meaning معنى المعنى ونوضح فكرة هذه النظرية من خلال هذا المثلث:



* وتَعْني النظرية الإشارية أنَّ مَعْنَى الكلمة هو إشارتها إلى شيء غيرِ نفسها.

وهناك رأيان:

١) معنى الكلمة هو ما تشير إليه.

٢) معنى الكلمة هو العلاقة بين الرمز والفكرة.



٢- النظرية التصورية **ideational theory**

* وترى النظرية التصورية أن اللغة وسيلة أو أداة لتوصيل الأفكار، ويُلاحظ أنَّ هذه النظرية تركز على الأفكار والتصورات الموجودة في عقول المتكلمين والسامعين بقصد تحديد المعنى. فإذا قلنا «حصان» فكلٌّ مِنْ المتكلم والسامع يملك التصور للحصان، وهذا التصورُ يجعلُ الاتصالَ ممكنًا بين المتكلم والسامع.

١) الرمز «الكلمة».

٢) الصورة في ذهن المتكلم والسامع.

٣) العلاقة بين الرمز والصورة هو المعنى.



٣- النظرية السلوكية Behavioral theory

تركز النظرية السلوكيَّة على كلِّ ما يمكنُ ملاحظته علانية وهي بذلك تخالف النظرية التصورية.

الأسس التي تقوم عليها النظرية:

١) التشكك في كلِّ المصطلحات الذهنية، والاقتصار على ما يمكن ملاحظته مباشرة.

٢) تهتمُّ بدور التَّعَلُّمِ في اكتساب السلوك، وتركز على نسبة الشيء الكثير للبيئة والشيء القليل للوراثة.

٣) تُفَسِّرُ السلوك الإنسانيّ على أنَّهُ نوعٌ من الاستجابة لُمثِيرٍ ما.

٤) رائد هذه المدرسة اللغوي الأمريكي بلومفيلد حيث يرى أنَّ المعنى يقومُ على الإثارة وردّ الفعل، وعرَّفَ مَعْنَى الصيغة اللغوية بأنَّه «الموقفُ الذي ينطقها المتكلمُ فيه والاستجابة التي تستدعيها الاستجابة لموقف. هذا الموقف وتلك الاستجابة هما المعنى اللغوي للصيغة» وأعطى مثال «جاك وأخته جيل».

ويرى بلومفيلد «أن دراسة المعنى أضعف نقطة في الدراسة اللغوية» ويعلق الدكتور مختار عمر فيذهب إلى أنه قد وقع في هذا الوهم - إهمال «بلومفيلد» للمعنى - وهو مهاجمة دراسة المعنى كثيرون من الدارسين؛ ولكن المعنى الذي

هاجمه «بلومفيلد» ليس هو المعنى الذي دافع عنه اللغوي الإنجليزي فيرث firth، بل هاجم «بلومفيلد» المعنى بمفهوم أصحاب النظريتين الإشارية والتصورية، فالأولى تربط المعنى بالموجودات الخارجية، والثانية تربط المعنى بالذهن والعقل. إذن «بلومفيلد» لم ينتقص المعنى بوجه عام، ولكنه انتقص النظرية الإشارية والتصورية في معالجتها للمعنى، بدليل أنه يرى أن دراسة الفونولوجي تتطلب معرفة المعنى.



المدرسة الإنجليزية

نظرية السياق «فيرث» Firth

Context theory

اهتمَّ علماءُ اللغة في المدرسة الإنجليزية بالجانب الاجتماعي، كما اهتمّوا بدراسة السياق وَدَوْرِهِ في تحديدِ المعنى، كما عُنوا بالاستخدام الفعلي للكلمة داخلَ مجتمع معين، ويرى علماء اللغة في هذه المدرسة أنَّ هذا الاستعمالَ يحكمه أمران:

الأول: السياق اللغوي فالكلمة يتحدد معناها بعلاقاتها مع الكلمات الأخرى داخل الجملة.

والثاني: سياق الموقف ومثال ذلك الفعل «يأكل» يختلف معناه حسب السياق اللغوي.

﴿ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ **يَأْكُلُ** ٱلطَّعَامَ ﴾ [الفرقان: ٧] ﴿ وَأَخَافُ أَن **يَأْكُلَهُ** ٱلذِّئْبُ ﴾ [يوسف: ١٣] ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن **يَأْكُلَ** لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ﴾ [الحجرات: ١٢] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ **يَأْكُلُونَ** أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا ﴾ [النساء: ١٠].

السياق اللغوي يوضح لنا معنى الكلمة داخل الجملة.



أسباب النزول لآيات القرآن الكريم بمثابة السياق المقامي أو سياق الموقف

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف: ٣١].

- سبب نزول الآية أنَّ ناسًا من الأعراب رجالاً ونساء كانوا يطوفون بالبيت عراة.
- ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوۡ مُشۡرِكَةٗ وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوۡ مُشۡرِكٞۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [النور: ٣].
- سبب النزول أن المهاجرين عندما قدموا إلى المدينة وفيهم فقراء، وبالمدينة نساء بغايا، يكرين أنفسهن، فرغب فيهن فقراء المهاجرين، فاستأذنوا رسول الله فنزلت الآية:
- ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣].
- سبب نزولها أن وحشيًا أتى إلى النبي فقال يا محمد: إني أشركت بالله، وقتلت النفس التي حرَّم الله، وزنيت، هل لي من توبة يقبلها الله؟ فنزلت الآية.

*** يقوم التحليل اللغوي عند فيرث على ثلاثة أركان:**

١) **السياق أو المقام:** وما يتصل به من ظروف وملابسات تتمثل في:

أ) شخصية المتكلم والسامع وثقافتهما.

ب) الظواهر الاجتماعية وعلاقتها بوقت الكلام.

ج) أثر الكلام على المشاركين.

٢) تحديد البيئة المراد دراستها دراسة لغوية.

٣) تحليل الكلام إلى عناصره ووحداته.

* أمثلة على أثر السياق اللغوي في تقدير المحذوف وفهم المعنى:

يقول الشاعر:

- علفتها تبنًا وماءً باردًا   حتى شتتْ همّالةً عيناها
- تراه كأنَّ اللهَ يجدعُ أنفَهُ   وعينيهِ إنْ مولاه ثابَ له وَفْرُ
- إذا ما الغانيات برزْنَ يومًا   وزجّجْنَ الحواجب والعُيونا

- الفتنة نائمة ← لعن الله مَنْ أيقظها.
- إنَّ البقر تشابه علينا.
- لا حكم إلا لله ← كلمة حق يراد بها باطل.

يقول عمر بن أبي ربيعة:

أومتْ بعينيها من الهودج   لولاكَ هذا العامَ لم أحْجُجْ

المراجع

١) إتحاف الحثيث بإعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث، لأبي البقاء العكبري الحنبلي، تحقيق محمد إبراهيم سليم، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ١٩٩٠م.

٢) أسس علم اللغة، لماريو باي، ترجمة الدكتور أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة ١٩٧٣م.

٣) أصوات اللغة، دكتور، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٥م.

٤) الأصوات اللغوية، دكتور إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٥م.

٥) الأصوات اللغوية، دكتور محمد علي الخولي، مكتبة الخريجي، الرياض، ١٩٨٧م.

٦) الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر بيروت، لبنان، ١٩٥٢م.

٧) دراسة السمع والكلام، د. سعد مصلوح، عالم الكتب، القاهرة ٢٠٠٠م.

٨) دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٠م.

٩) سر صناعة الإعراب، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق د/ حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ١٩٩٣م.

١٠) الكتاب، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨م.

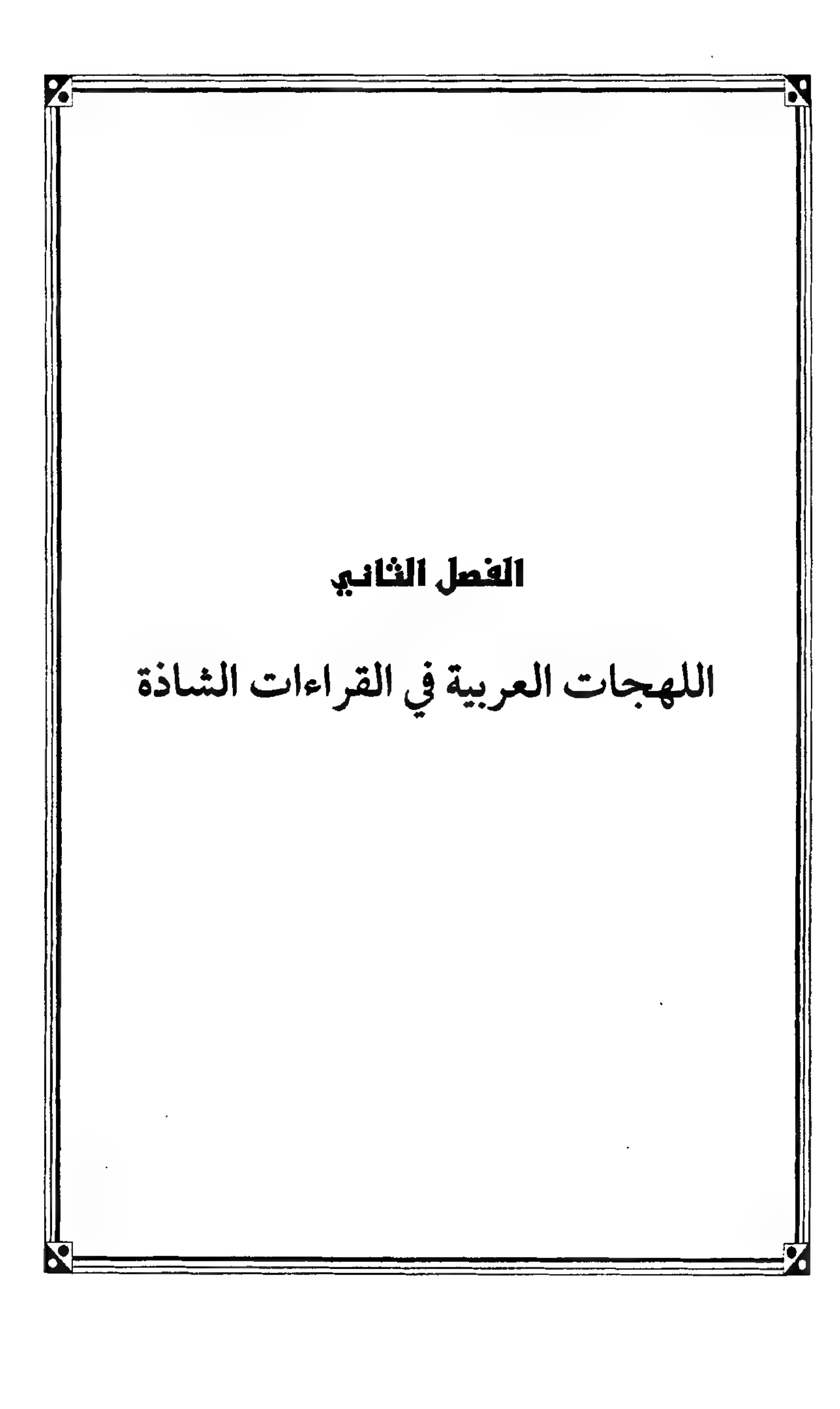
١١) المدخل إلى عالم اللغة، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٥م.

١٢) المفصل في صنعة الإعراب، للزمخشري، تحقيق د. خالد إسماعيل حسان، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٦م.

١٣) مناهج البحث اللغوي، د. تمام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة، ١٩٩٠م.

١٤) النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، راجعه على محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.





الفصل الثاني

اللهجات العربية في القراءات الشاذة

الفصل الثاني

اللهجات العربية في القراءات الشاذة

تمهيد: القراءات واللهجات

* أولاً: التمييز بين اللغة واللهجة:

* **تعريف اللغة:** «تشتمل عادة على عدَّة لهجات لكلٍّ منها ما يميزها. وجميع هذه اللهجات تشترك في مجموعة من الصفات اللغوية والعادات الكلامية التي تؤلّف لغة مستقلة». د. أنيس، في اللهجات العربية.

* **تعريف اللهجة:** «هي مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة». د. أنيس، في اللهجات العربية.

- وعلاقة اللهجة باللغة هي علاقة الخاص بالعام.
- وأكثر الاختلاف بين اللهجات في مستوى الأصوات.
- استخدم القدامى كلمة «لغة» وقصدوا بها اللهجة.



القراءات: نشأتها وتطورها

* الرسول هو متلقي الوحي، وأول قارئ للقرآن الكريم.
* تفسير الحديث «إنَّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف».
* كيف حُفِظَ القرآن الكريم في عهد الرسول والخلفاء الراشدين؟.
* الفرق بين نَقْط الإعراب ونَقْط الإعجام.
* الخط الذي كُتب به المصاحف لم يكن مشكولاً «معربًا»، ولا منقوطًا «معجما».
* اختلف الصحابة في قراءة القرآن والرسول بين ظهرانيهم.
* أبرز القرّاء من المهاجرين والأنصار.
* خرج الصحابة مع الفتوحات الإسلامية ليعلموا الناس القرآن.
* اختلاف اللهجات العربية سبب في اختلاف القراءات.



* **كتاب القراءات السبع لابن مجاهد ت ٣٢٤هـ:**

١) أبو عمرو بن العلاء. قارئ البصرة ت ١٥٤هـ.

٢) ابن عامر الدمشقي. قارئ الشام ت١١٨هـ.

٣) ابن كثير المكي **الفارسي الأصل**. قارئ مكة ت ١٢٠هـ.

٤) نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم. قارئ المدينة ت ١٦٩هـ.

٥) عاصم بن أبي النجود الأسدي. **قارئ الكوفة ت** ١٢٧ .

٦) حمزة بن حبيب الزيات. **قارئ الكوفة ت** ١٥٦هـ.

٧) الكسائي: **فارسي الأصل. قارئ الكوفة** ت١٨٩هـ.

* **القرّاء الثلاثة المُكَمّلون العشرة:**

١) أبو جعفر: يزيد بن القعقاع. وهو شيخ نافع ت١٣٠هـ.

٢) يعقوب بن إسحاق الحضرمي. قارئ البصرة ت٢٠٥هـ.

٣) خلف بن هشام البزار البغدادي. تلميذ حمزة ت٢٢٩.

القرّاء الأربعة المُكمّلون الأربعة عشر:

١) ابن محيصن. من مكة ت١٢٣هـ.

٢) اليزيدي. من البصرة ت٢٠٢هـ.

٣) الحسن البصري. من البصرة ت١١٠هـ.

٤) الأعمش. من الكوفة ت١٤٨هـ.

القراءات مصدر أصيل لدراسة اللهجات

* القراءات مرآة صادقة تعكس الواقع اللغوي للهجات.

* شرط التلقي والعرض في القراءة.

* كثير من القُرَّاء كان على علم بالعربية. مثل أبي عمرو بن العلاء والكسائي.

*** بعض القضايا الخلافية بين القُرّاء والنحاة:**

١) نقد أبي علي الفارسي لقراءة أبي عمرو بن العلاء في قوله:

{فَنِعِمَّا هِيَ} ⟵ {فَنِعْمَّا هِيَ} [البقرة: ٢٧١].

٢) نقد ابن جنّي لقراءة أبي عمرو بن العلاء في قوله:

{مَالكَ لا تَأْمَنَّا على يوسفَ} ⟵{مَالكَ لا تَأْمَنُنَا على يوسفَ}.

٣) نَقْدُ أبي علي الفارسي وابن جنّي لقراءة أبي عمرو بن العلا:

{فَتُوبُوا إلى بارِئِكُمْ} ⟵ {فَتُوبُوا إلى بارِئْكُمْ} [البقرة: ٥٤].

٤) نقد المازني لنافع في قراءة

{وَجَعَلْنَا لَكُمْ فيها مَعَايِشَ} ⟵{وَجَعَلْنَا لكم فيها مَعَائِشَ} [الأعراف: ١٠].



اللهجات العربية في القراءات الشاذة
دراسة صوتية في ضوء اللسانيّات العربية المعاصرة

تمهيد

إنّ دراسة اللهجات العربية القديمة تفيد في معرفة مصادر القـراءات القرآنيـة الشاذة ، فقد احتفظت هذه القراءات الشاذة بظواهر صوتية مهمة ، مرجعها اختـلاف اللهجات العربية القديمة ، وتكاد تنحصر الاختلافات اللهجية في المستوى الصوتي في غالب الأحيان ، والقراءات الشاذة كنز لغوي كبير لمّا يُعرف خبؤه ،ففيها مادة لغويـة كبيرة تفيد في الدراسات اللسانية العربية المعاصرة ، إذ تعكس لنا الواقع اللغوي الذي كان منتشراً في الجزيرة العربية قبل الإسلام ،فهي تسلّط الضوء على العربية الفصحى واللهجات العربية القديمة والمجموعة السامية ؛لأنّ العربية حافظـت علـى مزاياهـا السامية .

والقراءات الشاذة نازعة بالثقة إلى قرّائها ، وضاربة في صحة الرواية بجرانها ،إذ يتوفر فيها صحة السند إلى رسول الله ــ عند جمهور العلمـاء ــ وتخـالف أحـد الشرطين الباقيين ؛ وهما موافقة العربية ولو بوجه ، وموافقة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا ، ومن الملاحظات الجديرة بالذكر هنا أنها تحتوي على ظـواهر لهجيـة صوتية غير شائعة في العربية الفصحى ،فهي تمثّل مرحلة من مراحل التطور الصوتي في تاريخ العربية الفصحى ،كما أنّ دراسة اللهجات القديمة من خلال القراءات الشاذة يفيد في توضيح الخلاف بين العلماء العرب حول هل العربية الفصحى لغـة قـريش وحدها أم أنها لغة مشتركة بين العرب جميعا؟ كما يحاول البحث رسم صورة صحيحة

ودقيقة عن اللهجات العربية القديمة من خلال القراءات الشاذة ، والذي شجعني على كتابة هذا البحث ما وجدته من قلة الدراسات اللسانية الصوتية في القراءات الشاذة وربطها باللهجات العربية ، فضلا عن مرور أكثر من ثلاثين عاما على أبرز المصنفات العربية في اللهجات والقراءات ، كما أن المكتبة العربية بحاجة ماسة إلى الكشف عن القيمة العلمية الكبيرة للقراءات الشاذة .

ومن أهداف هذا البحث معرفة بعض التغيّرات الصوتية التي مرّت بها اللغة العربية من خلال إلقاء الضوء على اللهجات العربية القديمة ، اعتماداً على القراءات الشاذة ،فربّما تفيد نتائج هذا البحث في إعادة النظر كرة أخرى في مقولات شائعة عن تاريخ العربية ولهجاتها ،ويحاول البحث تفسير ما وصفه العلماء العرب بالشذوذ وتحليله بالاستعانة بالنظريات الحديثة في اللسانيات الصوتية ؛لاستكناه القيمة العلمية لما وسم بالشذوذ ،فنقارن بين الفصحى واللهجات وبين الأخيرة واللغات السامية أحيانا ؛ لنعرف الظواهر الصوتية الأعرق تاريخيا في حياة اللغة العربية،كما يجتهد هذا البحث في الكشف عن مواطن الاختلاف الصوتي في اللغة العربية ، وتفسير مظاهر ذلك ، وأسبابه ، وعلله . كما يحاول البحث استدراك بعض الظواهر، ممّا فات المعاجم اللغوية العربية القديمة في بعض الظواهر الصوتية .

ويجمع هذا البحث بين ثلاثة علوم : علم اللهجات، وعلم القراءات ، وعلم الأصوات ، والسمة الغالبة عليه هي الناحية التطبيقية من خلال النصّ القرآني ، فيعرض القراءات الشاذة ، فيعزوها لأصحابها من القرّاء، ثمّ ينسبها إلى لهجتها ، ثمّ يقارنها بالقراءات الصحيحة من الناحية الصوتية ،بادئا بآراء اللسانيين العرب القدماء ، ثمّ آراء اللسانيين العرب المعاصرين ، مضافا إليهم المستشرقين إنْ وجدت لهم آراء وفقا للمسألة اللغوية ،واصفا الظاهرة الصوتية ومحاولا تفسيرها وتحليلها لاستكناه حقيقتها ، وللوصول إلى موقف علميّ أمثل بقدر الإمكان .

ويشتمل هذا البحث على تمهيد ، وخمسة مباحث ، وخاتمة ، والهوامش ، والمصادر والمراجع التي اعتمد عليها ، **وهي كالآتي :**

ـ التمهيد : يتناول أهمية البحث ، والأسباب التي دعت إليه ، وأهدافه ، ومنهجه .

ـ المبحث الأول : التغيّرات التاريخية الصوتية .

ـ المبحث الثاني : الهمز والتخفيف .

ـ المبحث الثالث : بين الصوامت والصوائت .

ـ المبحث الرابع : الإدغام " المماثلة " ويحتوي على الإدغام الأكبر ، والإدغام الأصغر ، وهذا الأخير يشتمل على الإمالة ، والإتباع بين الصوائت ، والإتباع بين الصوامت .

ـ المبحث الخامس : ألقاب لهجية في القراءات الشاذة .

ـ الخاتمة : وفيها نعرض أهم نتائج البحث .

والله ولي التوفيق والسداد

د . خالد حسّان

اللهجات العربية في القراءات الشاذة

دراسة صوتية في ضوء اللسانيات العربية المعاصرة

أولاً ــ التغيرات التاريخية الصوتية :

لا شك في أنّ دراسة القراءات الشاذة تفيد في معرفة التغيّرات الصوتية في اللغة العربية ، إذ نجد فيها أحيانا ظواهر صوتية هي أعرق تاريخيا من القراءات الصحيحة والمتواترة ،كما تكشف عن مدى حفاظ العربية على الصوامت كاملة إلى حد كبير ، ويتضح ذلك عند مقارنة العربية بأخواتها من اللغات السامية ،يقول أدولف تنتس : " على الرغم من أنّ العربية الفصحى بالنسبة إلى أخواتها اللغات السامية لم تحدد كتابيا إلا في فترة متأخرة جداً ، أي في القرن السابع الميلادي ، فقد حافظت مع ذلك على بنية غاية في القدم ، تجعلها في مصافّ الأكادية والأوجريتية ولا يظهر قِدَمُها في حفاظها على حالات الإعراب السامية للاسم ؛ بل يتجلّى في المجال الصوتي بوجه خاص "[(١)] .

وفيما يلي بعض الأمثلة التي تبين لنا بعض الغايات المنشودة من دراسة القراءات الشاذة صوتيا ، مع ربطها باللهجات العربية القديمة ،أملا في رصد الواقع اللغوي الصوتي للهجات العربية كما تمثله القراءات القرآنية الشاذة ،فنجعل الحكم للنصّ اللغوي "القراءات الشاذة" ،فهو أولى أن يكون الحكَم والمهيمن على آراء الدارسين للغة.

قال الله عزّ وجلّ {وهم من كلّ حَدَبٍ ينسلون}[(٢)] فقرأ الجماعة "حَدَب" بالباء ، وقرأ ابن مسعود وابن عباس والكلبي والضحاك ومجاهد وأبو الصهباء [(٣)] " جَدَث" بالثاء ، وهو القبر ، وهو لغة أهل الحجاز ،وقرئ "جَدَف" بالفاء ، وهو القبر ،وهو لغة تميم ،ويذهب ابن

---

(١) لمجموعة من المستشرقين المعاصرين حررها فولفديتريش فيشر ، دراسات في العربية أصولها ،مراحلها التاريخية ، بنيتها ، لهجاتها ، علاقاتها بأخواتها السامية ، ترجمة سعيد حسن بحيري ، الطبعة الأولى ، القاهرة مكتبة الآداب ، سنة ٢٠٠٥م ، ص ١٦١ .

(٢) سورة الأنبياء ٢١ / ٩٦ .

(٣) أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، القاهرة ، مطبعة السعادة ، بدون تاريخ ، ص ٦ / ٣٣٩ . وأيضا : أبو الفتح عثمان بن جنّي ، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات ، تحقيق علي النجدي ناصف ، وعبد الحليم النجار ، وعبد الفتاح إسماعيل شلبي ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، دار سزكين للطباعة والنشر ، سنة ١٩٨٦ م ص ٢ / ٦٦ ، وانظر : عبد اللطيف الخطيب ، معجم القراءات ، الطبعة الأولى ، دمشق ، دار سعد الدين ، سنة ٢٠٠٢ م ، ص ٦ / ٥٩ .

جني إلى أنّ الفاء في "جَدَف" بدل من الثاء في "جَدَث" . ثمّ يذكر رأيا ثانيا في هذه المسألة فيقول : "وقد يجوز أن يكونا أصلَيْنِ ،إلاّ أن أحدهما أوسع تصرفا من صاحبه "[1] ومن ثَمّ يطرح ابن جنّي احتمالين اثنين في تفسير ورود الكلمة بالثاء مرة وبالفاء أخرى .

ولكنْ نجد من اللسانيين العرب المعاصرين مَنْ يأخذ بالاحتمال الأول ،فيرى أن الفاء متطورة عنْ الثاء ؛لأن معرفتنا باللغات السامية تؤيد ذلك ،كما أن التفسير الصوتي يقبل هذا التطور ،فالأصوات الأسنانية (ث ـ ذ ـ ظ) فيها ثقل في النطق على اللسان ، فتتحول الثاء إلى فاء ، وقد وردت كلمات عدّة بهذا الشكل ،" فهل أصل الكلمة في العربية بالثاء أم بالفاء ؟ إن في معرفتنا باللغات السامية الإجابة على ذلك ؛ فإن الشين العبرية ،التي تقابل تاء في الآرامية ، تقابل ثاء في العربية ،وتلك قاعدة مطردة في مقارنات أصوات اللغات السامية. "[2]

وثمّة مثال آخر من القراءات الشاذة نلحظ فيه هذا التطور الصوتي { فادع لنا ربك يُخرجْ لنا مِمّا تُنْبتُ الأرض من بقلها وقثّائها وفُومها وعَدَسِها وبصلها}[3] فقرأ ابن مسعود ،وابن عباس ، وأُبَيّ "وثومها" بالثاء ، على حين في القراءة الصحيحة قُرِئ "وفومها" بالفاء ،وقياسا على ما قيل في الآية السالفة الذكر يتضح أن "فومها" بدل من "ثوميا" ، حيث الفاء تمثل مرحلة متطورة عن الثاء ،كما أننا يمكن أن ننسب قراءة "فومها" إلى تميم ،وننسب قراءة"ثومها" إلى الحجازيين ،وذلك قياسا على القراءة السابقة في سورة الأنبياء .

---

[1] ابن جنّي ، المحتسب ، ص ٢ / ٦٦ .

[2] رمضان عبد التواب ، فصول في فقه العربية ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٨٧ م ، ص ٤٧ .

[3] سورة البقرة ٢ / ٦١ ، وانظر : ابن جنّي ، المحتسب ، ص ١ / ٨٨ ، وعبد اللطيف الخطيب ، معجم القراءات ، ص ١ / ١١٢ .

ويستبين ممّا سبق أن القراءة الشاذة وثيقة تاريخية تلقي الضوء على تاريخ العربية واللهجات العربية القديمة ،فتكشف لنا عن التغيرات الصوتية التاريخية لبعض الألفاظ في اللغة العربية ،فقد تمثل القراءة الشاذة مرحلة هي أعرق تاريخيا من القراءة الصحيحة . وثمّة ملاحظة جديرة بالاهتمام ،وهي أن لهجة تميم ليست دائما أقدم أشكال النطق ، والآيتان السابقتان توضحان ذلك ،كما أن الاختلاف بين القراءات دليل على الاختلاف الصوتي بين اللهجات ،إذ إنّ القراءة صورة دقيقة ونقية للهجات العربية القديمة .

ثانيا ــ الهمز والتخفيف :

أخذ العرب خطهم الذي كتبوا به اللغة العربية عن النبط ؛ وهم شعب عربيّ ساميّ كان يتكلّم باللغة الآرامية ،وهؤلاء الأنباط أخذوا خطهم عن الفينيقيين ،وأول ما شاع هذا الخط بين العرب كان على يد الحجازيين ،ومعروف عن الحجازيين أنهم لا يهمزون في كلامهم ،وقد كان النبط يكتبون الألف كرمز للهمزة ، فضلا عن عدم وجود رمز خاصّ بالهمز حينئذ ، ومن هنا حدث الخلط في الرسم الإملائي للهمزة ، وقد أخذت العربية الفصحى الهمز عن تميم ،ثمّ وضع الخليل رمز الهمزة ،وقد اختلف القدماء فيما بينهم في رسم الهمزة .

ومخرج صوت الهمزة عند سيبويه من أقصى الحلق ،كما أنه صوت مجهور ، يقول إمام النحاة :" ولحروف العربية ستة عشر مخرجا : فللحلق منها ثلاثة . فأقصاها مخرجا : الهمزة والهاء والألف ... فأما المجهور فالهمزة ... "[1] ؛ غير أن اللسانيين العرب المعاصرين يرون أن مخرج الهمزة من الحنجرة ، من منطقة الوترين الصوتيين ، فعند النطق بها ينطبق الوتران الصوتيان انطباقا تاما ، لا يسمح بمرور الهواء ، ثمّ ينفتح الوتران الصوتيان فجأة ،وعلى هذا الوصف يتفق اللسانيّون العرب

---

[1] أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر سيبويه ، الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، سنة ١٩٨٢ م ، ص ٤ / ٤٣٣ ــ ٤٣٤ ، وانظر : موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي ، شرح المفصل ، القاهرة ، مكتبة المتنبي ، بدون تاريخ ، ص ٩ / ١٠٧ .

المعاصرون ؛ لكنهم يختلفون فيما بينهم في صفة صوت الهمزة ،فيذهب الدكتور إبراهيم أنيس إلى أن الهمزة " صوت شديد لا هو بالمجهور ولا بالمهموس "[1] وقد ذهب مذهبه كلّ من الدكتور محمود السّعران[2] ،والدكتور كمال بشر[3] ،والدكتور عبده الراجحي[4] . وأما الرأي الآخر فيرى أن الهمزة صوت حنجري شديد مهموس مرقق " وتأتي جهة الهمس في هذا الصوت من أن إقفال الأوتار الصوتية معه لا يسمح بوجود الجهر في النطق."[5] ، وقد أخذ برأي الدكتور تمّام حسّان كلّ من الدكتور عبد الرحمن أيوب[6] ، الدكتور رمضان عبد التواب[7] .

وفي رأيي أن اللهجات العربية القديمة تقف من الهمزة ثلاثة مواقف فقط ؛ تحقيقها ، وحذفها مع الحفاظ على حركتها ،وإبدالها ،فشاع عن معظم بني تميم ميلهم إلى تحقيق الهمزة ،على حين عُرِفَ عن أغلب أهل الحجاز تسهيل الهمزة ،يقول أبو زيد :" أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة والمدينة لا ينبرون .وقف عليها عيسى بن عمر فقال : ما آخذ من قول تميم إلاّ بالنبر ، وهم أصحاب النبر ، وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا ."[8]

---

(1) إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، سنة ١٩٩٥ م ، ص ٩١ .

(2) محمود السّعران ، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، سنة ١٩٩٧ ، ص ١٣٢ .

(3) كمال بشر ، علم الأصوات ، القاهرة ، دار غريب ، سنة ٢٠٠٠ م ، ص ١٧٥ .

(4) عبده الراجحي ، اللهجات العربية في القراءات القرآنية ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٨ م ، ص ١٠٥ .

(5) تمّام حسّان ، مناهج البحث في اللغة ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٩٠ م ، ص ٩٧ " يقصد بالأوتار الصوتية الوترين الصوتيين " .

(6) عبد الرحمن أيوب ، أصوات اللغة ، القاهرة ، مكتبة الشباب ، بدون تاريخ ، ص ٢١٧ .

(7) رمضان عبد التواب ، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، الطبعة الثالثة ، القاهرة: مكتبة الخانجي ، ١٩٩٧ م ، ص ٥٦ .

(8) جمال الدين محمد بن مُكَرَّم الأنصاري الإفريقي المصري المعروف بابن منظور ، لسان العرب القاهرة ، بولاق ، ١٣١٦ هـ ـ ١٣١٧ هـ ، ص ١ / ١٤ ، انظر مقدمة المعجم .

والهمزة صوت ثقيل في النطق ، ومن ثمّ ساغ فيه التخفيف عند اكثر اهل الحجاز كما أن صوت الهمزة لا يُدغم في صوت غيره ،ولا يُدغم أيّ صوت فيه بسبب ثقله في النطق . وقد ذكر العلماء العرب القدماء أن الهمزة يحدث لها حالات عدة ؛ التحقيق ، وبين بين ، والإبدال ، والحذف ، والاختلاس ،يقول سيبويه:"اعلم أن الهمزة تكون فيها ثلاثة أشياء : التحقيق ، والتخفيف ، فتصير الهمزة فيه بين بين ، وتُبدل ، وتُحذف."[1]

وهمزةُ بين بين عند العلماء العرب القدماء يقصدون بها أن يكون النطق قريبا بينها وبين حركتها ، فعندما تكون الهمزة مفتوحة تُنطق بينها وبين الفتحة ،وعندما تكون مكسورة تُنطق بينها وبين الكسرة ، وعندما تكون مضمومة تُنطق بينها وبين الضمة ؛ ولكنْ منَ اللسانيين العرب المعاصرين مَنْ يُنكر ذلك ، فيرى أن تخفيف الهمزة ليس بأن تكون بين بين ،ولكنّه التقاء لحركتين قصيرتين متتابعتين بعد سقوط الهمزة ، فالتخفيف في حقيقة أمره هو حذف للهمزة من النطق." والدليل على أن التخفيف هو التقاء حركتين بعد سقوط الهمزة أن النحاة واللغويين لم يتحدثوا عن هذا التخفيف ، أو همزة بين بين ، حين تكون الهمزة ساكنة بعد حركة ، أو متحركة بعد ساكن ، على الإطلاق ، فإن ما يترتب على سقوط الهمزة في الحالة الأولى ، هو إطالة الحركة السابقة عليها ... فليس التخفيف إلاّ حذفا للهمزة من النطق ،والتقاء للحركتين ،إن كانت الهمزة متحركة بعد حركة ..."[2] ، وإنّي لأتفق مع هذا الرأي ، إذ حدث انزلاق "GLID e" لحركة الكسرة القصيرة الواقعة تحت الراء ،فامتزجت بحركة الكسرة القصيرة الثانية بعد حذف الهمزة ،فنشأت حركة طويلة بالكسرة،هذا من الناحية الفوناتيكية ،وأمّا من الناحية الفونولوجية فقد حُذفت الحركة القصيرة بالكسرة ،وبقيت الهمزة من دون حركة ، وهذا لم يستسغه كثير من العلماء القدماء .

---

[1] سيبويه ، الكتاب ، ص ٣ / ٥٤١ .

[2] رمضان عبد التواب ، مشكلة الهمزة العربية ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٩٦ م ، ص ٣٣ ــ ٣٤ .

وأمّا الاختلاس عند العلماء العرب القدماء فيعنون بــه الإســراع فــي النطــق بالصوت ، وعدم تمكين النطق بحركة الصامت ، فهو يقابل التحقيق والتأني في النطق بحركة الصامت ، وصاحب مصطلح الاختلاس هو سيبويه ،فقد برر به تسكين الهمزة في قوله تعالى {فتوبوا إلى بارئكم}[1] في قراءة أبي عمرو بن العلاء ، فذكر سيبويه أن أبا عمرو قام باختلاس حركة الهمز لا حذفها . وإسكان الهمزة هنا لغة تُعزى إلى بني أسد وتميم ،طلبا للتخفيف ، يقول ابن جنّي : "مختلسا غير ممكن كسر الهمــزة ،حتــى دعا ذلك من لطف عليه تحصيل اللفظ أنْ ادّعى أنّ أبا عمرو كان يسكن الهمزة ،والذي رواه صاحب الكتاب اختلاس هذه الحركة لا حذفها البتة ."[2] بيد أنّ بعض اللــسانيين المعاصرين يرى أنّ الاختلاس هو إسقاط للهمزة ،ونطق للحركة التي تليها ، ومن ثــمّ نجد عملية تتابع بين حركتين متتاليتين ،"الاختلاس في حقيقته إسقاط للهمــزة ،ونطــق للحركة التالية لها ،دون ضغط على المزدوج ينشئ ياء أو واواً ،فهو مجرد تتابع بــين حركتين . "[3]

ومما سبق نلحظ تشابها واضحا بين حالتي همزة بين بين ، والاختلاس ،حيث يحدث فيهما سقوط للهمزة ،وإبقاء حركتها ،فتلتقي حركتها بحركــة الــصامت قبلهــا ،فيحدث انزلاق "glide " ،فعند الانتقال من النطق بحركة إلى النطق بحركــة أخــرى متتالية يحدث ثبات نسبي للتجاويف العليا ،ويعقبه انتقال لأعلى جزء من اللــسان إلــى حيز آخر داخل موضع الحركات ،إذ يشكل وضع اللسان مع الشفتين مخرجا للحركات ،"وبهذه العملية النطقية ينزلق اللسان من وضع النطق بحركة ما ، إلى وضع النطــق

---

[1] سورة البقرة ٢ / ٥٤ ، وانظر : سيبويه ، الكتاب ٢ / ٢٩٧ .

[2] أبو الفتح عثمان بن جنّي ، الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، الطبعة الثانية ، بيروت ، دار الهدى ، للطباعة والنشر ، ١٩٥٢ م ، ص ٢ / ٥٤ .

[3] برتيل مالمبرج ، علم الأصوات ، تعريب ودراسة عبد الصبور شاهين ، القاهرة ، مكتبة الشباب ١٩٨٤م، ص ٨٣ .

بحركة أخرى مباشرة، فيكون الناتج حركة مزدوجة أو مركبة "diphthong"، ومعنى الازدواج هنا أن لدينا حركتين متتابعتين غير مفصولتين بصامت"[١].

ونود هنا أن نشير إلى أن مفهوم الاختلاس قد يكون إسقاطًا للحركة أو للحرف، فقد ذهب المبرد إلى أنه إسقاط للحركة؛ أي تسكين الحرف، وفسّره سيبويه بأنه إسراع في النطق، على حين ذهب بعض المعاصرين – كما ذكرنا آنفا – إلى أنه إسقاط للهمزة، ومسألة إسقاط الحركة في وسط الكلمة مقبولة عند العلماء؛ غير أن إسقاط حركة الحرف الأخير الإعرابية موضع خلاف بين العلماء، وليس هنا موضع مناقشتها.

ومن مواضع تخفيف الهمزة في اللغة العربية حذفها في لهجة أهل الحجاز، وبعض بني تميم، ففي قوله تعالى {سَلْ بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بَيِّنة}[٢] قرأ الجمهور "سَلْ" بحذف الهمزة ونقل حركتها إلى ما قبلها وهو صوت السين، وتعزى هذه القراءة إلى أهل الحجاز، على حين قرأ ابن عباس "اسْأَلْ" بالهمز، وهي لهجة تميم، وقرأ قوم[٣] "اِسَلْ" وتنسب إلى بعض بني تميم.

ونستطيع بعد هذا أن نخلط أنّ من قرأ "اِسَلْ" فقد نقل حركة الهمزة بعد حذفها إلى السين، وأبقى على همزة الوصل في أول الكلمة، وتفسير اللغويين القدماء لذلك أن الهمزة المتحركة إذا كان قبلها حرف ساكن مثل "اِسْأَلْ" وأردت تحفيفها، حذفتها

---

(١) سعد عبد العزيز مصلوح، دراسة السمع والكلام، الطبعة الأولى، القاهرة، عالم الكتب ٢٠٠٠م، ص٢١١.

(٢) سورة البقرة ٢/٢١١.

(٣) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ص ٢/١٢٦، وعبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، ص٢/٢٨٨.

وألقيت حركتها على الحرف الساكن قبلها، وهو هنا صوت السين، وبهذا الرأي يأخذ اللغويون العرب المعاصرون[1].

وأمّا عزو قراءة "اِسَلْ" إلى بعض بني تميم المشهور عنهم الهمز في الكلام بسبب تأثر القبائل العربية بعضها ببعض عند الاتصال فيما بينهم في الأسواق العربية (عكاظ – ذي المجنة – عمان – صحار – الشجر...)، والحروب، والتجارة، وموسم الحج وغير ذلك، ومن ثمّ لانعدم من بعض بني تميم مَنْ يخفف الهمزة في "اِسلْ".

وإذا حاولنا تحليل ما سبق عن طريق التقسيم المقطعي نلحظ أن "سَلْ" تتكون من مقطع صوتي واحد [ص + ح + ص]، على حين "اِسْأَلْ" تتكون من مقطعين اثنين، الأول [اِسْ] ص + ح + ص، والثاني [أَلْ] ص + ح + ص، وأما كلمة "اِسلْ" فتتكون من مقطعين اثنين، الأول [اِ] ص + ح، والثاني [سَلْ] ص + ح + ص، هذا من الناحية الفونولوجية. وأما من الناحية الفوناتيكية فيرى الدكتور تمّام حسّان أنّ همزة الوصل المتحركة بالكسر والصامت الساكن بعدها يتكون من حركة أولاً ثمّ صامت ساكن ثانيًا (ح + ص)، نستنتج إذن أن "اِس" [ح + ص] و "أَلْ" [ص + ح + ص]، ومما سبق يستبين أن ميل أهل الحجاز إلى عدم الهمز في أغلب الأحيان حوّل الكلمة "اِسْأَلْ" من مقطعين إلى مقطع واحد "سَلْ". وهذا يبرز ميل اللغة إلى الإيجاز والاختصار والتقصير في المقاطع الصوتية.

وثمّة مثال آخر نرى فيه حذف الهمزة للتخفيف، عند قوم من بني تميم، ففي قوله تعالى {يُخْرِجُ الخَبْءَ في السموات}[2] قرأ عيسى بن عمر، وأُبَيّ "الخَبَ" بحذف الهمزة، ونقل حركتها إلى ما قبلها، وهو صوت الباء، وقد عزا سيبويه[3] هذه

---

(١) انظر: سيبويه، الكتاب، ص٢/١٦٥، ورمضان عبد التواب، مشكلة الهمزة العربية، ص٣١.

(٢) سورة النمل ٢٧/٢٥.

(٣) سيبويه، الكتاب، ص٤/١٧٧، وأبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ص٧/٦٩.

القراءة إلى قوم من بني تميم ،ومن هنا يتضح تأثر القبائل بعضها ببعض ؛ بسبب الاتصال بينها .

وننتقل إلى حالة أخرى من حالات تخفيف الهمزة وهي التقاء همزتين مفتوحتين ؛ إحداهما همزة الاستفهام ،والأخرى همزة الفعل ،ومثال ذلك { سواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون }[1] فقرأ ابن أبي إسحاق ،والأعمش ، والحسن ،بتحقيق الهمزتين "أأنذرتهم" وهي لغة تميم ، وقرأ ابن عباس ، والأعمش ، " آ انذرتهم " بإدخال ألف بين الهمزتين ، وتسهيل الألف الثانية ،وقد اختار هذه القراءة الخليل وسيبويه ،وهي لغة أهل الحجاز ،وسعد بن بكر[2] .

وإذا حاولنا تحليل هذه الظاهرة صوتيا ،وتفسيرها ،نلحظ أن الهمزة الأولى بقيت لدلالتها على الاستفهام ،فيصعب حذفها لذلك ،وأما الهمزة الثانية فقد سهلت بحذفها ،وبقيت حركتها الفتحة القصيرة ،فالتقت حركتان قصيرتان ؛ الأولى :حركة همزة الاستفهام ،والثانية : حركة همزة الفعل المحذوفة ،ومن أهل الحجاز مَنْ يكره التقاء حركتين قصيرتين متتاليتين ،فأقحم ألفا بينهما ،ورسمت بهذا الشكل " آانذرتهم " وقد قال بهذا الرأي الدكتور رمضان عبد التواب " فليس التخفيف في الحقيقة إلاّ حذفا للهمزة من النطق ،والتقاء للحركتين ،إن كانت الهمزة متحركة بعد حركة ،غير أن من الحجازيين من كان يكره هذا الالتقاء بين الحركات ،فيقحم بين الحركتين الملتقيتين ـــ إذا كانت إحداهما ضمة أو كسرة ـــ صوتا يسميه علماء اللغة المحدثون بالصوت الانزلاقي أو الانحداري " gleitlaut " وهو أحد صوتي العلة :الياء والواو . ويسمي النحويون هذا النوع من النطق بقلب الهمزة أو إبدالها . "[3]

---

[1] سورة البقرة ٢ / ٦ .

[2] أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، ص ١ / ٤٧ ، وعبد اللطيف الخطيب ، معجم القراءات ، ص ١/٣٥ .

[3] رمضان عبد التواب ، مشكلة الهمزة العربية ، ص ٣٤ ، وانظر ماريو باي ، أسس علم اللغة ، ترجمة أحمد مختار عمر ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٨٣م ، ص ٨٠ ـــ ٨١ .

ولنا هنا وقفة مستأنية لنناقش فيها ما ذهب إليه علماء النحو القدماء والدكتور رمضان عبد التواب،ففي رأيي أن ما حدث في " أَنذرتهم " في لهجة أهل الحجاز ، هو حذفٌ للهمزة الثانية التي هي همزة الفعل " أنذر "، مع الإبقاء على حركتها القصيرة ، وهي الفتحة (short vowel) ، فالتقت حركتان قصيرتان مفتوحتان ،ثمّ حدث إشباع صوتي بأن امتزجت هاتان الحركتان القصيرتان ،فتحولتا إلى حركة طويلة بالفتحة (long vowel) فتنطق هكذا " آنذرتهم " ، وليس " آأنذرتهم " . وإذا فسّرنا تلك الظاهرة من حيث التقسيم المقطعي الصوتي نلحظ ما يأتي :

ـ " آنْ " : همزة + حركة طويلة بالفتحة + نون ساكنة = ص ح ح ص .

ـ " ذَرْ " : ذال + حركة قصيرة بالفتحة + راء ساكنة = ص ح ص .

ـ " تَ " : تاء + حركة قصيرة بالفتحة = ص ح .

ـ " هُمْ " : هاء + حركة قصيرة بالضمة + ميم ساكنة = ص ح ص .

وننتقل إلى حال أخرى من حالات الهمزة ،وهي إبدالها واوا أو هاء ، وتنسب هذه العملية الإبدالية إلى أهل اليمن ،وقبيلة طيّئ ، ومعروف أن قبيلة طيّئ يمنية الأصل نزحت إلى شمالي الجزيرة العربية ، ففي قوله تعالى { إيّاك نعبد وإيّاك نستعين}[1] ذكر العكبري " وِيّاك " بواو مكسورة . وقال أبو حيان : أبدل الهمزة واوا ،فلا أدري أذلك عن الفرّاء أم عن العرب ؟ "[2] . وينسب الدكتور داود سلّوم إبدال الهمزة واوا إلى أهل اليمن ، فيقول :" واتبعت لهجة اليمن طريقا واضحا في التطور والخروج على لهجات الشمال ،فما ورد مهموز الفاء في لهجات الشمال ،فأهل اليمن

---

(1) سورة الفاتحة ١/ ٥ .

(2) أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، ص ١/ ٢٣ ، وعبد اللطيف الخطيب ، معجم القراءات ، ص ١/ ١٥ .

يقلبون الهمزة في فاء الفعل واوا دائما ،وقد ورد في المعجم عدّة أفعال وأسماء من هذا النوع "[1]

ومن الملاحظات الجديرة بالذكر هنا محاولة تحليل الجانب الصوتي وتفسيره أملاً في الوصول إلى موقف أمثل ، فصوت الهمزة ــ كما يرى علماء الأصوات المعاصرون ــ حنجري مهموس ،وصوت الواو مخرجه من مؤخر اللسان مع الحنك اللين " velar " مع اشتراك الشفتين في وضع الاستدارة " rounding " ،ومن حيث الصفة صوت مجهور[2] ، ومن هنا نلحظ قرب المخرجين ؛ الحنجرة والحنك اللين ، فيسوغ ذلك حدوث إبدال صوتي بينهما ،وثمّة احتمال آخر وهو أن تكون كلٌ منهما أصلا مستقلا بذاته ،ففي العربية الشمالية "إيّاك" وفي العربية الجنوبية "ويّاك" .

وقد ورد إبدال الواو المكسورة في "وِعاء" همزة ، فصارت "إعاء" ، وذلك في قوله تعالى { ثمّ استخرجها من وِعاء أخيه }[3] فقرأ سعيد بن جبير ، وعيسى بن عمر ،وأبَيّ بن كعب ،واليماني ، وأبان ،وعبيد بن عمير " من إعاء " بإبدال الواو المكسورة همزة ،ويعزى ذلك إلى هذيل ،وبناء على ما سبق نرى حدوث التبادل الصوتي بين صوتي الواو والهمزة ، فالواو هنا هي الأصل ،والهمزة منقلبة عن واو ، ولعل السبب في ذلك الإبدال الصوتي هو المبالغة في التفصح .

ونتحدث الآن عن إبدال الهمزة هاء ،وقد نسبت كتب التراث العربي هذه الظاهرة الصوتية إلى قبيلة طيّئ ، إذ كانت تبدل الهمزة في بعض المواضع هاء ،مثل "إنّ" تصير "هنّ" ،و " أذا؟ " تتحول إلى " هذا؟ " ،ويذكر الدكتور رمضان عبد التواب

---

[1] داود سلّوم ، دراسة اللهجات العربية القديمة ، الطبعة الأولى ، بيروت ، عالم الكتب ، ١٩٨٦م ، ص ٢٥ .

[2] انظر : سعد مصلوح ، دراسة السمع والكلام ، ص ١٧٤ ــ ٢٠٨

[3] سورة يوسف ١٢/ ٧٦ ، وانظر : أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، ص ٥/ ٣٣٢ ، وعبد اللطيف الخطيب معجم القراءات ، ص ٤ / ٣١١

أنّ ما روي عن قبيلة طيّئ في إبدال الهمزة هاء " يذكرنا بما حدث في اللغة العبرية ؛ إذ قلبت فيها همزة "إنْ" الشرطية هاء كذلك . "[1]

ويذهب رابين إلى أنّ قلبَ الهمزةِ هاء هنا ، ليس تطوراً صوتياً ؛لكنــه تــأثرٌ باللغات المجاورة ،ففي الأوجريتية ينطقون "إنْ" الشرطية بهاءٍ أولى ،وكذلك الحال في الآرامية الإنجلية ،والمنوية " minaean " ،والقطبانية " catabanian " ، كما ينــاظر "إنْ " العربية في العبرية " هِنَ " ،ولكن الشيء المهم هو أنّ لهجة طيّــئ تتفــق مــع السامية الشمالية في هذا الأمر . "[2]

وإذا كان رابين يرى أنّه من الصعب أنْ نقطع بأنّ تحول الهمزة إلى هاء تغيــر صوتي ،فإنّه لا يوجد ما يمنع ذلك ، فإبدال الهمزة هاء مستساغ صوتيا ،؛ لأنّهما مــن مخرج صوتي واحد وهو الحنجرة ، كما أنّهما ،مهموسان ،وبسبب ثقــل الهمــزة فــي النطق يحدث تخفيف بإبدالها هاء ،. وقد قرأ أبو السَّوّار الغنوي " هِيّاك نعبد "[3] بكسر الهاء ،بعد إبدالها من الهمزة ،ووافقت هذه القراءة الشاذة لهجة طيّئ .

وننتقل إلى ظاهرة لغوية وردت في قراءات شاذة ،ووســمها العلمــاء العــرب القدماء بالشذوذ . لانحصارها في لهجة معينة ،وما جاء عنها أمثلة قليلــة ،تــسمع ولا يقاس عليها ،ألا وهي همز الألف والواو في نحو " شأبة " ،و"جأن" و"يؤسف " ، فقــرأ أبو أيوب السختياني { غير المغضوب عليهم ولا الضألّين }[4] ،وينسب الــدكتور عبــد

---

[1] رمضان عبد التواب ، مشكلة الهمزة ، ص ٤٦ .

[2] شايم رابين ، اللهجات العربية الغربية القديمة ، ترجمة عبد الرحمن أيوب ، الكويت ، مطبوعات جامعة الكويت ١٩٨٦م ، ص ٣٥٦ ، وانظر : حسام البهنساوي ، القواعد التحويلية في ديوان حــاتم الطائي ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية ، ١٩٩٢م ، ص ٥٥ ــ ٥٦ .

[3] أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، ص ١ / ٢٣ ، وابن يعيش ، شرح المفصل ، ١٠ / ٤٢ .

[4] سورة الفاتحة ١/ ٧ ، وانظر : أبو حيان الأندلسي ، البحرُ المحيط ص ١/ ٢٩ ، وعبد اللطيــف الخطيب ، معجم القراءات ص ١ / ٢٤ .

الجواد الطيب همز الألف إلى لهجة هذيل[1] ، وفسّر اللغويون القدماء همز الألف هنا بسبب التخلص من التقاء الساكنين ،فالساكن الأول صوت الألف اللينة ،والساكن الثاني صوت اللام الأولى . وذكر الزمخشري أنّ هذه لغة مَنْ جَدَّ في الهرب من التقاء الساكنين .[2]

وجاء في قراءة طلحة بن مصرف { ومن ذُرِّيَّتِهِ داوود وسليمانَ وأيوبَ ويُؤسِف }[3] بالهمزة الساكنة وكسر السين ، وهي لغة بعض بني أسد ،وللدكتور عبد الصبور شاهين رأي في همز أصوات العلة ،فيرى أنّ ذلك " وسيلة للهروب من تتابع الحركات،ومن ثمّ لتكوين مقطع عربي سليم ،وهو كذلك صورة من صور النبر ،أو المبالغة فيه."[4] غير أنني أرى أن ما حدث في نحو "الضَّأْلين " و"يُؤْسِف " هو عبارة عن تقصير للحركة الطويلة في النطق ،فضلا عن حدوث مَفْصل عند همز صوت العلة ؛ لإبراز دلالة معينة بين المتحدث والسامع .وفيما يلي نعرض التقسيم المقطعي الصوتي لكلمتَي "الضَّالِّين" و "الضَّأْلِّين " ،بعد حذف لام التعريف وعلامة جمع المذكر، فتصير"ضالْ" :

ــ " ضال": ضاد + حركة طويلة بالفتحة + لام ساكنة = ص ح ح ص ،وهو مقطع واحد طويل مقفل .

ــ " ضأْلْ ": تتكون من مقطعين اثنين وهما :

---

[1] عبد الجواد الطيب ، من لغات العرب ، لغة هذيل ، بغداد ، بدون تاريخ ، ص ٩٠ .

[2] أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص / ٥٧ ، وعبد اللطيف الخطيب ، معجم القراءات ، ص/ ٢٤ .

[3] سورة الأنعام ٦/ ٨٤ ، وانظر : أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، ص ٤/ ١٧٤ ، وعبد اللطيف الخطيب معجم القراءات ، ص ٢ / ٤٧٤ .

[4] عبد الصبور شاهين ، المنهج الصوتي للبنية العربية ، رؤية جديدة في الصرف العربي ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٠م ، ص ١٧٥ .

" ضَ " : ضاد + حركة قصيرة بالفتحة = ص ح

" أَلْ " : همزة + حركة قصيرة بالفتحة + لام ساكنة = ص ح ص

وممّا سبق نلحظ أنّ كلمة " ضالْ " في القراءة الصحيحة تتكون من مقطع واحد ، على حين كلمة " ضَأَلْ " في القراءة الشاذة تتكون من مقطعين اثنين ، ويمكن حدوث مَتَّصِل ونبر وتنغيم على المقطع الثاني (ص ح ص) ، ومن ثمّ فالتقسيم المقطعي هنا يفيد في معرفة الصيغ الجائزة في اللغة العربية ، ويقارن بين القراءات الصحيحة والشاذة ؛ ليبرز أمامنا صورة الاختلافات الصوتية بين اللهجات العربية .

وهنا أود أن أشير إلى أن هذا التقسيم المقطعي يراعي حذف الملحقات في أول الكلمة ،وهي لام التعريف ،وفي آخر الكلمة ، وهي علامة جمع المذكر وهما مورفيمان صرفيان ،كما أن هذا التقسيم المقطعي هنا يقوم على الجانب الفونولوجي ،وعندما نقارن بين المقطع الأول " ضالْ "،والمقطع الثاني " ضَأَلْ " نلحظ أن المقطع (ص ح ح ص) يأتي في اللغة العربية الفصحى في أول الكلمة كما هو واضح هنا ،ويأتي في وسطها وفي آخرها ،وهو من المقاطع التي يقع فيها النبر . على حين نجد الكلمة " ضَأَلْ " تتكون من مقطعين ، وقد يكون سبب الاختلاف في هذه القراءة أنّ كلّ لهجة اعتادت على طريقة معينة في النطق بهذه الكلمة فحافظت عليها ، فثمّة علاقة بين الخفقات الصدرية وتقسيم تيار الكلام إلى مقاطع صوتية ، وذلك تبعا للعادة النطقية.

ثالثاً ــ بين الصوامت والصوائت :

يرى اللغويون العرب القدماء (سيبويه ــ ابن جنّي ــ الزمخشري ...) أن الحركات "الضمة ــ الكسرة ــ الفتحة " تتباين فيما بينها من حيث القوة والثقل ،فيرون أن الضمة أقوى الحركات وأثقلها ،تليها الكسرة ،ثمّ الفتحة التي تعدّ أخف الحركات، بيد أنهم لم يبينوا مفهوم القوة هنا[1] ، وأخذ فريق من علماء اللغة العرب المعاصرين بهذا الرأي ،فيري الدكتور عبده الراجحي أن الكسرة صائت قصير ،وهي أثقل من

---

[1] انظر : سيبويه ، الكتاب ، ص ٤/ ١١٣ ــ ١٦٧ ، وابن جنّي ، الخصائص ، ص ٣/ ١٧٧ ، وابن يعيش ، شرح المفصل ، ص ١٠ / ٨٠ .

الفتحة ،وأخف من الضمة .[1] وثمّة فريق آخر من اللغويين العرب المعاصرين يرى أن الكسرة أقوى الحركات ،ويستدل بالرسم الإملائي ،إذ ترسم الهمزة على نبرة إذا كانت مكسورة أو ما قبلها مكسورا أو مسبوقة بياء ،وتليها الضمة ، ثمّ الفتحة ، ومن الجدير بالذكر أن مجمع اللغة العربية بالقاهرة آثر استعمال مصطلح " أولى " بدلا من مصطلح " أقوى " في رسم الهمزة .[2] ولكنني أرى أن مسألة أولى الحركات يشوبها الغموض ، فالرسم الإملائي صورة ناقصة للتعبير عن المنطوق في كل اللغات، كما أن عملية التوتر " tens " لجهاز النطق في أثناء النطق بالضمة أو الكسرة غير محسومة علميا ،عندما تكون الشفتان في حالتي الاستدارة والانفراج ، وأما الفتحة فلا خلاف على كونها أخفّ الحركات .

والحركات القصيرة " short vowel" من حيث مخرجها تخرج على شكل مستمر من البلعوم والفم ،من دون أن يعترضها شيء من شأنه أن يحدث احتكاكا مسموعا ،ويلاحظ أنها تنتظم في أربع فئات رئيسية " فمن المنطقة الأمامية الضيقة ونصف الضيقة تنتج فئة الكسرة ومن المنطقة الأمامية والوسطى والخلفية حيث الحركات نصف الواسعة والواسعة ،تنتج فئة الفتحة ،ومن المنطقة الخلفية حيث الحركات نصف الضيقة والضيقة ، تنتج فئة الضمة "[3] كما أن الحركات القصيرة توصف بأنها مجهورة ، أي يهتز في أثناء نطقها الوتران الصوتيان
وتوصف بأنها رنانة ؛لأن ممر الهواء يكون أقرب إلى الانفتاح مع عدم وجود عائق أمام الهواء كما أن للشفتين دورا في نطق هذه الحركات ،ففي حال الضمة تكون الشفتان في حال استدارة " rounding " ،وفي حال الكسرة تكون في وضع انفراج " spreading " ،وفي حال الفتحة تكون في وضع الحياد " neutral " .

---

(1) عبده الراجحي ، اللهجات العربية في القراءات القرآنية ، ص ١٢٤ ــ ١٢٧ ــ ١٣٠.

(2) انظر تفاصيل هذا الموضوع في:رمضان عبد التواب ،مشكلة الهمزة العربية ، ص ١٠٩ ــ ١١٦ .

(3) سعد مصلوح ، دراسة السمع والكلام ، ص ٢٠٧ .

وقد اختلفت اللهجات العربية القديمة في الحركات القصيرة في بعض الكلمات التي جاء فيها روايتان ، فنجد بعض اللهجات تميل إلى ضم الصامت الأول ، على حين نلحظ لهجات أخرى تميل إلى كسر هذا الصامت الأول في الكلمة نفسها . وفيما يلي نتناول هذا الاختلاف بين اللهجات في حركة الصامت الأول ثمّ في حركة الصامت الثاني .

أولاً ـ الصامت الأول :

ونستفتح بالاختلاف بين اللهجات في حركة الصامت الأول ما بين الضم والكسر ، ففي قوله عز وجل { فلا تك في مِرْيَةٍ منه }[1] فقرأ الجمهور " مِرْيَة " بكسر الصامت الأول ،وتعزى هذه القراءة إلى لهجة الحجاز ،على حين قرأ السلمي ،وأبو رجاء ،والخطاب السدوسي ،وعليّ ،والحسن ، وقتادة " مُرْيَة " بضم الصامت الأول ، وتعزى هذه القراءة الشاذة إلى لهجة أسد ،

وتميم ، وهم من البدو ، إذ يميلون في أغلب الأحيان إلى اختيار الضم ، في حين يميل الحضر في أغلب الأحيان إلى الكسر .

وثمّة مثال آخر على ميل تميم وقيس إلى الضم ، في حين يميل أهل الحجاز إلى الكسر ، وذلك عندما تروى الكلمة بروايتين ، قال تعالى { ومن النخل مِنْ طَلْعِها قِنْوانٌ دانية }[2] قرأ الجمهور " قِنْوان " بكسر القاف ،وهي لهجة أهل الحجاز ، وقرأ الأعرج ، والسلمي عن عليّ بن أبي طالب " قُنْوان " بضم القاف ، وهي لهجة قيس وتميم . ويرى الدكتور إبراهيم أنيس أن " الكسر دليل التحضر والرقة في معظم البيئات اللغوية ؛ فهي حركة المؤنث في اللغة العربية ... بل إن من المحدثين من يؤكد

---

[1] سورة هود ١١/ ١٧ ، وانظر : أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، ص ٥/ ٢١٠ ، وعبد اللطيف الخطيب ، معجم القراءات ، ص ٤ / ٢٧.

[2] سورة الأنعام ٦/ ٩٩ ، وانظر : أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، ص ٤/ ١٨٩ ، وعبد اللطيف الخطيب ، معجم القراءات ، ص ٢ / ٤٩٩ .

لنا أن الكسرة في كثير من اللغات ترمز إلى صغر الحجم والرقة "[1] ، وثمة ملاحظة جديرة بالذكر ، وهي أن صوت اللام عند كسره فإنه يرقق ، وعند ضمه فإنه يفخم .

ولعامل التأثير والتأثر دور بين القبائل العربية لا يمكن إغفاله ، فنجد في أحايين قليلة أن أهل الحجاز أخذوا بالضم ، على حين نجد تميم وقيس وأسد وبكر ،أخذوا بالكسر ، قال الله عز وجلّ { ولكنْ بَعُدَتْ عليهم الشُّقَّة }[2] ، فقراءة الجماعة " الشُّقَّة " بضم الشين ، وهي لغة أهل الحجاز ، وقرأ عيسى بن عمر " الشِّقَّة " بكسر الشين ، وهي لغة قيس ، وأكتفي بهذا المثال لتوضيح ما ذهبنا إليه.[3]

ونتحدث الآن عن الصامت الأول في الكلمة ، عندما تروى بروايتين : إحداهما بالضم ، والأخرى بالفتح ، وقد عزا أبو حيان الأندلسي الفتح إلى أهل الحجاز ، ونسب الضم إلى أهل البادية من العالية ونجد وتميم وأسد[4] ، ويعلل ذلك الدكتور عبده الراجحي بأن الفتحة تلائم البيئة الحضرية ، لما فيها من خفة ، على حين تناسب الضمة أهل البادية ؛ لثقلها[5] ؛ بيد أنني أرى أن ذلك لا يتفق مع الأمثلة القرآنية التي بين أيدينا ، ففي هذه الحال نلاحظ ورود كلمات يعزى فيها الضم إلى أهل الحجاز ، على حين يعزى الفتح إلى بني تميم وأسد وقيس ، والعكس صحيح ، ففي قوله تعالى { انظروا إلى ثَمَرِه إذا أثمر ويَنْعِه }[6] فقرأ الجمهور " وَيَنْعِه " بفتح الياء وسكون النون

---

[1] إبراهيم أنيس ، في اللهجات العربية ، الطبعة الثامنة ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٩٢م ، ص ٩١ .

[2] سورة التوبة ٩/ ٤٢ ، وانظر : أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، ص ٥/ ٤٥ ، وعبد اللطيف الخطيب ، معجم القراءات ، ص ٣ / ٣٩٣ .

[3] راجع في ذلك أبا حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، ٢/ ٥٠٠ ، وعبد اللطيف الخطيب ، معجم القراءات ، ص ١ / ٥٢٥ .

[4] أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، ص ٨ / ١١ .

[5] عبده الراجحي ، اللهجات العربية في القراءات القرآنية ، ص ١٣٢ .

[6] سورة الأنعام ٦/ ٩٩ ، وانظر : عبد اللطيف الخطيب : معجم القراءات ، ص ٢ / ٥٠٣ .

وهي لغة أهل الحجاز ، وقرأ قتادة ، والضحاك ، وأبو السّمّال ، ومحمد بن السميفع وابن أبي إسحاق " ويُنْعه " بضم الياء وسكون النون ، وهي لغة نجد .

وننتقل إلى مثال آخر ، ففي قوله تعالى { لا يجدون إلاّ جُهْدَهُمْ }[1] فقرأ الجماعة "جُهْدَهم" بضم الجيم ، وهي لغة أهل الحجاز ، وقرأ عطاء ، ومجاهد ، وابن هرمز "جَهْدَهم" بفتح الجيم ، وهي لغة نجد ، ومما سبق نستنتج أن اللغة ليست عنصرا جامدا ماديا ، ولكنها تسير على ألسنة الناس ، ولا يوجد ما يمنع جنوح أهل البادية إلى التخفيف ، فيستخدمون الفتح أحيانا ، فهي أخفّ الحركات في النطق ، وأوسع الأصوات مدّاً ، ومن ثمّ يصعب هنا أن ننسب الضم إلى البادية فقط ، والفتح إلى الحضر فقط ، فقد وردت أمثلة كثيرة على هذه الظاهرة بالضم عند تميم أحيانا ، وبالفتح عندهم كذلك ، كما جاء الضم عند أهل الحجاز ، وكذلك الفتح أيضا ،ويكاد يكون ثمّة تعادل بينهما في مسألة الضم والفتح في الصامت الأول ،إذ هي طبيعة نطقية جبل عليها الإنسان في بيئته .

ومن الملاحظات الجديرة بالذكر هنا أن لهجة تميم تميل إلى الفتح عندما يكون الصامت الأول من أصوات الحلق ، وذلك لأنّ أصوات الحلق تميل إلى الفتح فهي تحتاج عند صدورها إلى اتساع في مجراها بالفم ،كما أن اللسان يجذب إلى الوراء مع بسط وتسطيح له ، كما أن العربية حافظت على أصوات الحلق التي هي ظاهرة سامية قديمة ، قال تعالى { ولا تأكلوا أموالهم إلي أموالكم إنه كان حُوباً كبيراً }[2] فقرأ الجمهور " حُوباً " ، بضم الحاء ، وقرأ الحسن ، وابن سيرين " حَوْباً " ، بفتح الحاء ،

---

[1] سورة التوبة ٩/ ٧٩ ، وانظر : أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، ص ٥ / ٧٥ ، وعبد اللطيف الخطيب ، معجم القراءات ، ص ٣ / ٤٢٩ .

[2] سورة النساء ٤ / ٢ ، وانظر : أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، ص ٣/ ١٦١ ، وعبد اللطيف الخطيب ، معجم القراءات ، ص ٢/ ٨ ، وإبراهيم أنيس ، في اللهجات العربية ، ص ١٧٠ ، وبرجشتراسر ، التطور النحوي ، أخرجه وعلق عليه رمضان عبد التواب ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ١٩٩٧م،ص٦٣ .

بكسر الراء ، وعزا الأخفش الأوسط[1] هذه القراءة إلى بعض بني تميم ، والأمثلة على نسبة الكسر إلى بني تميم كثيرة ، وكذلك نسبة الفتح إلى أهل الحجاز ، ممّا يجعلنا نرجح أنّ ذلك في أغلب الأحيان .

وثمّة أمثلة قليلة ورد فيها ضبط الصامت الأول بالحركات الثلاث ؛ الضمة ، والكسرة ، والفتحة ، قال تعالى { وليجدوا فيكم غلظة }[2] قرأ الجمهور " غِلظة " بكسر الغين ، وهي لهجة أسد ، وقرأ أبان بن تغلب ، والمفضل عن عاصم " غَلظة " بفتح الغين ، وهي لهجة أهل الحجاز ، وقرأ أبو حَيوة ، والسلمي ، وابن أبي عبلة ، وزرّ بن حبيش " غُلظة " بضم الغين ، وهي لغة تميم ، وممّا سبق يمكن أن نذهب إلى أن مثل هذا التعدد في الضبط ظاهرة محدودة تنحصر في عدد قليل من الألفاظ .

ويمكن تفسير هذه الظاهرة في ضوء ما يسمى بالركام اللغوي ، الذي هو بقايا الظواهر القديمة المندثرة ، فقد تكون هذه الظاهرة هي الأصل المنتشر بين القبائل العربية القديمة ، في فترة زمنية من عمر اللغة العربية ، إذ كانت تضبط الكلمة بثلاث حركات ، كل قبيلة تأخذ بإحداها ، ثمّ انحسرت تلك الظاهرة شيئا فشيئا عندما تحولت اللهجات المختلفة إلى لغة عربية مشتركة بين العرب جميعا ، وبقيت هذه الأمثلة القليلة تعبر عن تلك الفترة الزمنية ، التي مرّت بها اللغة العربية . وأود أن أشير إلى أن ورود كلمة واحدة بروايتين مختلفتين في ضبط الصامت الأول قد يكون بقايا مرحلة انتقلت فيها اللغة من الضبط الثلاثي للكلمة إلى الضبط الثنائي ، فحافظت القبائل البدوية على ضبط ، وحافظت قبائل الحضر على الضبط الآخر، وكان نزول القرآن الكريم محافظا على ما بقي من تلك المرحلة الثانية من عمر اللغة ، ونستنتج إذن ممّا سبق أن العربية مرّت بثلاث مراحل : الأولى : نطق الصامت الأول بالحركات الثلاث ،

---

[1] أبو الحسن سعيد بن مَسْعَدَة الأخفش ، معاني القرآن ، تحقيق هدى محمود قراعة ، الطبعة الأولى ، القاهرة مكتبة الخانجي ، ١٩٩٠م ، ص ١ / ١٨٨ .

[2] سورة التوبة ٩ / ١٢٣ ، وانظر : أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، ص ٥ / ١١٥ ، الأخفش ، معاني القرآن ، ص ١ / ٣٦٧ ، وعبد اللطيف الخطيب ، معجم القراءات ، ص ٣ / ٤٧٩ .

والثانية : نطق الصامت الأول بحركتين اثنتين ، والثالثة : نطق الصامت الاول بحركة واحدة ، وهو الغالب في اللغة العربية ، والذي استقرت عنده اللغة .

ثانياً ـــ الصامت الثاني :

لقد لاحظ اللغويون العرب القدماء والمحدثون أنّ القبائل البدوية تميل إلى السرعة في النطق ، فتتلمس لذلك السبيل بأن تسكن الصامت الثاني ؛ توفيرا للجهد العضلي المبذول ، وتخفيفا في النطق ، وهنا يعمل قانون السهولة والتيسير في الكلام ، ومن ثمّ اشتهر عن بني تميم تسكين الصامت الثاني ، والسكون في اللغة أخفّ من الحركة ، فالسكون انعدام للحركة ، كما أنّ السكون يكون نهاية لمقطع صوتي طويل ، يقول السهيلي : " والسكون عبارة عن خلو العضو من الحركات عند النطق بالحرف ، فلا يحدث بعد الحرف صوت ، فينجزم عند ذلك ، أي ينقطع ، فتسميه جزما ، اعتبارا بالصوت وانجزامه ، وتسميه سكونا ، اعتبارا بالعضو الساكن"[1] ، وقد نسب سيبويه تسكين الصامت الثاني إلى تميم للتخفيف ، يقول : " كما خففت الحركة من علِم ، وذلك من لغة بني تميم ، فتقول: علْم ."[2]

ويفسر الدكتور إبراهيم أنيس ميْلَ البدو إلى تسكين الصامت الثاني من الكلمة بأنّ ذلك يرجع إلى طبيعة البدويّ فهو يقنع بالقليل ، ويخلد إلى السكينة والهدوء ، فحياته مليئة بالتراخي ، وبما يشبه الكسل حتى في نطقه ، فهو يقتصد في الجهد العضلي وفي التنفس ."[3] وبالتالي فإنّ اختيار السكون يكون من أجل الخفّة والسهولة

---

[1] أبو القاسم السهيلي ، نتائج الفكر في النحو ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود ، و علي محمد معوض ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٩٩٢م ، ص ٦٧ .

[2] سيبويه ، الكتاب ، ص ٣ / ٢٢٦ ـــ ٢٢٧ ، ٤ / ١١٣ ، وينسب هذه الظاهرة إلى بكر بن وائل ، وأناس كثير من بني تميم .

[3] إبراهيم أنيس ، في اللهجات العربية ، ص ١٣٢ .

والسرعة في النطق ، "كما أنّ الحركات أكثر الأصوات قابلية للتطور والتغيّر زمانـا ومكاناً "[1] ، فتتحول الضمة مثلا إلى كسرة ، أو فتحة ، أو سكون .

وعلى الجانب الآخر نجد أهل الحجاز ، وهم أهل حضر ، يحتفظون بالحركـات القصيرة فوق الصامت الثاني ، فهم يميلون إلى التأنّي في النطـق ، وحُسن الأداء ، فتلك نحائزهم في النطق .

وفيما يلي نعرض أمثلة تبيّن ما ذهب إليه اللسانيون العرب قديما وحديثا ، قـال الله عزّ وجلّ { خالدينَ فيها نُزُلاً من عند الله }[2] ، فقـراءة الجمهـور "نُـزُلاً " بـضم الصامت الأول والثاني ، وهي لغة أهل الحجاز ، وفي القراءات الشاذة قرأ الحسن بن عليّ ، والنخعيّ ، ومسلمة بن محارب ، والمطوعيّ " نُزْلاً " بسكون الزاي ، وهي لغة تميم ، وهذا مثال آخر نتد به كلامنا ، قال الحقّ تبارك وتعالى { ولأبَوَيْه لكـلّ واحـد منهما السُدُسُ ممّا ترك }[3] فقد قرأ الجمهور " السُدُسُ " بضم السين والدال ، وهي لغة أهل الحجاز ، على حين قرأ الحسن ، ونُعيم بن مَيْسَرة ، والأعـرَج ، وأبـو رجـاء العَطاردي " السُدْسُ " بضم السين وسكون الدال ، وهي لغة تميم ، وربيعة ، وأشير هنا إلى أن الأمثلة على ذلك كثيرة ، ولكنْ من منطلق أنّ العلـم قـائمٌ علـى الانتقـاء لا الاستقصاء ، أكتفي بهذين المثالين اللذين يتضح منهما أن تميم تميل إلى تسكين حركة الصامت الثاني غالباً ، على حين يميل الحجازيون إلى تحريك الصامت الثـاني فـي أغلب الأحيان ، إذ نجد قليلا من الأمثلة يعزى فيها تحريك الصامت الثاني إلى تميم ، على حين يعزى تسكينه إلى الحجازيين ، وذلك بسبب عامل التأثير والتأثر بين القبائل

---

[1] كمال بشر ، علم الأصوات ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، دار غريب ، ٢٠٠٠م ، ص ٤١٩.

[2] سورة آل عمران ٣ / ١٩٨ ، وانظر : أبو حيان الأندلسي ، البحـر المحـيط ، ص ٣/ ١٤٧ ، وعبد اللطيف الخطيب ، معجم القراءات ، ص ١ / ٦٥١.

[3] سورة النساء ٤ / ١١ ، وانظر : أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، ص ٣ / ١٨١ ، والخطيب ، معجم القراءات ، ص ٢ / ٢٨.

ومثال ذلك في قوله تعالى { ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل }[1] فقرأ الجمهور " بالرُسُل " بضم الراء والسين ، وتنسب إلى لغة تميم ، وقرأ يحيى بن يعمر ، والمطوعيّ " بالرُسْل " بضم الراء وتسكين السين ، وتنسب إلى لغة الحجازيين .

ومما سبق نلحظ أن تسكين الصامت الثاني هنا قد يكون بسبب ثقل صوت الضمة فوقه ، حيث إن العلماء القدماء يرون أن الضمة أثقل الحركات في النطق ؛ لأن في مخرجها مؤنة على اللسان والشفتين ، فيتم التخلص منها بحذفها .

وننتقل إلى تسكين الصامت الثاني المكسور ، وقد عزي الكسر إلى الحجازيين ، على حين عزي التسكين إلى بني تميم ، والكسرة فيها أيضا ثقل في النطق على اللسان والشفتين ، ويرى العلماء القدماء أن الكسرة أثقل في النطق من الفتحة وأخف من الضمة ، وأمّا التسكين فهو أخفّ من الحركات كلها ، قال تعالى { وإنْ كانَ ذو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إلى مَيْسَرَةٍ }[2] فقرأ الجمهور " فَنَظِرَة " بكسر الظاء ، وهي لغة الحجازيين ، ومن أصحاب القراءات الشاذة أبو رجاء العطاردي ، والحسن ، والضحاك ، وقتادة ، والوليد بن مسلم ، قرؤوا " فَنَظْرَة " بسكون الظاء ، وهي لغة تميم .

وأمّا تسكين الصامت الثاني المتحرك بالفتح فهو يعزى إلى تميم ، على حين يعزى تحريكه بالفتح إلى أهل الحجاز ، ومعروف أن الفتحة أخفّ الحركات في النطق ، فهي " تخرج من خَرْق الفم بلا كُلْفَة "[3] ، ويتفق علماء الأصوات العرب المعاصرون مع العلماء العرب القدماء على أنّ الفتحة أخفّ الحركات ، وأن السكون أخفّ من الفتحة ، وأشير هنا إلى أن سيبويه كان يرى أن الفتحة لا تخفف ؛ لأنها أخفّ الحركات ، ولكنّ الشواهد القرآنية ورد فيها تسكين الصامت الثاني المتحرك بالفتح ، والأمثلة

---

[1] سورة البقرة ٢ / ٨٧ ، وأبو حيان ، البحر المحيط ، ص ١ / ١٩٩ .

[2] سورة البقرة ٢ / ٢٨٠ ، وأبو حيان ، البحر المحيط ، ص ٢/ ٣٤٠ ، وابن جني ، المحتسب ، ص ١/ ١٤٣ .

[3] أبو زكرياء يحيى بن زياد الفرّاء، معاني القرآن ، بيروت ، دار السُرور ، ١٩٥٥م ، ص ٢/ ١٣ .

على ذلك كثيرة ، قال تعالى { ثمانية أزواجٍ من الضأْنِ اثنين }[1] قراءة الجماعة " الضّأن " بسكون الهمزة ، وقرأ طلحة بن مصرف والحسن وعيسى بن عمر ، واليماني " الضَّأَن " بفتح الهمزة ، ويعزى فتح ما ثانيه صوت حنجري أو حلقي إلى بني عُقَيل ، وهم يقطنون شرقي الجزيرة العربية ، بجوار تميم ، وإياد ، وتغلب ، وبكر بن وائل ، وقد رأى اللغويون القدماء أن الهمزة من أقصى الحلق ، على حين ذكر المحدثون أنها من الحنجرة ، وأصوات الحلق تميل في نطقها إلى الفتح ، يقول ابن جنّي: " وأمّا الضأن بفتح الهمزة في هذه القراءة ، فمذهب أصحابنا فيه وفي مثله ، ممّا جاء على فَعْل وفَعَل ، وثانيه حرف حلق ... أن التحريك في الثاني من هذا النحو إنّما هو لأجل حرف الحلق ... لسمع ذلك فاشيا في لغة عُقَيل ."[2]

ونستبين ممّا سبق أن كلمة " الضّأن " المهموزة ، لم ترد فيها قراءة بتسهيل الهمزة ، بأن تحولت إلى بين بين ، أو بتحويلها إلى ألف ؛ ولكنّ الذي ورد فيها بعد تحقيقها روايتان : إحداهما بتسكين الهمزة ، والأخرى بتحريكها بالفتح ، ومعلوم أنّ الهمزة صوت عربيّ ساميّ قديم ،وقد حافظت اللغة العربية على أصوات الحلق كلها ، كما نلحظ اشتهار " عُقَيل " بفتح أصوات الحلق ، وتلك ظاهرة سامية قديمة ، كما أن علماء الأصوات المعاصرين يرون مَيْل أصوات الحلق ــ غالباً ــ إلى الفتح ، وذلك بحكم طبيعتها ، فهي تحتاج عند صدورها إلى اتساع في مجراها بالحلق والفم ، وهذا يناسب الفتحة ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، غير أنني أكتفي بهذا المثال كنموذج على تلك الظاهرة .[3]

وللدكتور إبراهيم أنيس رأيٌ في تسكين عين الثلاثي فعلا أو اسما ، مفردا أو جمعا ، عند النطق به متحركا ، كما هو شائع عند أهل الحجاز ، على حين ينطق به

---

(1) سورة الأنعام ٦/ ١٤٣ ، وأبو حيان ، البحر المحيط ، ص ٤ / ٢٣٩ ، وابن جني ، المحتسب ، ص ١/ ٢٣٤ .

(2) ابن جني ، المحتسب ، ص ١ / ٢٣٤ .

(3) أبو حيان ، البحر المحيط ، ص ٣/ ٦٢ ، وابن جني ، المحتسب ، ص ١ / ٨٤ ــ ١٦٦ .

أهل تميم ساكنا ، فيرى أن الاصل في الكلمات السكون ، وأن الصيغ المتحركة هي الصيغة الفرعية الحديثة .[1] وهذا الرأي اعتمد فيه الدكتور أنيس على دراسة تاريخية لهذه الأوزان في العربية واللغات السامية ، وأيضا دراسة إحصائية للألفاظ الثلاثية ـــ قام بها ـــ في القرآن الكريم .

ولكنني أرى أن موقف الدكتور أنيس يتعارض مع مبدأ السهولة والتيسير في الكلام ، ومع ميل اللغة إلى التخفيف بالإيجاز والاختصار ، إذ كيف ينتقل الإنسان في نطقه من الأخفّ إلى الخفيف ؟ فالفتحة أخفّ الحركات ؛ والتسكين أخفّ من الفتحة ، ومن ثمّ أرى أن العكس هو ما حدث ، فالأصل التحريك ، ثمّ حدث التسكين بعده ، وممّا نؤيد به رأينا ملاحظة الدكتور عبد الصبور شاهين التي يرى فيها أن " السلوك المقطعي في اللغة العربية يكره تتابع الحركات ، ويعمد دائما إلى اختصارها ، فإذا توالت ثلاث حركات اختصرها إلى اثنين ، وإذا توالت حركتان مكروهتان كضمة وكسرة ، حُذِفَت إحداهما وأطيلت الأخرى ."[2] وأختتم كلامي هنا بأن تعدد الروايات الصوتيّة في الكلمة الواحدة يبين أن اللغة العربية كانت تسير في مراحل تطورها ، ثمّ نزل القرآن الكريم بقراءاته ، فعكس لنا ـــ كالمرآة ـــ تلك الصورة في حياة العربية ، فالقراءات القرآنية بمثابة الوثيقة التاريخية الصادقة في حياة اللغة العربية .

رابعاً ـــ الإدغام " المماثلة الصوتيّة " (assimilation) :

يرى اللسانيّون العرب القدماء أن الإدغام هو تقريب صوت من صوت ،[3] على حين يرى اللسانيّون المعاصرون أن الإدغامْ " المماثلة " عملية استبدال صوت بصوت

---

[1] عبد الصبور شاهين ، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٨٧ م ، ص ٣٢٧ .

[2] عبد الصبور شاهين ، المنهج الصوتي للبنية العربية ، ص ١٨٥ .

[3] ابن جني ، الخصائص ، ٢ / ١٣٩ .

آخر ، تحت تأثير صوت ثالث قريب منه في الكلمة أو الجملة .[1] ومن هنا نلحظ أن الإدغام أو المماثلة هو تأثر الأصوات بعضها ببعض ، فيحدث بينها تقارب صوتي على مرّ الأزمان ، أي أن الأصوات تتشابه في المخرج أو الصفة ، أو فيهما معاً ، فيحدث اتحاد الصوتين المتماثلين في صوت واحد مشدد ، أو تقارب صوتي من دون اتحاد صوتي بينهما .

ونؤثر في هذا البحث استخدام تقسيم ابن جنّي للإدغام ، إذ يقسمه إلى قسمين ؛ الأول : وهو الإدغام الأكبر ، والثاني : وهو الإدغام الأصغر . والإدغام وسيلة لتيسير والتسهيل في النطق ، والغرض منه طلب الخفّة في الكلام ، والاقتصاد في الجهد العضلي ، وقد اشتهر عن قبيلة تميم ميلها إلى الإدغام ؛ لأنه يتناسب مع السرعة في الكلام ، على حين عرف عن أهل الحجاز ميلهم إلى الإظهار في الكلام ؛ لأنهم يتأنون في النطق .

أولاً ـــ الإدغام الأكبر :

يعرّفه ابن جنّي بأنه تقريب صوت من صوت ، وهو في الكلام على ضربين : أحدهما أن يلتقي المثلانِ على الأحكام التي يكون عنها الإدغام ،فيدغم الأول في الآخرِ .[2] وقد وردت قراءات شاذة بالإدغام { خذوا ما آتيناكم بقوّة واذكروا ما فيه لعلّكم تتقون }[3] فقرأ أُبيّ ، وابن وثّاب " واذّكروا " ، أمراً من " اذّكرَ " ، والإدغام هنا تمّ على مرحلتين ؛ الأولى : أن أصل الكلمة " اذتكرَ " ، فأبدل من التاء دالاً ، فتحولت إلى " اذدكر " ، والثانية : أدغم الذال في الدال فصارت " اذّكر " ، ومن حيث المخرج الصوتي ، فصوت الذال من طرف اللسان مع الأسنان العليا ، وصوت الدال من نصل

---

[1] انظر : رمضان عبد التواب ، التطور اللغوي ، مظاهره وعلله وقوانينه ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٩٠ م ، ص ٣٠ .

[2] ابن جني ، الخصائص ، ص ٢ / ١٣٩ .

[3] سورة البقرة ٢/ ٦٣ ، وأبو حيان ، البحر المحيط ، ص ١/ ٢٤٣ ، والخطيب ، معجم القراءات، ١/ ١١٨ .

اللسان مع أصـــول الأسنان ،[1] كما أنهما صوتان مجهوران ، يهتز في أثناء النطــق بهما الوتران الصوتيــان ، وهذا النوع من الإدغــام يسمى بالتأثر الرجعــي ، حيــث يتأثر الصـــوت الأول ، وهـــو الذال ، بالصوت الثاني ، وهو الدال ، التي كانت فـــي أول الأمر تاء .

ونذكر مثالاً آخر يتضح فيه ورود الظاهرة في القراءات الشاذة ، وهذا النـــوع من الإدغام سببه كراهة توالي الأمثال ، ففي قوله تعالي { قال إنّي لَيَحْزُنُني أنْ تذهبوا به }[2] فقرأ عاصم ، وحمزة ، والكسائي ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر بفـك الإدغام ، وهي لغة أهل الحجاز ، على حين قرأ زيد بن عليّ ، وابن هرمز بالإدغام " لَيَحْزُنّي " بتشديد النون ، وهي لغة تميم ، والغرض من الإدغام هنا هو طلــب الخفــة والسهولة والسرعة في الكلام ، وذلك يتلاءم مع البدو ، والسبيل إلى ذلك هنا بتسكين النون الأولى المضمومة ، ثمّ إدغامها في النون الثانية المكسورة ، فاللغة تكره الانتقال من ضمّ إلى كسر بسبب الثقل في النطق .

ويستبين ممّا سبق أن الإظهار هو الأصل ، وأن الإدغام مرحلة متطورة عنــه ، ولا يعني هذا أن القراءات الشاذة لم تأخذ بالإظهار ، فثمّة أمثلة على الإظهــار { ولا يُضارَّ كاتبٌ و لا شهيدٌ }[3] فقرأ ابن مسعود ، وأبان ، والــضحاك ، وابــن نبهــان ، والحسن ، وعمر بن الخطاب " و لا تُضارَرْ " بالإظهار ، وتعزى هذه القراءة إلى أهل الحجاز ، المعروف عنهم الإظهار ، ومن هنا نجد أن القراءات الشاذة ورد فيها الإدغام والإظهار ، وكذلك القراءات الصحيحة .

---

[1] انظر : سعد مصلوح ، دراسة السمع والكلام ، ص ١٧٤.

[2] سورة يوسف ١٢ / ١٣ ، وأبو حيان ، البحر المحيط ، ص ٥/ ٢٨٦ ، وعبد اللطيف الخطيب ، معجم القراءات ، ص ٤ / ١٩٨.

[3] سورة البقرة ٢ / ٢٨٢ ، وانظر : ابن جني ، المحتسب ، ص ١/ ١٤٨ ، وعبد اللطيف الخطيب ، معجم القراءات ، ص أ / ٤٢١.

ثانيا ـ الإدغام الأصغر :

يعرفه ابن جنّي بأنه " تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه منه ، من غير إدغام يكون هناك"[1] ، ويرى ابن جنّي أن من ضروب الإدغام الأصغر ؛ الإمالة ، والإتباع ، وتقريب الصوامت بعضها ببعض .

أ ـ الإمالة :

ويعرفها ابن الجزري بأنها " أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة ، وبالألف نحو الياء كثيراً ، وهو المحض ، ويقال له الإضجاع ، ويقال له البطح ، وربّما قيل لـه الكسر أيضاً ."[2] ويقول ابن يعيش : " إنّ الإمالة لغة بني تميم ، والفتح لغة أهل الحجاز "[3] ، وذكر ابن يعيش وابن الجزري أسباب الإمالة ، ووجوهها ، ويذهب ابن الجزري إلى أن فائدتها تتمثل في سهولة اللفظ ، وذلك لأنّ اللسان يرتفع بالفتح ، وينحدر بالإمالة ، والانحدار أخفّ على اللسان من الارتفاع ، فلهذا أمال مَنْ أمال .[4] وذكر سيبويه سبعة أحرف تمنع الإمالة ؛ الصاد ، والضاد ، والطاء ، والظاء ، والغين ، والقاف ، والخاء ، إذا كان حرف منها قبل الألفَ ، والألف تليه ، وذلك قولك : قاعد ،وغائب ... وإنّما منعت هذه الحروف الإمالة ؛ لأنها حروف مستعلية إلى الحنك الأعلى."[5]

ولنا الآن وقفة مستأنية ، نناقش فيها رأي ابن الجزري في فائدة الإمالة ، إذ يراها سهولة في اللفظ ، كما يذهب إلى أن الانحدار بالإمالة ، أي بالكسر ، أخفّ على اللسان من الارتفاع بالفتح ، ولكنني أختلف معه فيما ذهب إليه هنا ، فالفتح ليس أخفّ

---

[1] ابن جني ، الخصائص ، ص ٢ / ١٤١ .

[2] أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي ، الشهير بابن الجزري ، النشر في القراءات العشر ، أشرف على تصحيحه ومراجعته علي محمد الضباع ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ص ٢/ ٣٠ ، وانظر : ابن يعيش شرح المفصل ، ص ٩ / ٥٣ .

[3] ابن يعيش ، شرح المفصل ، ص ٩ / ٥٤ .

[4] ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر ، ص ٢ / ٣٥ .

[5] سيبويه ، الكتاب ، ص ٤ / ١٢٨ ـ ١٢٩ .

من الكسر ، والإمالة تمثل مرحلة من مراحل التطور الصوتي ، وبخاصة الفعل الأجوف ، نحو طاب ، وقال ، وباع ، ومعروف أن تميم عرف عنها الإمالة ، على حين أهل الحجاز عرف عنهم الفتح ، ويعلل الدكتور أنيس سبب اشتهار قبائل وسط الجزيرة وشرقيها بالإمالة ، واحتفاظهم بها ، أنهم عرفوا بها فتعصبوا لها .[1] كما يذهب إلى أن انتقال الإمالة إلى الفتح " ليس له ما يبرره سوى الاقتصاد في الجهد العضلي ، والميل إلى السهولة ، التي يلجأ إليها الإنسان في معظم ظواهره الاجتماعية . "[2] ومما سبق نلحظ أن الفتح أخفّ من الإمالة ، فضلاً عن كون الفتح مرحلة متطورة عن الإمالة .

وقد ذكر الدكتور أنيس أن الإمالة أربعة أنواع ؛ أشهرها إمالة الفتح إلى الكسر ، وهذا النوع هو المقصود في القراءات القرآنية ، ومن أمثلة ذلك في القراءات الشاذة ، قرأ أُبَيّ بن كعب { فانكحوا ما طابَ لكم من النساء }[3] بإمالة " طاب " ، على حين قرأ الجماعة " طاب " بالألف ، وذُكِرَ أنّ في مصحف أُبَيّ كُتِبَتْ " طيب " بالياء ، وهو دليل الإمالة ، ويرى الدكتور أنيس[4] أن الفعل المعتل الأجوف مرّ بثلاث مراحل ؛ الأولى : تسكين الياء أو الواو نحو " بَيْع " و " قَوْل " ، والثانية : تطور صوتَي الواو أو الياء هنا إلى الإمالة ، الثالثة : تطور الإمالة إلى الفتح ؛ أي أنّ المراحل التي مرّ بها الفعل " باع " هي : (بَيْع) ثمّ (إمالة) ثمّ (فتح) ، فالصوت المركب (ai) قد تطور إلى (e) ثمّ إلى (a) .

وقد استدرك الدكتور رمضان عبد التواب[5] مرحلة رابعة على الدكتور أنيس ، فيرى أنّ الفعل الأجوف مرّ بأربع مراحل ، وليس ثلاث مراحل ، ويذهب إلى أن أولى هذه المراحل كانت : (قَوَل) ، و (بَيَع) ... بتحريك صوت العلة ، وقد بقيت

---

[1] إبراهيم أنيس ، في اللهجات العربية ، ص ٦٠ .

[2] المرجع السابق ، ص ٦٧ .

[3] سورة النساء ٤ / ٣ ، وانظر : أبو حيان ، البحر المحيط ، ص ٣ / ١٦٢ .

[4] إبراهيم أنيس ، في اللهجات العربية ، ص ٦٥ ــ ٦٦ .

[5] رمضان عبد التواب ، بحوث ومقالات في اللغة ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ١٩٩٥، ص٥٩ .

هذه المرحلة في اللغة الحبشية ... والمرحلة الثانية هي التسكين ، أو ضياع الحركة بعد الواو أو الياء للتخفيف ، نحو (قَوْل) و (بَيْع) ... وقد بقيت هذه المرحلة عند قبيلة طيّئ وهذيل ... والمرحلة الثالثة هي انكماش الأصوات المركبة " المزدوجة " (kontraktion der diphthonge) والأصوات المركبة في العربية هي : الواو والياء المسبوقتان بالفتحة في مثل (قَوْل) و (بَيْت) ... فتتحول الواو المفتوح ما قبلها إلى ضمة طويلة ممالة ، وكذلك تنكمش الياء المفتوح ما قبلها ، فتتحول إلى كسرة طويلة ممالة ... والإمالة إلى الكسر لغة بني تميم ... وأما المرحلة الرابعة والأخيرة فتتمثل في التحول من الإمالة إلى الفتح الخالص ... وهذا التطور الأخير هو الذي وصلت إليه العربية في مثل : قام وباع ... كما وصلت إليه اللغة العبرية

ونستنتج إذن أنّ ما في مصحف أبيّ " طيب " بالياء يمثل مرحلة الإمالة ، التي هي أقدم من مرحلة الفتح ، فليس الأمر هنا هو أن بني تميم تحول الألف إلى ياء ، أو الفتحة إلى كسرة ؛ لكنها احتفظت بالمرحلة الثالثة من مراحل تطور الفعل الأجوف ، ومن ثمّ فالقراءة الشاذة هنا تمثل مرحلة صوتية أعرق تاريخيا من القراءة الصحيحة ، وأمثلة الإمالة في القراءات الشاذة من الكثرة بمكان .

ب ـ الإتباع :

ذهب ابن جنّي إلى اعتبار الإتباع ضرباً من ضروب الإدغام الأصغر ، إذ هو تقريب الصوت من الصوت ، ولا سيما على مستوى الصوائت ، فتتحول الضمة إلى كسرة إتباعاً لكسرة بعدها، وتتحول الكسرة إلى ضمة إتباعاً لضمة بعدها ، ويكون ذلك بتأثير الصائت الثاني في الصائت الأول ، ويسمى ذلك بالتأثر الرجعي ، وهو أكثر الأنواع شيوعا في العربية ، واللسان العربي يهرب من التنافر بين الأصوات ، فيميل إلى الانسجام الصوتي بين الصوائت " ومما يعدّ من قبيل المناسبة أيضاً ما يسميه

للنحاة الإتباع على اللفظ ، فليس لهذا النوع مبرر من القاعدة ، ولهذا السبب لا يمكن تفسير الإتباع على اللفظ إلاّ في ضوء المناسبة الصوتية الموسيقية "[1]

وتعزى ظاهرة الإتباع إلى بعض بني ربيعة ، وبعض قيس ، وهذيل ، وأزد شنوءة ، وتميم .

ومن أصحاب القراءات الشاذة الذين قرؤوا بالإتباع أبو السمّال ، في قوله { أُحِلَّتْ لكم بَهيمَةُ الأنعام }[2] فقرأ " بِهيمَة " بكسر الباء ، إتباعاً للحركة الطويلة بالياء بعد الهاء ، وهذا تأثر رجعي ، فقد تأثر الصوت الأول بالصوت الثاني ، وهي لغة تميم ، على حين قرأ الجمهور " بَهيمَة " بفتح الباء .

ويرى سيبويه أن الألف الموصولة في الابتداء مكسورة أبداً ، إلاّ إذا كان الحرف الثالث من الكلمة مضموماً ، فتضمّ هذه الألف الموصولة ، إتباعاً لحركة الضمة على الحرف الثالث ، وذلك نحو قولك : اُقْتُلْ ، واُسْتُضْعِفَ ، واُحْتُقِرَ ، واُحْرُنْجِم . ويعلل ذلك بتقريب حركة الألف من حركة الحرف الثالث من الكلمة ، لأن الانتقال من كسر إلى ضمّ وبينهما ساكن ، والساكن حاجز غير حصين ، فيه ثقل على اللسان ، فالعرب تكره الانتقال من كسر إلى ضمّ ، والعكس كذلك ، فتميل إلى التيسير بالإتباع ،[3] ووردت ظاهرة الإتباع في القراءات الشاذة ، فقرأ ابن جماز ، وابن وردان ، والشنبوذي ، وقتيبة { وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا }[4] بضمّ الألف الموصولة في " اُسْجُدوا " إتباعا لضمة الجيم ، وتعزى هذه القراءة إلى لغة أزد شنوءة .

---

[1] تمّام حسّان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٩٠م ، ص ٢٧٤ .

[2] سورة المائدة ٥ / ١ ، وعبد اللطيف الخطيب ، معجم القراءات ، ص ٢ / ٢١٥ .

[3] انظر : سيبويه ، الكتاب ، ص ٤ / ١٤٦ ـ ٤٤٠ .

[4] سورة البقرة ٢ / ٣٤ ، وانظر : ابن جني ، المحتسب ، ص ١ / ٧١ ، وأبو حيان، البحر المحيط ص ١/ ١٥٠ .

وقد نجد في كلمة واحدة تحقيق الإدغام بنوعيه ؛ الأكبر ، والأصغر ، متمثلا في الإتباع ، قال عزّ وجلّ { فمن اضطُرَّ غيرَ باغٍ ولا عادٍ فلا إثمَ عليه }[1] فقرأ أبو السمّال "اِضطِرّ" بكسر الطاء وتشديد الراء ، وذلك تنبيها على الأصل ، لأن أصله "اِضطُرِرَ" فلمّا أُدغم الراءين حرك الطاء بحركة الراء الأولى قبل تسكينها ، لتنسجمَ مع حركة الألف الأولى في ابتداء الكلمة ، كما أنّ الطاء هنا أصلها تاء ، فأبدلت طاء من أجل الضاد ، فالضاد صوت إطباقيّ ، أثّرَ في التاء ، فتحولت التاء المرققة إلى صوت إطباقي ، قريب لها في المخرج ، وهو صوت التاء ، وهذا لأجل تقريب الصوت من الصوت ، ولحدوث الانسجام الصوتي ، وتعزى هذه القراءة إلى ربيعة ، وهي من قبائل شرقي الجزيرة العربية ، وواضح ممّا سبق تلاؤم الإتباع مع القبائل التي تميل إلى السرعة في الكلام .

ج ــ تقريب الصامت من الصامت " الإتباع بالصامت " :

يحدث عند بعض القبائل العربية أن يتحول الصوت الصامت إلى صوت صامت آخر ، ليتقاربا في الصفة الصوتية ، كأن تتحول السين إلى صاد بسبب تأثير صوت القاف ، وهذا نوع من أنواع المماثلة الصوتية أو الإدغام الأصغر من دون إدغام ، ومثال ذلك { والنخلَ باسقاتٍ لها طلعٌ نضيدٌ }[2] فروي أن النبيّ قرأ " باصقات " بالصاد ، أبدلها من السين ، ويرى العكبري أن تفسير ذلك بسبب المشاركة بين الصاد والسين في الصفير ، كما أنهما مهموسان ، ويذهب ابن جنّي إلى تأثير صوت القاف في الاستعلاء ، فأبدلت السين صاداً ، حيث إن الصاد فيها استعلاء يتناسب مع استعلاء القاف ، كما أن مخرج السين والصاد من نصل اللسان مع اللثة ،

---

[1] سورة البقرة ٢/ ١٧٣ ، وانظر : أبو حيان ، البحر المحيط ، ص ١/ ٤٩٠ ، وعبد اللطيف الخطيب ، معجم القراءات ، ص ١ / ٢٣٧ ، وأبو البقاء العكبري ، إعراب القراءات الشواذ ، تحقيق محمد السيد محمد عزوز الطبعة الأولى ، بيروت ، عالم الكتب ، ١٩٩٦م ، ص ١ / ٢٢٨

[2] سورة ق ٥٠ / ١٠ ، وانظر : أبو حيان ، البحر المحيط ، ص ٨/ ١١٢ ، وابن جني ، المحتسب ، ص ٢ / ٢٨٢ ــ ٢٨٣ ، والعكبري ، إعراب القراءات الشواذ ، ص ٢ / ٥٠٦

فهو مخرج أسناني لثويّ ، وتنسب هذه القراءة إلى بني العنبر . وقد تُحولت السين إلى صاد في قوله تعالى { وأسبَغَ عليكم نِعَمَه }[1] ، فقرأ يحيى بن عمارة ، وابن عباس " أصبَغ" بالصاد مكان السين ، وتعزى هذه القراءة إلى بني كليب ؛ وسبب الإبدال الصوتي هنا وجود تشابه في المخرج والصفة بين السين والصاد ، وتأثير صوت الغين على السين ، فالغين مستعلية ، يناسبها الصاد المستعلية .

وقد يتحول صوت الصاد إلى زاي ، وكذلك صوت السين إلى زاي ، قال تعالى { ذوقوا مَسَّ سقَر }[2] يذهب ابن يعيش إلى أن السين تقلب زايا ؛ لوجود صوت القاف ، وفي لغة كلب تقلب السين زايا مع القاف خاصة ، ففي قوله تعالى { بما كانوا يَصْدِفون }[3] حيث قرئ بإخلاص الصاد زايا " يَزْدِفون" ، وتعزى إلى لغة كلب ، ويعقب الزمخشري على تلك الظاهرة الصوتية بأن " الصاد الساكنة إذا وقعت قبل الدال جاز إبدالها زايا خالصة في لغة فصحاء من العرب "[4] ، وبناء على ما سبق فإن صوتي السين والصاد مهموسان ، ومخرجهما أسناني لثوي ، على حين صوت الزاي مجهور ، ومخرجه من تصل اللسان مع أصول الأسنان ، فثمّة تشابة بين الزاي والسين والصاد في المخرج ، وذلك يبرر قلب السين والصاد زايا عند قبيلة كلب ، كما تعزي هذه الظاهرة إلى طيّئ ، ويرى الدكتور رمضان عبد التواب أن " الصاد قبل الدال مباشرة ، هي السبب في هذه المماثلة ، فلا يصح أن يقال كما في هذا النص :

---

[1] سورة لقمان ٣١ / ٢٠ ، وانظر : ابن جني ، المحتسب ، ص ٢ / ١٦٨ ، وأبو حيان ، البحر المحيط ، ص٧/١٩٠.

[2] سورة القمر ٥٤ / ٤٨ ، وانظر : ابن يعيش ، شرح المفصل ، ص ١٠ / ٥٢ .

[3] سورة الأنعام ٦ / ١٥٧ ، وانظر : أبو حيان ، البحر المحيط ، ص ٣ / ٣١٢ ، وعبد اللطيف الخطيب ، معجم القراءات ، ص ٢ / ٥٩٢ .

[4] ابن يعيش ، شرح المفصل ، ص ١٠ / ٥٢ .

وطيّئ تقلب كل صاد ساكنة زايا ؛ بل تزاد عبارة : قبل دال ، ولعلها ساقطة من أصل الكتاب ."[1] وما ذهب إليه الدكتور رمضان عبد التواب يتفق مع رأي الزمخشري .

كما نلحظ أن الإبدال بين الصوامت يكاد ينحصر هنا في المخرج الأسناني اللثوي ، ومن الملاحظات الجديرة بالذكر أن الإبدال بين صامتين يكون تحت تأثير صامت ثالث مجاور لهما ، كما أن هذه الأمثلة التي ذكرناها تعزى إلى قبائل تقطن شمالي الحجاز ، وهي طيّئ وكلب ،وهما من القبائل اليمنية التي رحلت إلى شمالي الجزيرة العربية .

وبناء على ما سبق أود أن أشير إلى أن التقريب بين الصوامت يمكن أن يكون شكلا من أشكال الإتباع على مستوى الصوامت ، إذ يتحول صامت السين مثلا إلى صامت الصاد تحت تأثير صامت القاف ، للتقريب الصوتي بينهما ، بعد توافر شرط الإبدال الصوتي ، وهو التشابه في المخرج أو الصفة ، أو فيهما معاً ، كما نجد أن الصامت الثاني يؤثر في الصامت الأول ، وهو التأثر الرجعي الشائع في القراءات القرآنية .

خامساً ـ ألقاب لهجية في القراءات الشاذة :

ذكرت لنا كتب التراث اللغوي والنحوي أن ألقابا تعزى إلى لهجات عربية قديمة ، ويلاحظ استثناء قبيلة قريش منها ، وتروى هذه الألقاب على أنها أقلّ فصاحة ، وفي ظنّي أن الهدف من ذلك هو جَعْلُ العربية الفصحى لغة قريش وحدها ، فهي أفصح العرب ، وأصفاهم لغة ، ومنهم اختار الله النبيّ صلى الله عليه وسلم ، كما أنهم يقطنون حول الكعبة ، وكل هذه الأوصاف تسمو بقريش عن غيرها من القبائل العربية الأخرى .

---

[1] رمضان عبد التواب ، التطور اللغوي ، ص ٤٦ ، وانظر : حسام البهنساوي ، القواعد التحويلية ، ص٣٧ .

بيد أن ورود خمسة ألقاب من ألقاب اللهجات العربية القديمة في القــراءات القرآنية الشاذة يسمو بهذه الألقاب ، فالقراءة سنة متبعة ، مروية عن الرسول ، فهــي صحيحة السند إلى الرسول ، كما أن ثمّة ألقابا أخرى وردت في الأحاديث النبوية مثل الطمطمانية ، والعنعنة ، كل هذا يوضح أن هذه الألقاب ليست نقصا وعيبا لغويا فــي جبين القبائل العربية التي نطقت بها، بل هي ظاهرة صوتية نطقت بها الألسنة ، فــلا فضل للغة على أخرى ولا للهجة على غيرها ، وهذا يؤكد أن القراءات القرآنية مــرآة صادقة تعكس لنا صورة الواقع اللغوي العربي ، ومن الملاحظات الجديرة بالذكر هنــا أن الألقاب اللهجية التي وردت في القراءات ، اختصت بها القراءات الشاذة مــن دون القراءات الصحيحة ، ومن بين هذه الألقاب ما هو أعرق تاريخيا من غيره ، وفيما يلي نعرض ألقاب اللهجات العربية القديمة من خلال القراءات الشاذة .

أولا ــ التلتلة :

وهي عبارة عن كسر حرف المضارعة ، فهي مرتبطة بالفعل المضارع ، وتلك ظاهرة سامية قديمة ، إذ توجد في العبرية والسريانية والآرامية ،[1] وتعزى إلى تميم ، وأسد ، وقيس ، وربيعة ، وهي قبائل وسط الجزيرة العربية وشرقيها ، على حين نجد أهل الحجاز يميلون إلى فتح أحرف المضارعة .

وقد تَجَمَّعَ لديّ من الأمثلة على هذه الظاهرة ثمانية ، كلها لأصحاب القراءات الشاذة ، قال تعالى { يومَ تَبْيَضُّ وجوهٌ وتَسْوَدُّ وجوهٌ }[2] قرأ يحيى بن وثّاب ، وأبو زيد العقيلي ،وأبو نهيك ، وأبو عمران الجوني ، " تِبْيَضّ ... تِسْوَدّ " بكسر تاء المضارعة ، وهي لغة تميم ، وأسد ، ويرى الدكتور رمضان عبــد التــواب أن كــسر أحــرف المضارعة أقدمُ تاريخياً من فتحها "والفتح في أحرف المضارعة ، حادثٌ في رأيــي ،

---

[1] انظر : إبراهيم أنيس ، في اللهجات العربية ، ص ١٣٩.

[2] سورة آل عمران ٣ / ١٠٦ ، وانظر : أبو حيان ، البحر المحيط ، ص ٣/ ٢٢ ، وابن جنــي ، المحتسب ، ص ١ / ٣٣٠ ، وعبد اللطيف الخطيب ، معجم القراءات ، ص ١ / ٥٥٤ .

في العربية القديمة ، بدليل عدم وجوده في اللغات السامية الأخرى ، وبدليل ما بقي من الكسر في بعض اللهجات العربية القديمة ."[1]

ومن أمثلة ظاهرة التلتلة { ولا تركنوا إلى الذين ظلموا }[2] ، فقرأ يحيى بن وثّاب ، وقتادة ، وطلحة ، والأشهب " تِركنوا " بكسر التاء ، وهي لغة تميم ، وكذلك قرأ يحيى بن وثاب { ولا تِقْرَبا هذه الشجرة }[3] ، بكسر التاء ، وقرأ زيد بن عليّ ، ويحيى بن وثاب ، وعُبَيد بن عمير الليثي { إيّاك نِعْبُدُ }[4] ، بكسر النون ، وهي لغة هذيل ، وبناء على ما سبق فإنّ ظاهرة التلتلة موجودة في العربية واللغات السامية ، وإنّ فتح أحرف المضارعة مرحلة متطورة عن كسر أحرف المضارعة ، وقد حافظت القبائل العربية البدوية على كسر أحرف المضارعة ، كما حافظت لنا عليها القراءات الشاذة .

ثانياً ـ الاستنطاء :

وهي قلب العين الساكنة نوناً ، إذا جاورت الطاء ، وارتبطت هذه الظاهرة بالفعل " أعطى" فقط ، وتعزى إلى هذيل ، وقيس ، والأزد ، وسعد بن بكر ، قال تعالى { إنّا أعطيناك الكوثر }[5] ، فقرأ الحسن ، وطلحة ، وابن محيصن ، والزعفراني " أنطيناك " بالنون ، وتنسب هذه القراءة الشاذة إلى سعد بن بكر ، وهذيل ، والأزد ، وقيس ، وقد اختلف اللسانيون المعاصرون في تعليلها ، لأن من الناحية الصوتية لا يمكن قلب العين

---

[1] رمضان عبد التواب ، فصول في فقه العربية ، ص ١٢٥ .

[2] سورة هود ١١ / ١١٣ ، وانظر : ابن جني ، المحتسب ، ص ١/ ٣٢٩ ، و عبد اللطيف الخطيب ، معجم القراءات ، ص ٤ / ١٥٣ .

[3] سورة البقرة ٢ / ٣٥ ، وانظر : أبو حيان ، البحر المحيط ، ص ١ / ١٥٨ ، وعبد اللطيف الخطيب ، معجم القراءات ، ص ١ / ٨١ .

[4] سورة الفاتحة ١ / ٥ ، و أبو حيان ، البحر المحيط ، ص ١/ ٢٣ ، والخطيب ، معجم القراءات،ص ١/١٥ .

[5] سورة الكوثر ١٠٨ / ١٠ ، وانظر : أبو حيان ، البحر المحيط ، ص ١٠ / ٥٥٦ .

نونا ، بسبب تباعد المخرجين الصوتيين ، فلا يقلب الصوت إلى صـوت آخـر إلا إذا تقاربا في المخرج أو الصفة أو فيهما معا .

ومن اللسانيين المعاصرين المستشرق الألماني رابين ، حيث يقول : " فهناك مـا يدعو لاحتمال أن يكون هناك سبب غير صوتي لوجود " انطـى " ؛ لأنّ هـذا اللفـظ مستعمل الآن في بغداد ، وجنوبي العراق ، ونابلس بفلسطين ، وعند قبيلة عنيزة فـي الصحراء السورية ... وهذا يقابل الاستعمال العبـري ا ن ا ا ط ا ا ه ي ا ا د ه ء ي ل ا [مدّ يده إليّ] أي أخذ "[1] ومِمّا سبق نلحظ أن رابين يفسر الاستنطاء بأنـه لا شأن له بالفعل أعطى ، بل هو فعل سامي آخر معروف في العبرية هو " نطا " بمعنى مدّ يده إليّ ، وقد زاد عليه الهمزة ، فصار على صورة أفعل .

ويذهب الدكتور إبراهيم السامرائي مذهبا آخر في تفسير هذه الظاهرة فيـرى أن " ملاك الأمر في هذه النون أنها لم تكن مقابلة للعين في " أعطى " وإنما جاءت من أن الفعل كان " أتى " بمعنى " أعطى " ، ثمّ ضُعف الفعل فصار " أتّى " بتشديد التاء ، ومعلوم أن فكّ الإدغام في العربية ، وفي غيرها من اللغات السامية ، يقتـضي إبـدال النون بأحد الحرفين المتجانسين "[2] وهذا التعليل يقوم على افتراض أن الفعل " أتى " حدث له تضعيف ، ثمّ مخالفة صوتية ، بإبدال الصوت الأول نونا ، وهذا احتمال ثـانٍ مطروح أمام الباحثين .

وأما الاحتمال الثالث ، فيرى أن ما حدث في ظاهرة الاستنطاء هـو عمليـة نحت، لما في العبرية والسريانية ، واللغة العربية ، فأخذ فـاء الفعـل مـن العبريـة والسريانية وبقيت عينه ولامه كما هما في العربية .[3]

---

(1) رابين ، اللهجات العربية الغربية القديمة ، ص ٦٩ ــ ٧١ ــ ١٤٢.

(2) إبراهيم السامرائي ، فقه اللغة المقارن ، الطبعـة الرابعـة ، بيـروت ، دار العلـم للملايـين ، ١٩٨٧م،ص٢٥٨ .

(3) رمضان عبد التواب ، فصول في فقه العربية ، ص ١٢٢.

وممّا سبق نرى تباين الآراء ، فحاول كل واحد أن يدلي بدلوه في هذه الظاهرة ؛ للوصول إلى حلّ أمثل فيها ، وإنّي لأزعم أنها لم تصل إلى التفسير الصحيح والأمثل ، كما لا أدّعي أن لديّ تفسيراً رابعا ، فقد يأتي من بعدنا من يوفق إلى تفسير أمثل . وحسب هؤلاء أنهم اجتهدوا .

ثالثاً ـ الوتم :

وهذه الظاهرة يقصد بها قلب السين تاء ، وتعزى إلى قضاعة واليمن ، قال تعالى { من الجِنّة والناس }[1] حيث قرئ " النات " بالتاء مكان السين ، وتعزى هذه القراءة إلى قضاعة ، واليمن ، ومن الناحية الصوتية يمكن تفسيرها ، فصوت السين والتاء من مخرج أسناني لثوي ، كما أنهما مهموسان ومرققان ، بيد أن صوت السين رخو ، على حين صوت التاء انفجاري ، ومن ثمّ يمكن حدوث إبدال صوتي بينهما ، وثمّة ملاحظة هنا ، وهي أن هذه الظاهرة تنسب إلى قبائل قحطانية ، وهذا يذكرنا بما تناولناه من قبل من الإبدال الصوتي بين الصوامت ، إذ يعزى إلى قبائل قحطانية ، ومن هنا يمكن أن نستنبط شهرة القبائل القحطانية بالإبدال بين الصوامت ؛ لتقريب الصوت من الصوت ، وتلك خصيصة قحطانية .

رابعاً ـ الفحفحة :

ويقصد بها قلب صوت الحاء عينا ، وتنسب إلى هذيل ، وثقيف ، ومعروف أن هذيل كانت تسكن الحجاز ، فديارها في السروات ، وكذلك ثقيف تسكن الطائف ، إذن هما من قبائل الحجاز ، ويعود أصلهما إلى عدنان ، وجاءت هذه الظاهرة في سورتين اثنتين ، سورة يوسف ، وسورة المؤمنون ، وتعزى هاتان القراءتان إلى ابن مسعود ، قال تعالى { فتربصوا به حتّى حين }[2] فقرأ ابن مسعود " عتّى حين " ،

---

[1] سورة الناس ١١٤ / ٦ ، وانظر : العكبري ، إعراب القراءات الشواذ ، ص ٢ / ٧٦٢ .

[2] سورة المؤمنون ٢٣ / ٢٥ ، وانظر : ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ، تحقيق السيد أحمد صقر القاهرة ، ١٩٥٤ م ، ص ٣٩ .

ويذهب المستشرق الألماني رابين إلى أن اللغويين يرون أن " قبيلة هذيل تنطق الحاء عينا باطراد ، ولكنهم لا يقدمون أمثلة أخرى غير هذه القراءة ، وفي مؤتمر المستشرقين السابع (ج ٢ ص ٧٧) قدّم اليازجي جملة كاملة من لهجة هذيل هي (اللعم الأعمر أعسن من اللعم الأبيض) ولكنه لا يذكر مصادره . "[١] ويرى رابين أيضا أن وجود " عتّى " و" حتّى " يوحي بوجود " اختلاط بينهما وبين " عَدَة " " ع ا د ا ي " وقدَ كانت موجودة في المنطقة العَرَبيّة الغَرْبيّة ، وفي السبئية نجد " ع د " ثمّ نجد في نصوص متأخرة " ع ا د ا ي " وقد يكون هذا التعدد نتيجة لاختلاطها بحتّى العربية " [٢]

ولمّا الآية التي وردت في سورة يوسف فهي { لَيَسْجُنُنَّه حتّى حين }[٣] فقرأ ابن مسعود "عتّى " بإبدال الحاء عينا ، وهي لغة هذيل .

ويحتمل أن يكون هنا إبدال صوتي بين العين والحاء ، فهما صوتان حلقيان ، ، خرجهما من جذر اللسان مع الجدار الخلفي للبلعوم الفموي [٤] ، ولكن يختلفان في أن صوت الحاء مهموس ، على حين صوت العين مجهور .

خامساً ـ العجعجة :

وهي عبارة عن إبدال الجيم ياء ، وتعزى إلى بعض تميم ، وبرابر مكة ، وسودانها ، وقد وردت آية واحدة في سورة البقرة ، في قراءة لم يُسمّ صاحبها ، قال تعالى { ولا تقربا هذه الشَّجَرَةَ }[٥] ، قرأ قوم " الشِّيَرَةَ " ، بكسر الشين ، وياء مفتوحة بعدها ، ويذكر الدكتور رمضان عبد التواب أن صوت الجيم في اللغة العربية مثال

---

[١] رابين ، اللهجات العربية الغربية القديمة ، ص ١٥٣.

[٢] المرجع السابق ، ص ٨٤ ، وانظر : رمضان عبد التواب ، فصول في فقه العربية ، ص ١٣٩.

[٣] سورة يوسف ١٢ / ٣٥ ، وانظر : ابن جني ، المحتسب ، ص ١ / ٣٤٣.

[٤] سعد مصلوح ، دراسة السمع والكلام ، ص ١٧٤.

[٥] سورة البقرة ٢ / ٣٥ ، وانظر : ابن جني ، المحتسب ، ص ١ / ٧٣ ـ ٧٤ ، وأبو حيان ، البحر المحيط ، ص ١ / ١٥٨ ، وعبد اللطيف الخطيب ، معجم القراءات ، ص ١ / ٨٢ .

طيب للتغييرات التاريخية في الاصوات ، فإن مقارنة هذا الصوت باللغات السامية كليا ، يوضح أن النطق الأصلي له كان بغير تعطيش، كالجيم القاهرية ، ثمّ تحـول إلـى صوت معطش من الغار أو الحنك اللين ، وحدث له تغييرات تاريخية بعد ذلك ، فانحلّ إلى أحد عنصريه المكونين له في اللهجات العربية الحديثة ففي صعيد مصر ينطق دالا ، وفي بلاد الشام ينطق شينا مجهورة ، ثمّ يذكر أن هناك تغييرا تاريخيا ثالثا للجـيم ، وهو تحوله إلى ياء ، وهذا التغيير الثالث يتفق مع ما جاء في هذه القراءة التي قلبت فيها الجيم ياء .[1]

وثمّة تساؤل هنا وهو ماذا يقصد ببرابر مكة ، وسـودانها ؟ وربّمـا يكونـون عبيدها ، الذين لا يحسنون النطق بالجيم المعطشة ، وقد يكونون من غير العرب الذين يفدون للحج ، ويعيشون فيها ، كما أن هذه القراءة لا تعزى إلى قارئ معـين ، فهـي بحاجة إلى تحقيق صحة سندها إلى الرسول ، كما أن هذه القراءة لا تعزى إلى قبيلـة عربية محددة ، فضلا عن انحسارها في آية واحدة ، ومن الجدير بالـذكر أن منطقـة الحجاز كلها لا تزال تعطش الجيم إلى يومنا هذا .

---

[1] رمضان عبد التواب ، التطور اللغوي ، ص ٢٥ ــ ٢٦ .

الخاتمة

أهم نتائج البحث

١ـ أبرز البحث أن القراءات الشاذة تنطوي على ظواهر صوتية ، هي أعرق تاريخياً من القراءات الصحيحة ، مثل كسر أحرف المضارعة " التلتلة " ، ونطق " ثُوم " بدلا من " فُوم " ، ونطق "قَوْل" بدلا من " قال " ، وغير ذلك من الظواهر الصوتية .

٢ ــ غالبا وليس دائما ، تمثل لهجات قبائل البدو في وسط الجزيرة العربية وشرقيها ، مثل تميم ، وأسد ، وقيس ، وكلب ، مرحلة صوتية أقدم تاريخيا من لهجات أهل الحجاز ، ومثال ذلك ظاهرة الإمالة ، التي تعزى إلى تميم ومن جاورها ، وهي مرحلة أقدم تاريخيا من ظاهرة الفتح التي تنسب إلى أهل الحجاز .

٣ ــ تباينت القبائل العربية في التعامل مع الهمزة ، فمعظم بني تميم يحققونها ، ومعظم أهل الحجاز يسهلونها ، وبعض قبائل اليمن يبدلونها هاء أو واواً ، مثل طيّئ .

٤ـ مَيْل بني تميم وعقيل إلى الفتح عندما يكون الصامت من أصوات الحلق . وتلك ظاهرة سامية قديمة .

٥ـ عندما تروى كلمة بروايتين ؛ إحداهما ضمّ الصامت الأول ، والأخرى فتحه ، نلحظ أن تميم غالبا تميل إلى استعمال الضمّ ، على حين تميل القبائل الحجازية إلى استخدام الفتح غالبا .

٦ـ وإذا وردت كلمة بضبطين اثنين ؛ الأول بكسر الصامت الأول ، والثاني بفتحه ، يغلب مَيْل تميم إلى الكسر ، وميل الحجازيين إلى الفتح .

٧ـ وإذا جاءت كلمة بضبطين مختلفين ؛ الأول ضمّ الصامت الأول ، والثاني كسره ، فإن الضمّ غالبا يعزى إلى تميم ، والكسر يعزى إلى الحجازيين .

٨ـ ورد في القراءات القرآنية بعض الكلمات القليلة ، يضبط فيها الصامت بثلاث حركات مختلفة الضمة ، والفتحة ، والكسرة ، مثل كلمة " غلظة " ، وهذا في رأيي يعني احتمالين ؛ أولهما :

ان هذه الظاهرة من بقايا ظاهرة كانت منتشرة بين القبائل العربية في فترة زمنية من عمر اللغة ، ثُمّ انحسرت ، وبقي منها هذه الأمثلة القليلة ، وثانيهما : أن تلك الظاهرة بحاجة إلي إعادة استقراء في العربية الفصحى ؛ لإعادة تفسيرها وفق رؤية علمية جديدة ، ولمّا أستطع استخراج زبدة السقاء من أول المخض .

٩ـ تسكين الصامت الثاني المتحرك ينسب إلى تميم ، على حين ينسب تحريكه إلى أهل الحجاز ولكن نجد أمثلة قليلة ، يحدث فيها العكس ، وذلك بسبب عامل التأثير والتأثر بين القبائل ، وكذلك مرونة اللغة على ألسنة الناطقين بها .

١٠ـ ذكر سيبويه أن الصامت المتحرك بالفتح لا يُسكّن ، ولكن هذا الرأي ينقضه وجود أمثلة من القراءات القرآنية ، حيث جاء فيها تسكين المتحرك بالفتح .

١١ ـ اشتهار تميم بالإدغام ، والإمالة ، والإتباع ، على حين اشتهر الحجازيون بالإظهار ، والفتح وقد وردت هذه الظواهر الصوتية في القراءات الشاذة ، والقراءات الصحيحة .

١٢ ـ الإمالة أقدم من الفتح ، ومثال ذلك الفعل المعتل الأجوف " قال " ، فالفتح آخر مرحلة في تطوره وصلت إليها اللغة ، مثل " طاب " .

١٣ ـ الإتباع ضربٌ من الانسجام الصوتي بين الصوائت للتقريب بينها ، ويعزى إلى هذيل ، وأزد شنوءة ، وبعض قيس ، وربيعة .

١٤ ـ أرى أن التقريب الصوتي بين الصوامت ضرب من ضروب الإتباع ، نحو " باسقات " تتحول إلي " باصقات " ، وتعزى هذه الظاهرة إلى بني العنبر ، وكلب ، وطيّئ ، وهي قبائل قحطانية نزحت إلى شمالي الجزيرة العربية .

١٥ ـ ورود ألقاب للهجات العربية القديمة ؛ التلتلة ، والاستنطاء ، والوتم ، والفحفحة ، والعجعجة ، في القراءات الشاذة دليل يسمو بها ، وهذا يكشف أن استبعاد قريش من هذه الألقاب لدليل على الشك في صحة رواية هذا الخبر ، أو رفضه ، كما نرى أن الهدف من ذلك هو جَعْل العربية الفصحى لغة قريش وحدها .

١٦ ــ ظاهرة الاستنطاء التي تعزى إلى هذيل ، وقيس ، والأزد ، وسعد بن بكر ، رغم ما قيل عنها ، فإنها بحاجة إلى تفسير علمي آخر ، يكشف عن حقيقتها ، وهذا مطروح أمام الباحثين .

١٧ ــ يمكن أن نعدّ ظاهرة الوتم التي تعزى إلى قضاعة ، واليمن ، ضربا من التقريب بين الصوامت " الإتباع بطريق الصامت " .

١٨ ــ تعزى ظاهرة الفحفحة إلى هذيل ، وثقيف ، ويفسرها رابين على أنها اختلاط بين العربية والسبئية ، ولكني أضع احتمالا آخر وهو التفسير الصوتي لقلب الحاء عينا ، فلولا بحة في الحاء لكانت عينا ، كما قال ابن جنّي .

١٩ــ أرى أن ظاهرة العجعجة التي تعزى إلى برابرمكة ، وسودانها ، بحاجة إلى إعادة النظر في صحة سند القراءة التي ذكرتها ، وفي نسبتها إلى برابر مكة وسودانها.

٢٠ ــ أرى أن اللهجات العربية القديمة تقف من الهمزة ثلاثة مواقف فقط ؛ تحقيقها ، وحذفها مع الحفاظ على حركتها ، وإبدالها .

٢١ ــ أرى أن همز الألف والواو في " شأبة " و " الضألّين " هو عبارة عن تقصير للحركة الطويلة ، والمبالغة في التفصح ، لإبراز دلالة معينة في ذهن المتكلم .

٢٢ ــ في ظنّي أن اللغة العربية مرّت بثلاث مراحل في نطق الصامت الأول ؛ المرحلة الأولى :

كان ينطق فيها بثلاث حركات مختلفة " الضمة ــ الكسرة ــ الفتحة " ، وفي المرحلة الثانية كان ينطق بحركتين مختلفتين ، وفي المرحلة الثالثة والأخيرة صار النطق فيه بحركة واحدة وهذا هو الشائع والمنتشر في اللغة العربية ، وكان نزول القرآن الكريم محافظا على ما بقي من ألفاظ معبرة عن المرحلة الأولى والثانية .

٢٣ ــ يفيد هذا البحث في كتابة تاريخ اللسان العربي ، والكشف عن السنن الفاعلة في تطور اللغة العربية ، بإعادة تصور الماضي .

٢٤ ــ لقد أوصلني هذا البحث إلى قناعة بأن أرض البحث في القراءات القرآنية ، ولا سيما الشاذة لا تزال عذراء ، فينبغي على الباحثين الجادين أن يستندوا لارتياد المجهول في اللهجات والقراءات بسلوك المأهول في قضايا مستنسخة في البحث العلمي .

المصادر والمراجع

١ ـ إبراهيم أنيس :

ـ الأصوات اللغوية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٥ م .

ـ في اللهجات العربية ، ط ٨ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٢ م .

٢ ـ إبراهيم السامرائي ، فقه اللغة المقارن ، ط ٤ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٧ م .

٣ ـ الأخفش ، أبو الحسن سعيد بن مَسْعَدَة ، معاني القرآن ، تحقيق هدى محمود قراعة ، ط ١ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٩٠ م .

٤ ـ برتيل مالمبرج ، علم الأصوات ، تعريب ودراسة عبد الصبور شاهين ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، ١٩٨٤ م .

٥ ـ تمّام حسّان :

ـ اللغة العربية معناها ومبناها ، ط ٣ ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٩٠ .

ـ مناهج البحث في اللغة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٠ م .

٦ ـ ابن الجزري ، أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي ، النشر في القراءات العشر ، صححه وراجعه علي محمد الضباع ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون تاريخ .

٧ ـ ابن جنّي ، أبو الفتح عثمان :

ـ الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، ط ٢ ، دار الهدى للطباعة والنشر ، بيروت،١٩٥٢م

ـ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات ، تحقيق علي النجدي ناصف ، وعبد الحليم النجار ، وعبد الفتاح إسماعيل شلبي ، ط ٢ ، دار سزكين للطباعة والنشر ، القاهرة ، بدون تاريخ .

٨ ـ حسام البهنساوي ، القواعد التحويلية في ديوان حاتم الطائي ، ط ١ ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ١٩٩٢ م .

٩ ـ أبو حيان الأندلسي ، محمد بن يوسف بن علي ، البحر المحيط ، مطبعة السعادة ، القاهرة .

١٠ ـ داود سلّوم ، دراسة اللهجات العربية القديمة ، ط ١ ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٦ م .

١١ ـ رابين ، شايم ، اللهجات العربيةُ الغربية القديمة ، ترجمة عبد الرحمن أيوب ، مطبوعات جامعة الكويت ، الكويت ، ١٩٨٦ م .

١٢ ـ رمضان عبد التواب :

ـ بحوث ومقالات في اللغة ، ط ٣ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٩٥ م .

ـ التطور اللغوي ، مظاهره وعلله وقوانينه ، ط ٢ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٩٩٠ م .

ـ فصول في فقه العربية ، ط ٣ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٧ م .

ـ المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، ط ٣ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٩٧ م .

ـ مشكلة الهمزة العربية ، ط ٣ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٩٦ م .

١٣ ـ الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمر ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، بيروت ، بدون تاريخ .

١٤ ـ سعد مصلوح ، دراسة السمع والكلام، ط ١، عالم الكتب ، القاهرة ، ٢٠٠٠ م .

١٥ ـ السهيلي ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله ، نتائج الفكر في النحو ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود ، و علي محمد معوض ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٢ م .

١٦ ـ سيبويه ، ابو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط ٢ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٢ م .

١٧ ـ عبد الجواد الطيب ، من لغات العرب ، لغة هذيل ، بغداد ، بدون تاريخ .

١٨ ـ عبد الرحمن أيوب ، أصوات اللغة ، مكاتبة الشباب ، القاهرة ، بدون تاريخ .

١٩ ـ عبد الصبور شاهين :

ـ أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ، ط ١ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٧ م .

ـ المنهج الصوتي للبنية العربية ، رؤية جديدة في الصرف العربي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٠ م .

٢٠ ـ عبد اللطيف الخطيب ، معجم القراءات ، ط ١ ، دار سعد الدين ، دمشق ، ٢٠٠٢ م .

٢١ ـ عبده الراجحي ، اللهجات العربية في القراءات القرآنية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٨ م .

٢٢ ـ العكبري ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين ، إعراب القراءات الشواذ ، تحقيق محمد السيد محمد عزوز ، ط ١ ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٩٦ م .

٢٣ ـ الفراء ، أبو زكرياء يحيى بن زياد ، معاني القرآن ، دار السُّرور ، بيروت ، ١٩٩٥ م .

٢٤ ـ نولفد يتريش فيشر ، ومجموعة من المستشرقين المعاصرين ، دراسات في العربية ، أصولها ، مراحلها التاريخية ، بنيتها ، لهجاتها ، علاقتها بأخواتها السامية ، ترجمة سعيد حسن بحيري ، ط ١ ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ٢٠٠٥ م .

٢٥ ـ ابن قتيبة،تأويل مشكل القرآن ، تحقيق السيد أحمد صقر ، القاهرة ، ١٩٥٤ م .

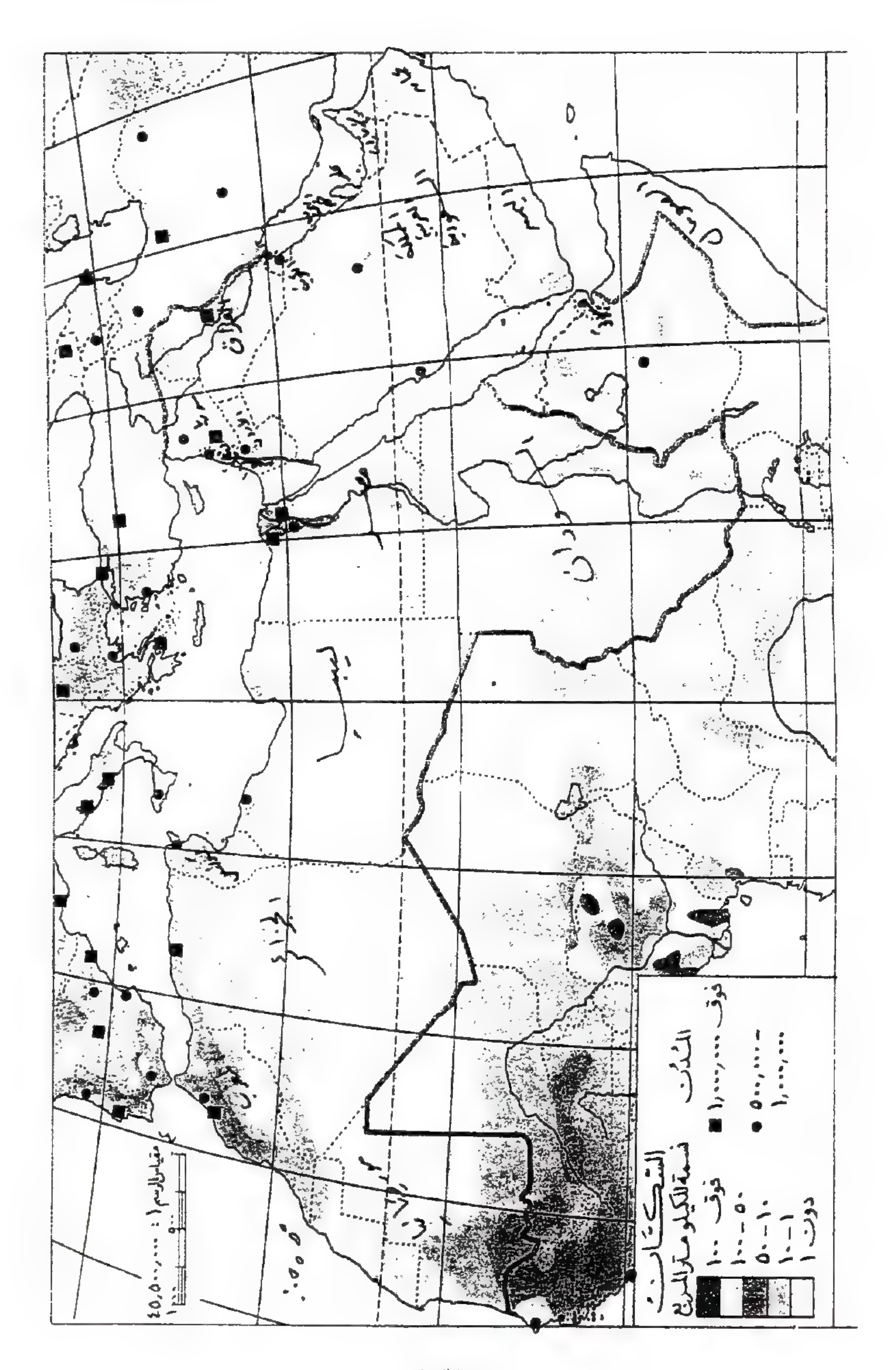
٢٦ ـ كمال بشر،علم الأصوات ، دار غريب للطباعة والنشر ، القاهرة ، ٢٠٠٠ م .

٢٧ ـــ ماريو باي ، اسس علم اللغة ، ترجمة احمد مختار عمر ، ط ٢ ، عالم الكتب، القاهرة ، ١٩٨٣ م .

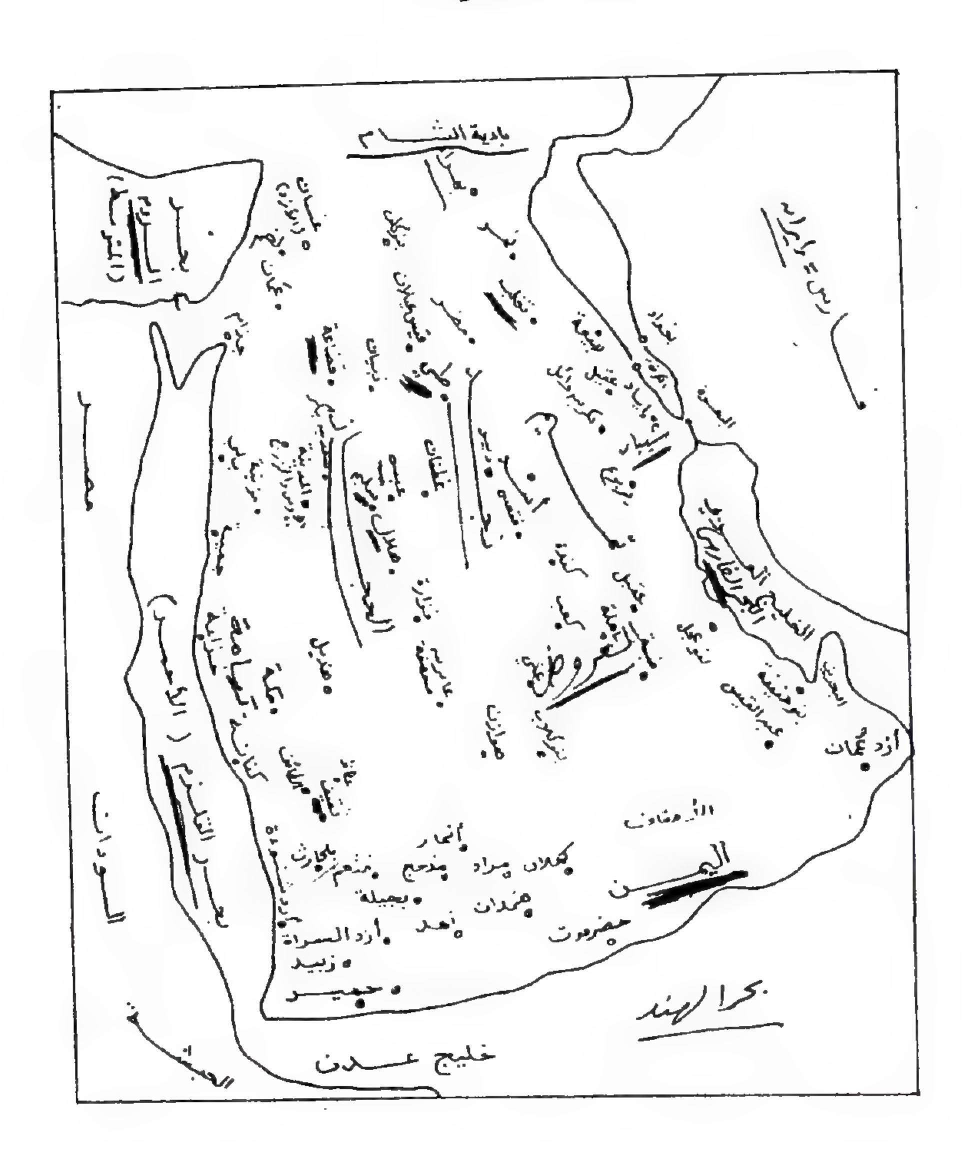
٢٨ ـــ محمود السّعران ، علم للغة مقدمة للقارئ العربي ، ط ٢ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٩٧ م .

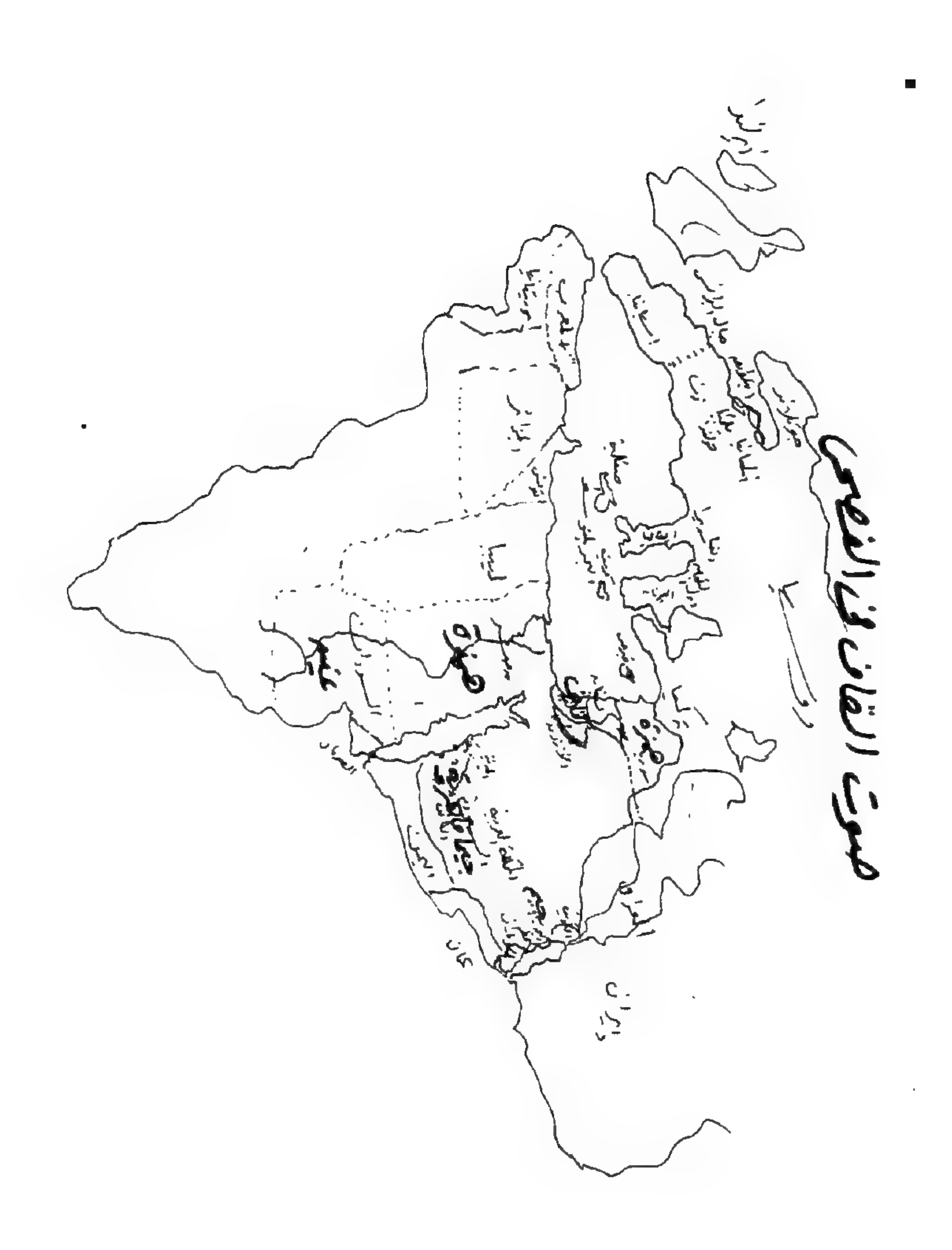
٢٩ ـــ ابن منظور ، جمال الدين محمد ، لسان العرب ، ط ١ ، بولاق ، القاهرة ، ١٣١٦هـــ ١٣١٧ هـــ .

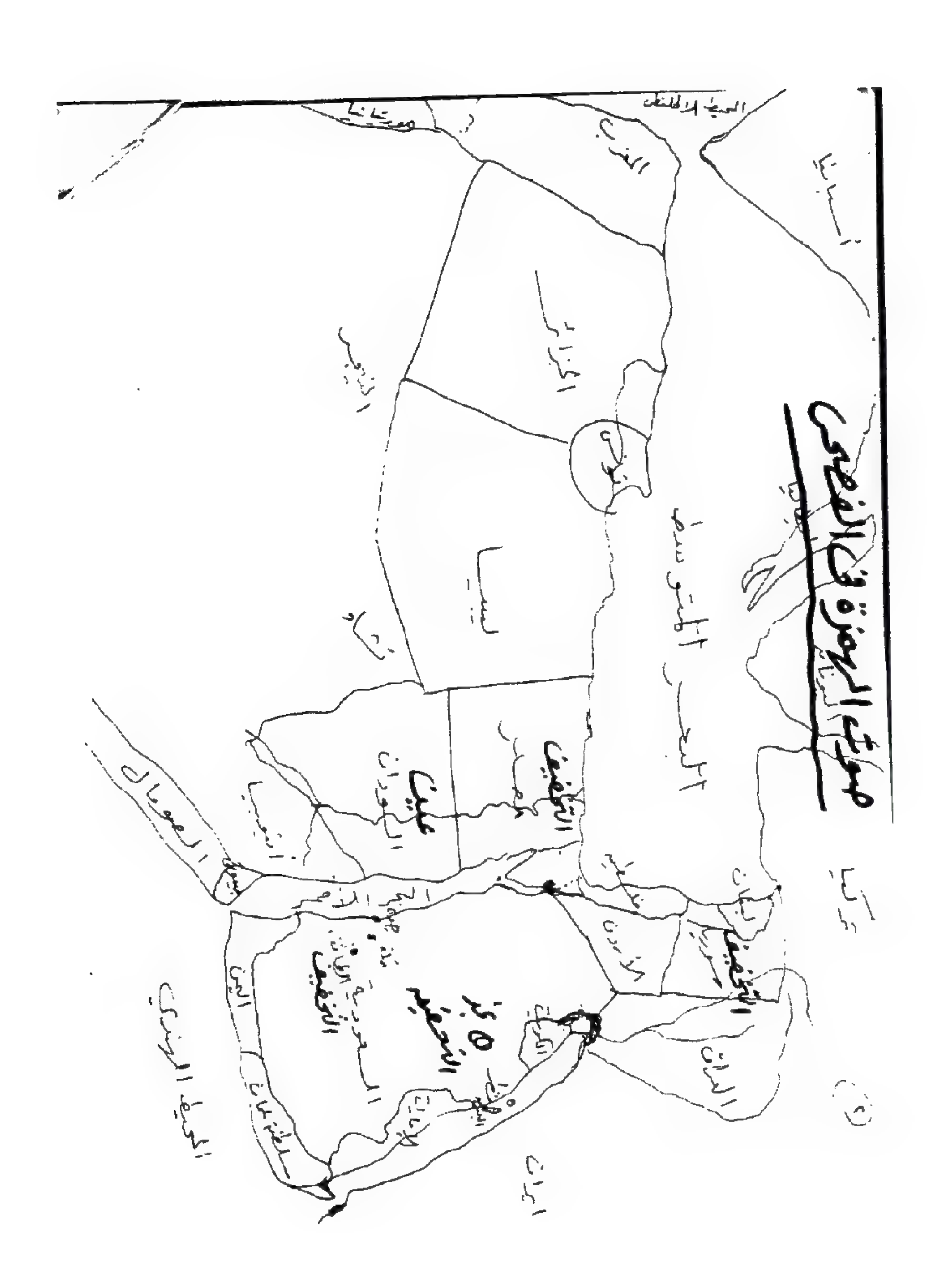
٣٠ ـــ ابن يعيش ، موفق الدين يعيش علي بن يعيش ، شرح المفصل ، مكتبة المتنبي ، القاهرة ، بدون تاريخ .

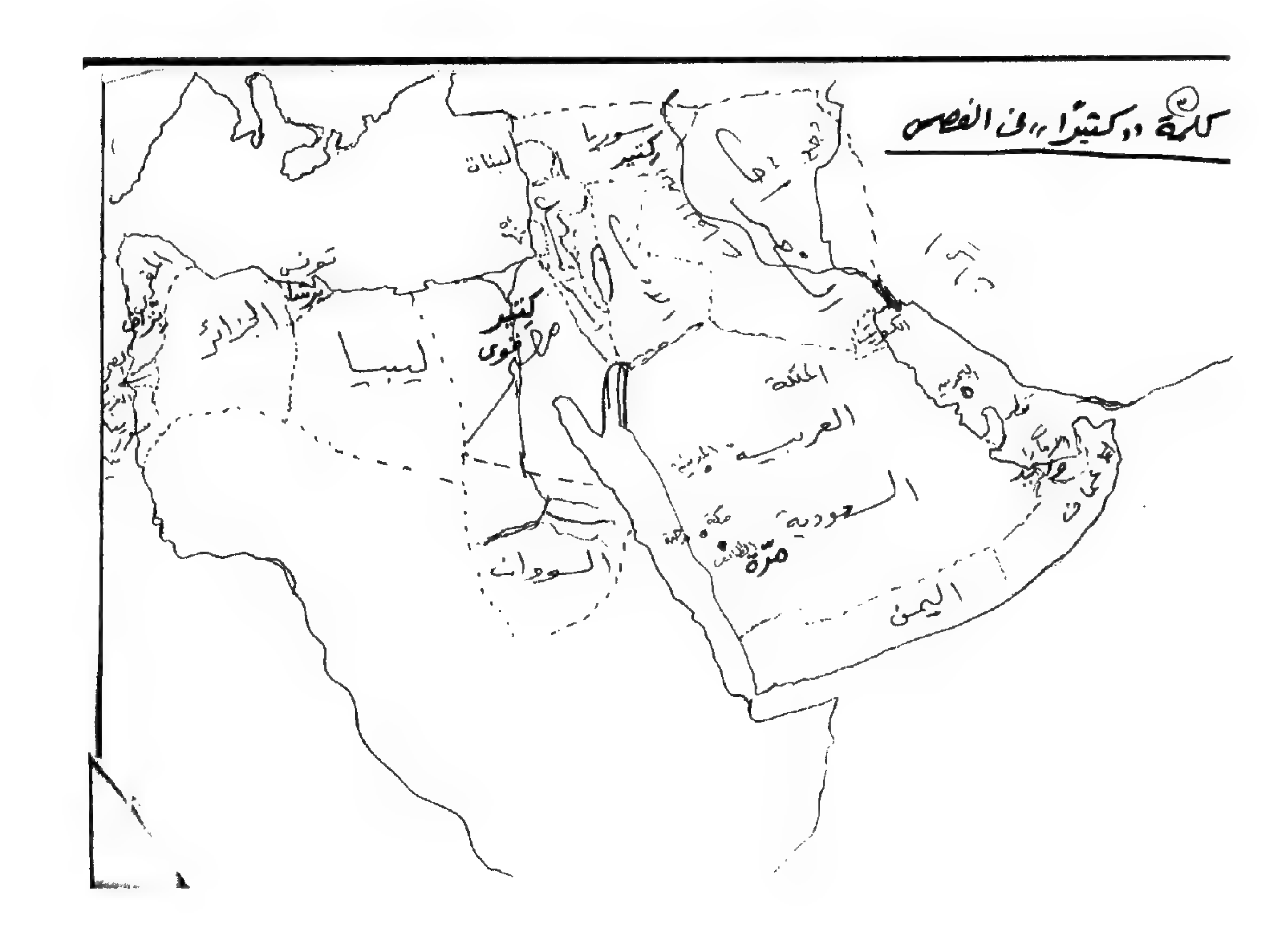


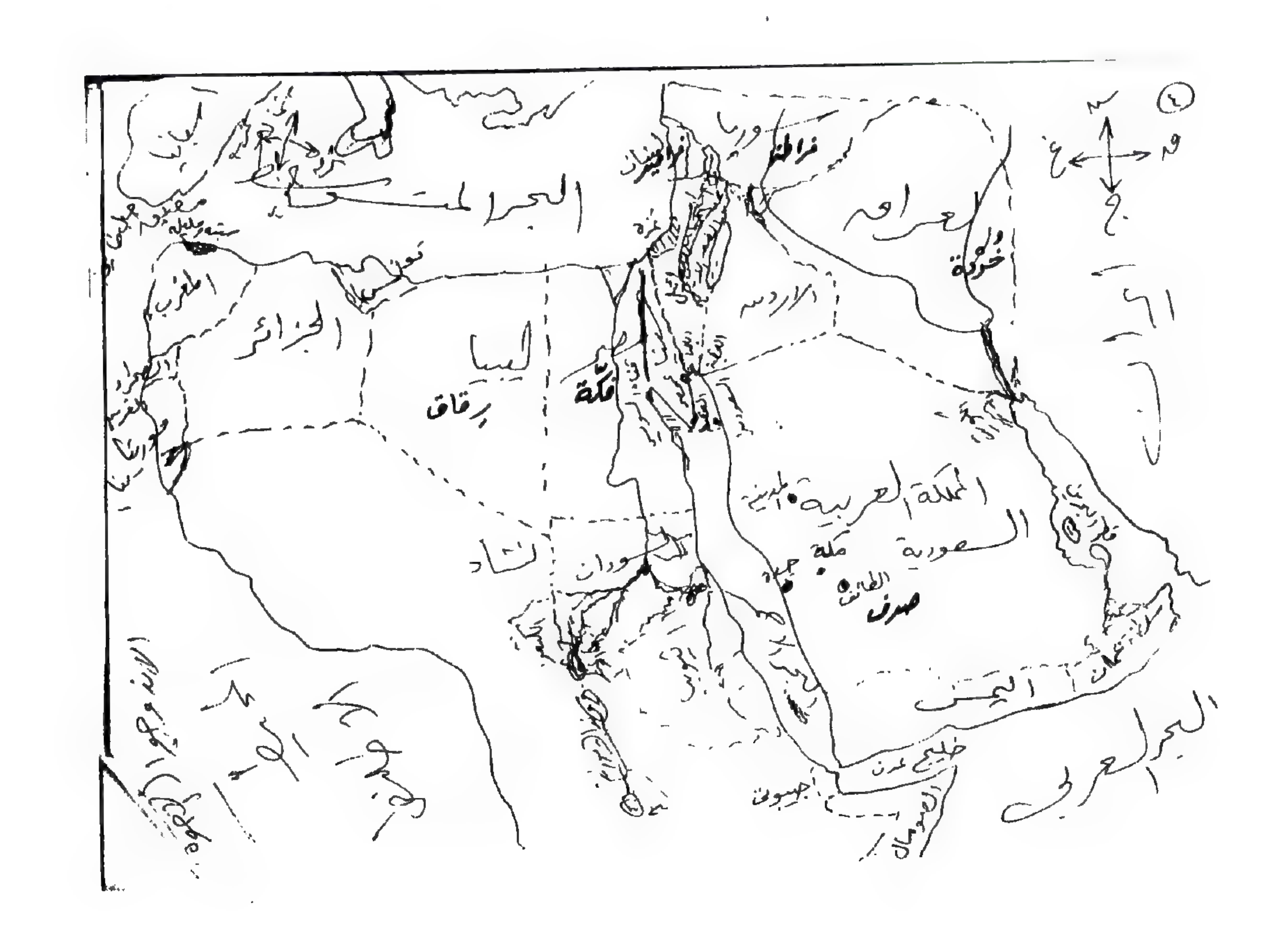
مواضع اللهجات العربية
"على وجه التقريب"

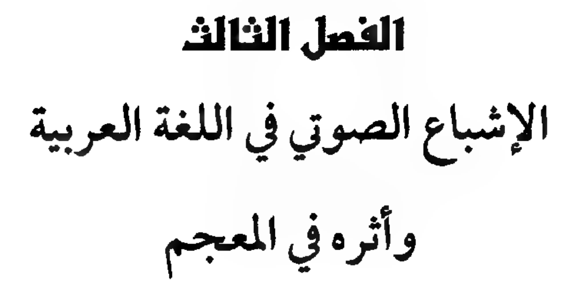



صوت القاف في الفصحى
روسيا
إيرلندا
إسبانيا
فرنسا
ألمانيا
تركيا
همزة
العراق
إيران
المغرب
موريتانيا
الجزائر
ليبيا
مصر
همزة
السودان
عمان
اليمن




كلمة ,,كثيرا,, فى الفصحى
سوريا
كتير
لبنان
تونس
الجزائر
ليبيا
كتير
السودان
المملكة
العربية
السعودية
المدينة
مكة
اليمن
ايران


البحر المتوسط
المغرب
الجزائر
ليبيا
تشاد
السودان
الأردن
العراق
إيران
المملكة العربية السعودية
مكة
جدة
الطائف
اليمن
عمان
البحر العربي
خليج عدن
جيبوتي
الصومال



الفصل الثالث

الإشباع الصوتي في اللغة العربية وأثره في المعجم

الإشباع الصوتي في اللغة العربية
وأثره في المعجم

المقدمة

إنّ من غايات المعجم اللغوي أنْ يكون مفسرًا، وشارحًا لمعاني الألفاظ، وحريصًا على استظهار النطق الصحيح للغة، وكاشفًا عن تطور اللغة عبر العصور والأزمان، وموضحًا كيفية توليد الصيغ في اللغة، والفصل بين اللغة المشتركة واللهجات، وغير ذلك من القضايا اللغوية .

ودراسة الإشباع الصوتي في اللغة العربية هنا محاولة للربط بين الدراسة الصوتيمية "الفونولوجية"والصرفية، والمعجمية، إذ تُعني كلٌ منها بالصيغة المفردة، فالإشباع الصوتي بطريق الصائت القصير أو الصامت البسيط وسيلة من وسائل نمو اللغة العربية وتطورها، وتلك خصيصة من خصائص اللغة العربية جديرة بالرصد والوصف والتشخيص والتحليل والتفسير .

وقد دفعني إلى دراسة هذا الموضوع تفرق قضاياه في بطون كتب اللغة والنحو والعروض، فأردت ضمّ هذه الظواهر المبعثرة، ودراستها لتكون أيسر فهمًا، وأعمق في التناول، فنرصد الظاهرة، ونبحث عن أسبابها، ومظاهرها، ووظيفتها، وأثر ذلك في المعجم العربي، باستخدام الوصف والتحليل والتفسير ما أمكننا ذلك، فتلك دراسة بينية تربط بين الأصوات والصرف والمعجم، فتكشف لنا عن الدور التواصلي للغة بين الناطقين بها، كما تبين التطور الصوتي للغة العربية من خلال موضوع الإشباع الصوتي .

واللغة العربية واسعة الثراء، فقد منحها التاريخ العربي والإسلامي مفردات كثيرة، وهي قابلة لزيادة الثروة اللفظية فيها، فالعربية نظام كبير يحتوي على أنظمة صغيرة منبثقةعنها، فتبدأ بالنظام الصوتي، ثمّ الصرفي، ثم المعجمي... وللإشباع الصوتي دور في الربط بين هذه الأنظمة الثلاث؛ ومن هنا يبرز دور اللغة في التواصل والإقناع بين الناطقين بها، إذ إن الإشباع الصوتي هو عدولٌ من صيغة إلى صيغة أخرى تحت علّة تتطلب ذلك.

ويضمّ هذا البحث مقدمة، ومدخلا، ومبحثين اثنين، وخاتمة، والمصادر والمراجع.

وفـــي المدخل حاولت تحرير مفهوم الإشباع الصوتي في اللغة العربية على مستوى الصائت القصير، والصامت البسيط، ومعرفة موقف علماء اللغة العرب القدماء، وعلماء اللغة المعاصرين من المستشرقين والعرب.

وأمّـــا فـــي المبحـــث الأول فتناولـــت أســـباب حـــدوث الإشباع الصوتي في اللغة العربـــية،فذكرت أربعـــة أســـباب؛ السبب الصوتي،والسبب الدلالي، والسبب اللهجي، والسبب العروضي.

وأمّا في المبحث الثاني فعرضت لمظاهر الإشباع الصوتي وأثرها في المعجم العربي، فذكرت خمس قضايا، وهي كالآتي:

أولاً - تحويل الثنائي إلى ثلاثي.

وثانيًا- إشباع الصامت الثاني .

وثالثًا- إشباع الصائت الثاني .

ورابعًا- الإشباع والنبر.

وخامسًا- الإشباع والوقف.

وفي الخاتمة ــ عرضت أبرز النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث.

والله ولي التوفيق

د. خالد إسماعيل حسّان

• المدخل:

بادئ ذي بدء، أحاول هنا تحرير مفهوم الإشباع الصوتي في اللغة العربية عند علماء اللغة العرب قديمًا، ثمّ عند بعض اللغويين المحدثين من الأجانب والعرب، ثمّ أختم بالرأي الذي أميل إلية في تفسير هذا المفهوم.

أولاً: موقف اللغويين العرب القدماء:

أدرك العلماء العرب القدماء وجود فرق بين الإشباع الصوتي على مستوى الصوامت أوالحروف "consonants"، والإشباع الصوتي على مستوى الحركات أو الصوائت "vowels"، ففي حديثهم عن العلاقة بين الحركات القصيرة والحركات الطويلة " حروف المدّ واللين " يقول ابن جنّي: " اعلم أن الحركات أبعاض حروف المدّ واللين، وهي الألف والواو والياء... فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو." [1] وقد ذكر ابن الأنباري مصطلح الإشباع عندما تناول الصلة بين الفتحة والألف، والضمة والواو، والكسرة والياء، مؤكدًا أن الحركات القصيرة يمكن إشباعها " وأن هذه الحركات -التي هي الضمة والفتحة والكسرة- حركات إعراب، وإنما أشبعت فنشأت عنها هذه الحروف- التي هي الواو والألف والياء- فالواو عن إشباع الضمة، والألف عن إشباع الفتحة، والياء عن إشباع الكسرة، وقد جاء ذلك كثير في استعمالهم... "[2].

وأمّا إشباع الصوت الصامت أو الحرف عند اللغويين العرب القدماء فيختلف مفهومه عن إشباع الحركات القصيرة، إذ يرون أن الصوت المشدد عبارة عن صوتين اثنين أولهما ساكن والثاني متحرك، حدث لهما إدغام في أثناء عملية النطق، أو هو عبارة عن صوت صامت تكرر مرتين متتاليتين فحدث له تضعيف أو تشديد، يقول الشريف الجرجاني " المضاعف من الثلاثي والمزيد فيه ما كان عينه ولامه من جنس واحد، كردّ، وأعدّ، ومن الرباعي ما كان فاؤه ولامه الأولى من جنس واحد، وكذلك عينه ولامه الثانية من جنس واحد، نحو زلزل "[3].

ثانيًا: موقف اللغويين المحدثين من الأجانب والعرب:

يكاد يتفق اللغويون المحدثون مع اللغويين العرب القدماء في أن الحركات القصيرة إذا حدث لها مطل ومدّ في النطق بها تتحول إلى حركة طويلة، وهذه الحركة الطويلة يستغرق النطق بها مدّة زمنية تساوي النطق بحركتين قصيرتين، فيقول جان كانتينو عن

طـول الحـركة " يطلق اسم حركات طويلة على الحركات التي يمتد فيها إخراج النَّفَس امتدادًا، يصير معه مدى النطق بها، مساويًا لمدى النطق بحركتين بسيطتين" [٣] .

ويرى ماريوباي أن الصوامت أو الحروف تطول وتقصر مثل الحركات، فإذا كان فـوق الصامت حركة قصيرة فإن الصامت هنا يقصر، وإذا كان فوق الصامت شدّة فإن الصامت يطول " إن اصطلاح الصامت المضعف double consonant هو اصطلاح مضلل حقًا؛ لأنه قد استعير من طريقة الكتابة، ففي النطق يمد الصوت الصامت بتطويل مـدة النطق به، إذا كان هذا المدّ ممكنا. ويكون هذا ممكنًا إذا لم يكن الصوت الصامت انفجاريا... "[٤]

ويستبين ممّا سبق أن الطول والقصر في الحركات والصوامت يفرق بينها من خلال الكمـية، فإذا كانت الحركات تطول وتقصر، فكذلك الصوامت، وهذا الرأي أخذ به من اللغويـين العـرب المعاصرين كل من الدكتور إبراهيم أنيس [٥] والدكتور رمضان عبد التواب[٦] وغيرهما.

وأمّـا حصـر الفرق بين الحركات القصيرة والطويلة في الكم فقط ـ كما قال بذلك الدكتور أنيس ومَنْ جاؤوا بعده من اللغويين العرب المعاصرين ـ " يحسّ المُحدَثون بأن الفـرق بين الفتحة وما يسمى بألف المدّ، لايعدو أن يكون فرقًا في الكمية. وكذلك الفرق بيـن يـاء المدّ وواو المدّ، إذا قورنتا على الترتيب بالكسرة والضمة، ليس إلا فرقا في الكمـية... "[٧] فيعلّق عليه الدكتور سعد مصلوح فيرى أنه ينبغي التفريق والتمييز بين الحـركات الطويلـة والقصـيرة باعتبارين: الاعتبار الصوتي " الفوناتيكي"، والاعتبار الصـوتيمي " الفونولوجـي"، فمـن الناحية الصوتية يوجد فرق بين الحركات (الضمة والكسـرة) فـي الكمية والكيفية معًا " ويلاحظ أن الفروق الكيفية بين الفتحة القصيرة، والفتحة الطويلة ليست على مثل هذه الدرجة من الوضوح. لذا يمكن أن يقال إن الكم هو المميز الأساسي بين الفتحة القصيرة والفتحة الطويلة، على حين يشترك الكم والكيف في تمييز الضمة القصيرة والضمة الطويلة، وتمييز الكسرة القصيرة والكسرة الطويلة." [٨]

ثالثًا: رأي الباحث:

لكلّ لغة اعتبارات صوتية تختصّ بها عن غيرها من اللغات، وتلك الطبيعة الخاصة ينبغي أن تراعي عند دراستها وتحليلها وتطبيق المناهج والنظريات الحديثة عليها، كيلا نقـع فـي مزالق تفسيرية عند تحليل اللغة، ومن هنا أرى أن ننظر إلى عملية الإشباع الصوتي في اللغة العربية باعتبارين اثنين؛أولهما: نذهب مذهب اللغويين العرب القدماء

عندما رأوا أن الصامت أو الحرف المشدد عبارة عن صوتين "حرفين" مكررين، أولهما ساكن والثاني متحرك، وقد أدغم الساكن في المتحرك، فصارا صوتًا واحدًا مشددًا، وهذان الصوتان امتزجا في أثناء النطق، واستغرق النطق بهما مُدّة النطق بصوتين اثنين منفردين، ويظهر ذلك جليا أمامنا عند إسناد الفعل المشدد إلى الضمائر المتصلة، حيث يجب فكّ المثلين إذا أسند الفعل المضارع المضعف إلى ضمير رفع متحرك " وهو نون النسوة، سواء كان الفعل مرفوعا أم منصوبًا أم مجزومًا، نحو: هُنّ يَحْجُجْنَ، ولم يَحْجُجْنَ، ولن يَحْجُجْنَ. وإذا أسند إلى ضمير رفع ساكن" ألف الاثنين- واو الجماعة- ياء المخاطبة" وجب الإدغام، نحو: يحجّان- يحجّون- أنتِ تَحُجّين، سواء كان الفعل مرفوعا أم منصوبا أم مجزومًا."[٩]

وفي حال إسناد الفعل الأمر المضعف إلى ضمير رفع متحرك وجب فكّ المثلين، نحو: احجُجْن، وإنْ أسند إلى ضمير رفع ساكن وجب إدغام المثلَيْن، نحو:حُجّاوحُجّوا، وحُجّي.

وأما الفعل الماضي المضعف عند إسناده إلى ضمير رفع متحرك فيجب فك المثلين، نحو: "حَجَجْتُ،وحَجَجْنا، والهندات حَجَجْنَ، ويعلق الشيخ عضيمة على ذلك فيقول: " وذلك لأن ضمير الرفع المتحرك يسكن له آخر الفعل، فوجب فكُّ المثلين، حتى لا يلتقي ساكنان، وفي غير ذلك يجب الإدغام نحو: حجَّ، حجّا، وحجّوا."[١٠]

وإذا أنعمنا النظر في تلك المسألة نجد أن الإبقاء على التشديد مرتبط بمجيء حركة طويلة" حروف المدّ واللين" بعد الصامت المضعف، نحو: يَحجّان، على حين يحدث فكّ التضعيف عند مجيء ضمير يتكون من صامت وحركة، سواء كانت قصيرة أم طويلة،(تُ : ص ح، نا : ص ح ح) نحو: حَجَجْتُ، فتاء المتكلم عبارة عن (ص ح)،وربّما يكون سبب ذلك حدوث ضغط صوتي قوي عند النطق بالصامت المضعف،فيحتاج إلى امتداد النَّفَس وحرية المخرج الصوتي وانفتاحه، ويتلاءم ذلك مع حروف المدّ. ومعروف عن اللغة العربية أنها تكره تتابع ثلاث حركات قصيرة فأكثر في الكلمة الواحدة، فيتمّ التخلص من ذلك بالتسكين؛ أي بحذف الحركة الثالثة أو الرابعة؛ لكي تحدث استراحة للنَّفَس في أثناء النطق، وذلك من خصائص العربية الفصحى وطبيعتها، كما أن الحركة الطويلة يطول بها النَّفَس فيستريح في آخرها، وقد ذكر علماء اللغة العرب القدماء أن ألف المدّ- على سبيل المثال- تنتهي بساكن، ولكنّ علم الأصوات المعاصر يرى أنها ليست صوتا ساكنًا كما قالوا؛ ولكنها حركة طويلة مُشْبَعَة.

وأما قضية التقاء الساكنين التي أشار إليها الشيخ عضيمة فإن الدراسات المعاصرة في القراءات القرآنية أثبتت ــ بما لايدع مجالا للشك ــ أن اللغة العربية تقبل ذلك وتجيزه، والأمثلة كثيرة في هذا المضمار، وليس هناك ضرورة ملحة للتخلص من التقاء الساكنين في كلّ حال، يقول الدكتور عبد اللطيف الخطيب في نتائج بحثه عن التقاء الساكنين: " بعض العرب الذين نزل القرآن بلغتهم لم يجد ضرورة للتخلص من التقائهما، ولا يغني هذا الباب إلا القراءات المنقولة، فهي كثيرة وتبطل ما ذهب إليه النحويون من أنه لا بُدَّ من التخلص منهما بسبيل مما ذكرت، وقد جاءت هذه القراءات في المتواتر والشاذ على السواء"[11]

وثانيهما: نأخذ فيه برأي العلماء العرب القدماء، والعلماء المعاصرين من أمثال ماريوباي، وجان كانتينو، وفندريس، وإبراهيم أنيس، ورمضان عبدالتواب،وأحمد مختار عمر، وسعد مصلوح وغيرهم، إذ يكادون يتفقون على أن الحركات القصيرة هي أبعاض حروف المدّ واللين، أي أن الحركة الطويلة عبارة عن مطل للحركة القصيرة بإشباع النطق بها، حيث إن صوت اللين والمدّ يتميز بأنه لا يتجزأ إلى نصفين متماثلين متجاورين متتابعين ــ من الناحية الصوتيمية " الفونولوجية" ــ كما يحدث مع الصامت المضعف أو المشدد، وما يحدث مع الحركة الطويلة أنه يمكن أن تقصر في حال الوصل في الكلام، فتتحول ألف المدّ إلى فتحة قصيرة في النطق، وأشير هنا إلى أن نظرتنا هنا إلى الحركات من الناحية الفونولوجية، أي وظيفة الصوت في الكلمة، إذ ثمّة فرق بين النظرة الصوتية "الفوناتيكية"؛ أي دراسة الصوت مجردًا مفردًا من حيث إنتاج الصوت وانتقاله واستقباله طبقا لخصائصه الفيزيائية والنطقية، وبين النظرة الصوتيمية "الفونولوجية"؛ أي دراسة وظيفة الصوت في الكلمة، ودراسة التغييرات التي تحدث في أصوات اللغة نتيجة تطورها، ويرجع الفضل في هذا التقسيم إلى عالم الأصوات " كينيث بايك k. pike " في كتابه " phonemics " (الصوتيميات).

ويبقى أن أشير هنا إلى أن الحركة الطويلة عبارة عن حركتين قصيرتين امتزجتا في أثناء النطق، أو هي حركة قصيرة امتدّ النطق بها فاستغرق مدة النطق بحركتين قصيرتين، وفي كلتا الحالين الحركة الطويلة الواحدة لا تتجزأ؛ ولكنْ يمكن تقصيرها، أي تتحول من حركة طويلة إلى قصيرة.

ومن الجدير بالذكر هنا أن الفرق بين الصامت البسيط والصامت المضعف فرق فونيمي، يؤدي إلى تغيير المعنى، وكذلك إشباع الحركات القصيرة قد ينتج عنه تغيير

فـــي للمعـــنى، فـــزيادة المبنى قد يؤدي إلى زيادة المعنى. وبناء على ماسبق يتضح أن إشـــباع الصامت القصير يختلف عن إشباع الصائت القصير في اللغة العربية،ولا يفوتنا هنا الإشارة إلى أن ممر الهواء في أثناء النطق بالصامت يكون ضيقاً، على حين يكون ممـــر الهـــواء في أثناء النطق بالصائت مفتوحاً، وفي هذا التمييز فائدة عملية كبيرة في مستويات التحليل الصوتي والصرفي والمعجمي .

المبحث الأول

أسباب حدوث الإشباع في اللغة العربية

*أولاً: السبب الصوتي:

اللغة العربية تكره الانتقال من كسر إلى ضم والعكس صحيح، وعلّة ذلك ثقل على اللسان في النطق، فيلجأ الناطقون بالعربية إلى الاستخفاف، ليحدث انسجام صوتي، فيؤثر الصائت القصير" الكسرة أو الضمة" على الصوت الساكن، فتتحول الحركة القصيرة إلى حركة طويلة، مع حذف الصامت الساكن، مثل " قِوْل "، فصوت القاف تحته كسرة قصيرة، ويليه صوت ساكن وهو الواو الساكنة- هذا من الناحية الصوتيمية "الفونولوجية"- فيصعب الانتقال من كسر الى ضم، بسبب الثقل في النطق، فتؤثر حركة الكسرة القصيرة على الواو الساكنة، فيتحول بطريق الإشباع الصوتي إلى "قيل"، وذلك لسهولة النطق، وحدوث إنسجام صوتي داخل الصيغة، وقد وردت صيغة "قيل" مصدرًا في حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، " نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قيلٍ وقالٍ..."[١٢]، ويقول ابن جنّي:" فأما استكراههم الخروج من كسر إلى ضمّ بناء لازما، فليس ذلك شيئا راجعا إلى الحروف، إنما هو استثقال منهم للخروج من ثقيل إلى أثقل منه، وأنت لو رمت أن تأتي بكسرة أو ضمة قبل الألف لم تستطع ذلك ألبتة، وكذلك لو تكلفت الكسرة قبل الواو الساكنة المفردة، أو الضمة قبل الياء الساكنة المفردة لتجشمت فيه مشقة وكلفة..."[١٣].

وبناء على ما سبق نلحظ أن عملية الإشباع هنا في صيغة " قيل" تمثل مرحلة صوتية من مراحل تطور الصيغة، وإن كان هذا التغير لم يؤثر في المعنى، بيد أنه يكشف أمامنا تغير الصيغ وتطورها من حيث المبنى. كما يدلنا هذا التغيّر على أن الحركات " الصوائت" القصيرة إنّما هي أبعاض حروف المدّ واللين، فعندما أشبعت الكسرة القصيرة حدث بعدها ياء المدّ واللين أو الحركة الطويلة.

وينضاف إلى ما سبق محاولة المقارنة بين الصيغتين من الناحية الصوتيمية المقطعية، ومن ثمّ من ناحية النبر، ففي الصيغة الأولى" قِوْل" تتكون من مقطع صوتي واحد منبور، وهو (ص ح ص ص)، وأمّا الصيغة الثانية" قيل" فتتكون من مقطع صوتي واحد منبور أيضًا، وهو (ص ح ح ص)؛ بيد أن الفرق بين الصيغتين يظهر في أن الصيغة الأولى " قِوْل" بها حركة قصيرة بعد الصامت الأول، على حين نجد في الصيغة الثانية" قيل" حركة طويلة بالياء بعد الصامت الأول، ومن هنا نلاحظ أن موطن

الصـــعوبة هو الانتقال من كسر إلى ضم في صيغة "قول" وتمّ للتغيّر الصوتي هنا؛ أملاً في السهولة والتيسير في النطق، والانسجام الصوتي بين الصوامت والحركات .

ومـــن سُبل الإشباع الصوتي الغُنّة في صوتيْ النون والميم، وقد حرص القرّاء على ذلــك؛ كــيلا يفنـــي هذان الصوتان فيما بعدهما من الأصوات، إذ الغُنّة إطالة في نطق صـــوتي النون والميم، مثل: " كنتم " و"من يعمل" و"يعتصم بالله"، يقول الدكتور إبراهيم أنــيس:" فمـــا سمّاه القدماء بإخفاء النون والميم، هو في الحقيقة إطالة لهذين الصوتين؛ رغبة في الإبقاء عليهما، ومنعهما من الفناء فيما يليهما من الأصوات. (١٤)

ومن المعلوم في علم الأصوات بالضرورة أن لتجويف الأنف دورًا في النطق بالنون والميم، والغنّة صوت يخرج من الأنف، وللحفاظ على تلك الخصوصية لهذين الصوتين تحـــدث عملية إشباع صوتي لهما، ومن ثمّ فالإشباع يقوم بدور وقائي للحفاظ على بقاء الصـــوت مـــن الفـــناء من ناحية، ولعدم فناء صفة الأنفية فيهما من ناحية أخرى، ومن الجديـــر بالذكر هنا أن الإشباع الصوتي يحدث على مستوى صوتين صامتين. كما أن مخرج صوت النون من اللّثة " أصول الأسنان" والأنف . وأمّا مخرج صوت الميم فهو شـــفوي أنفـــي " أنفمـــوي" ومن حيث الصفة هما صوتان مجهوران، أي يحدث اهتزاز للوتريـــن الصـــوتيين فى أثناء النطق بهما .كما أن "اللام و النون والميم أصوات عالية النسبة فى الوضوح السمعى ". (١٥)

وقـــد يؤدى إشباع الصامت أو تضعيفه إلى المخالفة الصوتية، بسبب ثقل التضعيف "الاشـــباع"،وتـــتمّ المخالفة الصوتية بأن يتغير أحد الصوتين الصامتين الى صوت آخر، غالبا ما يكون من أصوات الحركات الطويلة، نحو "قرّاط" تتحول إلى "قيراط"، يقول ابن جنّى :"وقالوا :"ديباج" و "دبابيج"، فدلّ قولهم :"دبابيج" بالباء على أن أصله "دبّاج"، وأنه أبدل الباء ياء، استثقالا لتضعيف الباء. "(١٦) وممّا سبق نلحظ أنّ ابن جنّي أشار إلى ثقل اجـــتماع المِثْلَيـــن، وهذا السببُ كافٍ هنا للانتقال من حال التضعيف إلى حال المخالفة الصـــوتية، بإشباع حركة الكسرة الواقعة تحت الياء، ليحدث اختلاف فى الحروف بدلا من تضعيفها، فذلك أخفّ عليهم فى النطق، وهذه ظاهرة منتشرة فى اللغه العربية، ولها مـــن الشيوع فى الاستعمال بمكان لايجهل، وسبب حدوثها ثقل توالي المثّلين في النطق، إذ اللغة تعكس لنا طبيعة البشر النطقية .

وورد فى القراءات القرآنية ما يؤكد لنا ذلك، قال تعالى "(وألْقُوهُ فِى غيابات الجُبّ)(١٧) قـــراءة الجمهور "الجُبّ " بضم الجيم وإشباع الباء، وقرئ "الجوب" بالجيم وواو المدّ

والليــن وبتخفــيف الياء، يقول العكبرى: "ولو قيل: أبدل الباء الأولى في "الجُبّ" واوا للضــمة قــبلها لــم يبعد"[١٨]، ويمكن تفسير القراءة الشاذة " الجوب " على أنها مخالفة صوتية من وجهة نظر العكبرى ، إذ تحول صوت الباء المشدد إلى صوت من أصوات العلة، أي إبدال الباء الأولى واوًا، وفى رأيى يمكن القول بأن هذا إشباع لحركة الضمة القصيرة الواقعة فوق الجيم، فحركة الواو الطويلة نشأت عن إشباع للضمة القصيرة بعد حــذف الــباء الأولى الساكنة استثقالا لتضعيف الباء فصارت " الجوب " ، كما أنّ كلمة "الجُــبّ" و "الجوب" بمعنى واحد، وهذا يبين أن الإشباع وسيلة من وسائل توليد الصيغ وتــنوعها، كمــا أنــه سبب من أسباب كثرة المترادف فى اللغة العربية ــ عند مَن لا يدركــون حقــيقة الأمرهنا ــ فالإشباع الصوتي له صلة بتعدد الصيغ فى اللغة العربية، فضــلا عن قوة الإسماع فى الصوت، فأصوات اللين هي أعلى ما يصل إليه الوضوح الســمعي، فالحركة هى الصوت المقطعى فى العربية، كما نلحظ فى القراءتين إشباعَيْن مختلفيــن بالصامت والحركة، ومعروف لدى أهل الاختصاص أنّ إشباع الحركة أيسر من إشباع الصامت.

ومــن مــنطقة الوترين الصوتيين يخرج صوت الهمزة، فهو صوت حنجري، عند النطق به ينطبق الوتران الصوتيان انطباقا تامًا، فلا يسمح بمرور الهواء إلى الحلق، ثمّ يَــنفَرج هــذان الوتــران فجأة، فيسمع صوت إنفجاري شديد، وهذا يحتاج إلى مجهود عضــلي فى النطق، وقد حقّقَ الهمزة بنو تميم، على حين سهلها أهل الحجاز، وقد عُني القُــرّاء بإطالــة الحــركات الطويلة حين يليها همزة، وهو المدّ المتصل أو المنفصل، ويذهب الدكتور إبراهيم أنيس إلى أن " السرّ فى هذه الاطالة – كما يبدو لى – الحرص على صوت اللين وطوله ؛ لئلا يتأثر بمجاورة الهمزة أو الإدغام؛ لأن الجمع بين صوت اللين والهمزة كالجمع بين متناقضين، إذْ الأول يستلزم أن يكون مجرى الهواء معه حرًا طلــيقًا ... فى حين أن النطق بالهمزة يستلزم انطباق فتحة المزمار انطباقا محكمًا، يليه انفــراجها فجأة ..."[١٩]، وهذا التفسير يعلل لنا سبب إشباع الضمة الواقعة على الهمزة فى كلمة "سأوريكم "فى قوله تعالى (وأمُرْ قَوْمَكَ يأخذُوا بأحْسَنِها سأوريكُمْ دار الفاسقين) [٢٠] قــراءة الجماعــة "سأوريكم " يقول ابن جنّى "أراد سأُريكُمْ " ثمّ أشبع ضمة الهمزة، فأنشأ عنها واوًا، فصارت "سأوريكم "[٢١].

ويستبين ممّا سبق أن السياق الاستعمالى هنا يتطلب إشباعًا لضمة الهمزة، إذ الهمزة صــوت انفجــاري، فعــند النطق به ينحبس الهواء خلف الوترين الصوتيين المنطبقين

انطباقا تامًا، ثم ينفرجان فجأة فيندفع الهواء منطلقًا حرًا متفجرًا،وهذا يتناسب مع حركة الــواو الطويلة التى تحتاج أن يكون مجرى الهواء حرًا منطلقا، ومن هنا فالنطق بالواو هو استكمال للنطق بالهمزة، فموقع الضمة بعد الهمزة نتج عنه إشباع للضمة، فصارت واوًا مديّـــة، كمـــا نلحظ طبيعة صوت الهمزة الانفجارية وطبيعة صوت الواو المنطلقة المفتوحة الحرة . كما لانغض الطرف عن موقعية صوت الراء الذى يليه حركة الكسرة الطويلــة، إذ يؤثــر ذلك الجوار فى عملية الاشباع الصوتي فى هذه الكلمة، وهذا يؤدى إلــى حدوث انسجام صوتي فى النطق، كما أن الإشباع فى الحركات له خاصية أساسية وهــى "أنـــه نطق مفتوح فى مقابل تمييز الصوامت بالنطق الضيق، وهذا يعني انعدام جمـــيع أشـــكال الاعتراضـــات والعقـــبات لتـــيار الهواء فى تجويف الفم أثناء النطق بالحركات.(٢٢)

ثانيًا: السبب الدلالي

إنّ المتأمل في الإشباع الصوتي في اللغة العربية يلحظ أنه يقوم بوظيفتين جوهريتين فـــي الصـــيغة العربـــية، أولهما- جانب الإسماع الصوتي فيزيد اللفظ وضوحًا وجلاء، ويجعـــل بنية الكلمة تتسم بالانسجام بين الأصوات، وهذا ما لحظناه في السبب الصوتي السابق الذكر.

وأمّا الوظيفة الثانية فهى الناحية الدلالية، فبعض الألفاظ يتضح فيها العلاقة الطبيعية بيـــن الصوت والمدلول، فالسامع يشعر بأثر النغمة الصوتية الموسيقية في نفسه، وهذا يـــؤدي دورًا بـــارزًا ومهمًا في تقوية المعني وتوكيده، ويمكن الاستفادة منه في التحليل اللغـــوي لنصوص اللغة العربية، ومثال ذلك كلمة " اثّاقلتم" في قوله تعالى: (ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثّاقلتم الى الأرض)(٢٣)، إذ نرى التعبير الصوتي للكلمة عن مدلولهـــا، وفي تقديري أن في هذا تصويرا موسيقيا لحالة هؤلاء المتثاقلين إلى الأرض، هربا من أن ينفروا في سبيل الله .

كمـــا أن استعمال الإشباع الصوتي في اللغة العربية يعدّ وسيلة لتوليد الصيغ، نحو: قـــتل وقـــاتل، وغلَق وغلّق، وعبس وعبّس، وحمر واحمارّ، وهذا ضَرْب من ضروب تطـــور اللغـــة وتغـــيرها لمسايرة ما يستجد من أحداث العصر وحاجات الناس، يقول الدكتور تمّام حسّان: " إنّ العناصر القابلة للتحول والتطور في اللغة هى المفردات ذات الصـــيغ (أي العناصـــر ذات الصـــيغ الاشتقاقية) ...فتطور اللغة دائمًا يأتي عن طريق

المفـــردات تعريبًا أو توليدًا..."[24]. وهذا كله آية على أن زيادة المبني يؤدي إلى زيادة المعـــنى بإشـــباع الصـــائت القصير أو الصامت البسيط، ومن ثمّ يثري المعجم اللغوي العربي بتعدد الصّيغ والدلالات.

ومـــن الأمـــثلة التـــي تبرز دور الاشباع الصوتي على مستوى الصامت في تغيير الصـــيغة الصرفية، ومن هنا يحدث تغيير في المعنى، قوله تعالى (وقرآنا فرقْناه لتقرأه على الناس)[25] قراءة الجمهور " فَرَقْناه" بتخفيف الراء أي بيّنا حلاله وحرامه، وقرأ أُبَيّ ابـــن كعـــب، وعبد الله بن مسعود، وعليّ، وابن عباس، وأبو رجاء، وقتادة، والشّعبي، وحمـــيد، وعمرو بن فائد، وزيد بن عليّ، وعمرو بن ذرّ، وسعد بن أبي وقاص "فَرّقناه" بتشديد الراء، أي: أنزلناه نجمًا بعد نجم وفصّلناه[26].

وفـــي بعـــض الأحيان يحدث الإشباع الصوتي في الصيغة المفردة الواحدة، بطريق إشـــباع الصامت البسيط والصائت القصير الذي يليه، وهذا التغييرفي الصيغة يؤدي إلى توسيع الدلالة؛ بانتقالها من حدث إلى حدث آخر، ونوضح ذلك من خلال قوله عزّ وجلّ : (فَابْعَـــثُوا أَحَدَكُـــمْ بِوَرِقِكُـــمْ هـــذه إلى المدينة)[27] قرأ ابن كثير، ونافع،وابن عامر، والكســـائي،وحفص عـــن عاصـــم، وأبـــو جعفر، وابن محيصن "بِوَرِقِكُمْ " بكسرالراء. والـــوَرِق: المـــال أو الدراهـــم . وقرأ أبوعبيدة "بِوَرَقِكُمْ"، بفتح الواو والراء، والوَرَق : المـــال. وقـــرأ علـــيّ بن أبي طالب "بِوَرّاقِكُمْ" بتشديد الراء وألف بعدها، أي بصاحب دراهمكم.[28]

وإذا قارنـــا بيـــن قراءة أبي عبيدة "بِوَرَقِكُمْ "، وقراءة عليّ بن أبي طالب "بِوَرّاقِكُمْ" يتضـــح لنا أن القراءة الثانية استعمل فيها الإشباع الصوتي بطريق الصامت وهو الراء، وبطـــريق الصائت القصير، وهو حركة الفتحة الواقعة على الراء، وأدّى تغيير الصيغة إلـــى تغيـــير المعـــنى، ففي الصيغة الأولى فى قراءة أبى عبيدة المعنى هو المال، وفى الصيغة الثانية في قراءة عليّ بن أبى طالب المعنى هو صاحب الدراهم، فانتقلت الدلالة مـــن الإشـــارة إلـــى المال إلى الإشارة إلى صاحبه، فالدلالة تحولت من حال إلى حال أخرى، ومن هنا تولدت صيغة ودلالة جديدة تؤثر في المعجم العربي.

ومن أظهر الأمثلة على أثر الإشباع الصوتي في تغيير الصيغة الصرفية قوله تعالى: (والذيـــن كفروا أعمالُهُمْ كسرابٍ بِقِيعَةٍ)[29] فقرأ أُبَيّ بن كعب، وعاصم الجحدري، وابن الســـميفع، ومســـلمة بن محارب "بقيعات"، ويذكر ابن جني ثلاثة أوجه في تحليل كلمة "قـــيعات"، الأول : أن "قـــيعة" و"قـــيعات" علـــى وزن "فِعْلَة" و "فِعْلات"، لمعنى واحد.

والثاني: أن تكون كلمة "قيعات" جمع "قيعة". والثالث: وهو أن يكون أراد "بقيعة" فأشبع فـتحة العيـن فأنشأ عنها ألفًا، فقال "بقيعات"[٣٠]، ومن خلال الوجه الثالث عند ابن جنّي يتجلـى أمامـنا دور الإشباع في تحول صيغة المفرد المؤنث إلى صيغة جمع المؤنث، وفـي تقديري أن هذه اللمحة الصوتية الصرفية بحاجة إلى أن يتجشم الباحثون الجادون المشقة والعناء في إعادة النظر كرة أخرى في قضية الإفراد والتثنية والجمع، فقد يكون الإشباع الصوتي هو السبب في انتقال المفرد إلى المثنى أو الجمع بنوعيه، وليس إضافة مورفيم مقيد في آخر الاسم (ان ـــ ون ـــ ين ـــ ات) كما ذهب الصرفيون .

وأنـتقل إلـى حال أخرى،فإذا تأملنا صيغة "تفعّل" نلحظ وجود الإشباع الصوتي في الصـامت الثالـث، وهـو صوت العين، نحو "تشجّع"، و"تبصّر"، و"تكبّر" ولهذه الصيغ دلالات عـدّة نـراها فـي سياقات لغوية متنوعة، فقد تفيد صيغة "تفعّل" مخالطة الشئ ومعايشـته، والدخول فيه، نحو: "تحلّم" أي: حمل نفسه على الحِلْم، وكذلك "تصبُّر"، وقد تأتـي هـذه الصـيغة بمعنى "استفعل، كتكبُّر وتعظّم، وتعجّل الشيء، وتَيقّنَهُ، وتَقَضّاهُ، وتَثَبّـتَهُ، وللعمل بعد العمل في مَهْلَة، كقولك: تجرّعَه وتحسّاه، وتعرّفَه، وتفوّقَه، ومنه: تَفَهّـم، وتَبَصّر، وتَسَمّعَ، وبمعنى اتخاذ الشيء نحو: تديّرْت المكان .... وبمعنى التجنب كقولك: "تحوّبَ" وتأثّمَ..."[٣١]. والذي يتأمل كلام الزمخشري يجد أن الإشباع الصوتي له أثـر ظاهر في صيغة "تفعّل"، ويلحظ تعدد الدلالة لتلك الصيغة وفقا للسياقات التي من الممكن أنْ تَردَ فيها .

- ثالثًا: السبب اللهجي

مـن أسـباب وجـود الإشباع الصوتي فى اللغة العربية اختلاف اللهجات، فبعض اللهجات العربية تميل إلى إشباع الحركة القصيرة في آخر الكلمة، والبعض الآخر يميل إلـى إشـباع الصـامت في وسط الكلمة أو آخرها، وفريق ثالث يشبع حركة الضمير الغائـب، وهذا الاختلاف يوضح لنا سبب اختلاف القراءات القرآنية في بعض الكلمات، حيث إن اختلاف القراءات يرجع إلى اختلاف اللهجات العربية القديمة .

وقـد يـرد فـي الكلمـة الواحدة إشباعان، أحدهما بسبيل الصائت، والثاني بسبيل الصـامت، وكـلّ إشـباع مـنهما يعزى إلى لهجة عربية، قال تعالى: (وجاوَزْنا ببني إسرائيل)[٣٢] قراءة الجماعة "جَاوَزْنا" بألف بعد الجيم، على صيغة "فَاعَل"، وقرأ الحسن

والمازنـــي عـــن يعقوب "جَوَّزْنا" بتشديد الواو، علي صيغة "فعَّل"، وقال القرطبي: هما لغتان.[٣٣]

وإنّ تـــأمّل هاتين القراءتين يبين أثر الإشباع في تغيُّر الصيغة، ففي "جاوزنا" إشباع للفتحة القصيرة علي الجيم، وتدل على المشاركة، وعزاها القرطبي إلى لهجة عربية من دون تحديـــد اســـم القبـــيلة العربية، على حين في "جَوَّزْنا " إشباع للواو التي تعدّ –من الناحـــية الصوتيمية" الفونولوجية "– صامتًا، وفيها توكيد للحدث، ومن ثمّ نجد للإشباع دورًا بـــارزًا لا يُـــنكر فـــي تنوع الصيغ، وتعدد الدلالة، وتوسيعها، وهذا يثري المعجم العربي لفظيًا ودلاليًا.

ومن أبرز الأمثلة علي بيان أثر اللهجات في الإشباع الصوتي صيغة "فُعَّال" التي فيها إشباع للصامت والصائت، وجاء في القرآن الكريم "كُبَّار" و "عُجَّاب"، وعزاها اللغويون إلـــى لغـــة أزد شـــنوءة وهـــي قبيلة يمانية، قال تعالى: (ومكروا مكرا كُبّارًا)[٣٤] قراءة الجمهـــور " كُبّارا " بتشديد الباء، (إنّ هذا لشيءٌ عجّابٌ) سورة ص ٣٨/٥ وهى قراءة أبـــى عبد الرحمن السلمى وعليّ بن أبى طالب وعيسى بن عمر. أبو حيان الأندلسى، الـــبحر المحـــيط ٣٨٥/٧، وقـــال أبو حيان الأندلسي: وهو بناء فيه مبالغة كثير، وقال عيسى بن عمر : هي لغة يمانية، وعليها قول الشاعر :

والمرء يلحقه بقنان الندى　　خُلُقُ الكريم وليس بالوضّاء

وقول الآخر:

بيضاءُ تصطادُ القلوبَ وتستبي　　بالحُسْنِ قلبَ المسلمِ القُـــرّاء

ويقال: حسّان، وطوّال، وجمّال.[٣٥]

والـــذي نـــراه تأسيسًا علي ما سبق أن ثمّة علاقة بين الإشباع الصوتي ولهجة أهل اليمـــن، إذ الإشـــباع الصـــوتي من العادات النطقية لديهم، وقد أوضح أبو حيان الفائدة الدلالية للإشباع هنا، وهو أن زيادة المبنى يعطي مبالغة وتكثيرًا وتوكيدًا، والأمثلة على تلك الحال من الكثرة بمكان.

ويقـــول الدكـــتور تمّـــام حسّـــان : "أقصد بالإشباع تقوية النطق بالصوت، وعكسه الإضـــعاف، وهما يرتبطان بالموقع في السياق... ويمكن في حدود الضمائر المنفصلة، فقـــط أن نلاحـــظ أن الضـــمير الواحد المنفصل ربما كان له نطقان: نطق مشبع ونطق مضعف..."[٣٦] ويبدو لنا ذلك في قوله تعالى: (وبذلك أُمِرْتُ وأنا أوّلُ المسلمين)[٣٧] قرأ نافع، وأبو جعفر بمدّ الألف في "أنا" أي بالإشباع في الوصل والوقف، وقراءة الباقين بلا

مـدّ، " أنَ " أي بالإضـــعاف فـــي الوصل، وأما في الوقف فيقرؤون بالإشباع "أنا".[٣٨]
ويعـــزي إثـــبات الألـــف في "أنا" في الوصل والوقف إلى بني تميم، وينسب حذفها في الوصل إلى أهل الحجاز.[٣٩]

وأمـــا ضـــمير المفـــرد الغائب فقد يحدث له مخالفة صوتية في الكلمة بين المقاطع الصـــوتية، ويذهـــب الدكتور رمضان عبد التواب إلى أن "الأصل في هذه الحركة، هو الضمة الطويلة... وتحتفظ العربية الفصحى بالطول في حركته، بعد المقاطع القصيرة، مـــثل: لـــه = لهـــو؛ وبـــه = بهـــي. وغـــير ذلك ..."[٤٠]، ويتفق هذا الرأي مع كلام برجشتراسر، معتمدا على المقارنة بين اللغات السامية .

وقـــد ورد فـــي قـــراءة ابـــن كثير إشباع هاء ضمير الغائب المفرد، في نحو عليه =عليهي، قال تعالى: (إلاّ ما دمتَ عليه قائمًا)[٤١] قراءة ابن كثير في الوصل "عليهي"[٤٢] بإشباع الكسرة القصيرة الواقعة تحت ضمير الهاء الغائب المفرد.

وقد عزى سيبويه إشباع حركة الضمير هنا إلى أهل الحجاز، مستشهدا بقوله تعالى: (فخسفنا به وبداره الأرض)[٤٣] فذكر سيبويه أنه قرئ "بهو – بدارهو"، وممّا سبق نجد أن الإشـــباع يـــتمّ من خلال الضمة القصيرة، والكسرة القصيرة، وقال سيبويه: "وأهل الحجاز يقولون: مررت بهو قبل، ولديهو مال."[٤٤]

وواضـــح أن تـــنوع صور ضمير الغائب هنا يرجع إلى اختلاف اللهجات والتطور اللغوي، ومن الجدير بالذكر هنا أن المستشرق الألماني برجشتراسر والدكتور رمضان عبد التواب يريان أن مرحلة الإشباع "بهو – لهو" أقدم وأسبق تاريخيًا، وأنها الأصل من خـــلال المقارنة بين اللغات السامية، ثمّ حدث تقصير للحركة عن طريق المخالفة الكمية المقطعـــية، وذلك تحت مفهوم المخالفة الصوتية.وبناء على ما سبق ذكره يمكن القول : إن ضمير الغائب في نحو " عليه " قد مرّ بالمراحل الآتية : الأولى : الإشباع (عليهو) وهو الأصل السامي القديم، وقد ذكره سيبويه معزوا إلى أهل الحجاز، والثانية : تقصير الحـــركة الطويلـــة فتتحول إلى حركة قصيرة (عليْهُ)، والثالثة : الانتقال من ضمّ إلى كســـر بغـــرض الانســـجام الصوتي والإتباع بين الحركات (عليْهِ)، والرابعة : إشباع حـــركة الكســـرة القصـــيرة نحو "عليهي" كما في قراءة ابن كثير السابقة الذكر، ويمكن تطبيق المرحلة الثانية والثالثة في القراءات القرآنية (بما عاهد علَيْهُ الله) سورة الفتح ٤٨ / ١٠ قرأ حفص عن عاصم، والزهري، وابن محيصن، وابن أبي إسحاق " عليْهُ " بضم الهـــاء علـــى الأصـــل، وقـــرأ نـــافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة،

والكسائي،وأبو بكر عن عاصم، وأبو جعفر وغيرهم "علَيْهِ " بكسر الهاء[44]، ووجود هذه الظاهرة في القراءات القرآنية الصحيحة والمتواترة والشاذة لدليل على أصالتها في اللغة العربية، فالقرآن هو المصدر الأول للاحتجاج في العربية الفصحى، وشاهد أيضا على التطور الصوتي لضمير الغائب .

وقد يكون الإشباع الصوتي لحركة الإعراب الواقعة في آخر الكلمة هو التفسير المقبول عندي في كلمة " عَمْرو " في لهجة أزد السَّراة، وهي قبيلة يمانية، إذ احتفظت هذه القبيلة بالحركات الطويلة على آخر الكلمة، فالألف عندهم علامة النصب، والواو علامة الرفع، والياء علامة الجر، فيقولون مثلا: "هذا عَمْرو" بإشباع حركة الضمة القصيرة على الراء، والأرجح عندي أن هذا يفسر لنا سرّ وجود الواو في كلمة "عَمْرو" إلى يومنا هذا، إذ يرى المتحدثون عن الرسم الإملائي في اللغة العربية أن الواو في "عمرو" تكتب ولاتنطق، كما أنها تفرق لنا بين "عُمَر" و"عَمْرو"، وذهبوا إلى أن مثل هذه الكلمات من المشاكل الموجودة في الرسم الإملائي،ويرونه عيبا ونقصا ينبغي التخلص منه ؛ ولكنّي أختلف معهم في هذا الرأي، فأرى أن الواو في"عَمْرو" جديرة بالرصد والتحليل والتشخيص، فالواو هنا ركام لغوي[45] من بقايا ظاهرة لغوية صوتية كانت منتشرة في قبيلة أزد السَّراة ــ وربَّما في اللغة السامية الأم ــ في حال الرفع، ثمّ اندثرت وبقي منها هذا المثال شاهدا عليها، ومن ثمّ فالواو في "عَمْرو" إشارة إلى حال الرفع في تلك اللهجة العربية اليمانية، وقد يكون علّة بقاء الواو في "عَمْرو " من دون غيره من الأسماء بسبب كثرة شيوع هذا الاسم على ألسنتهم، وبسبب الرسم الإملائي الذي حافظ عليها من دون قصد، يقول سيبويه : "وزعم أبو الخطاب أنّ أزد السَّراة يقولون :هذا زيدو، وهذا عمرو، ومررت بزيدي، وبعمري ؛ جعلوه قياسًاواحدًا؛ فأثبتوا الياء والواو كما أثبتوا الألف ."[46] ومن هنا فالرسم الإملائي حافظ لنا على صورة نطقية كانت شائعة في لهجة أزد السَّراة، ثم حدث تقصير لحركة الواو ؛ ولكن لا نعرف متى حدث هذا التقصير للحركة الطويلة؟

- رابعًا : السبب العروضي

يقوم الشعر العربي علي الإنشاد، وهذا الإنشاد يعتمد علي الكم الصوتي، ويلعب المقطع الصوتي، والنبر، والتنغيم دورا مهمًا في هذا المضمار، ومن ثمّ قد يلجاء الشاعر إلى إشباع الحركة القصيرة أو الصوت الصامت من أجل الوزن والقافية،أو

قصـــدا موسيقيا ودلاليا،أو تعبيرا انفعاليا ونفسيا، وقد تنبه علماء العروض العربي إلى أهمية حروف المدّ واللين، فدرسوها وعنوا بها، ولأن الشعر العربي قام علي المشافهة، فهـــو ذو طـــابع إنشـــادي، فالإنشاد والسماع أساس هذا العلم، وممّا سبق نذهب إلى أن الأســـس الصوتية في العروض العربي جديرة بالدراسة والاهتمام من الناحية الصوتية والصوتيمية، غير أن موضوع بحثنا هذا يجعلنا نولي الاهتمام بمسألة الإشباع الصوتي فقط.

وقد يقوم الوزن الشعري بدور في توليد صيغة جديدة تتلاءم مع طبيعته، مثل صيغة "افعالّ"، فيرى الدكتور رمضان عبد التواب أن من طرق نشوء الفعل الرباعي في اللغة العربـــية اســـتخدام وزن "افعـــالّ" فـــي الشعر العربي، فتلك صيغ جديدة نشأت بسبب الضـــرورة الشـــعرية بطـــريق الإشباع الصوتي، ثم يضطر الشاعر إلى إقحام همزة، فيصير الوزن "افعألّ"، "وقد سبق أن تحدثنا عن طريق آخر لنشوء الرباعي في العربية وهو طريق استعمال وزن "افعالّ" في الشعر بإقحام همزة فيه، مثل "اطمأنَّ... "[٤٧] وثمّة أمـــثلة كثيرة على أثر الوزن الشعري في أبنية اللغه العربية، منها على سبيل المثال لا الحصر قول كُثَير عزة :[٤٨]

وأنت ابنَ ليلى خيرُ قومك مَشْهَدًا إذا ما احمأرّت بالعبيط العواملُ

وقد يحدث الإشباع الصوتي لحركة الضمة القصيرة في الوزن الشعري، ومثال ذلك قول الفرزدق: [٤٩]

وإنّني حيثما يسري الهوى بَصَرِي من حيثما سلكوا أدنو فأنظورُ

ونلاحظ أن كلمة "فأنظر" تحولت إلى "فأنظور"، بعد الإشباع الصوتي .

وقـــد يـــتمّ الإشباع الصوتي لحركة الكسرة القصيرة في الوزن الشعري، ومثال ذلك "الصيارف" تحولت إلى "الصياريف" بإشباع حركة الكسرة، يقول الفرزدق:

تَنفي يداها الحصى في كلِّ هاجرة نفي الدَّراهيم تنقاد الصياريـــف

ويعلق ابن جني على هذا البيت فيرى أن الفرزدق أراد "الـــصيارف" فأشـــبع الكسرة، فتولدت عنها ياء. فأما الدراهيم فلا حجة فيه؛ لأنه يجوز أن يكون جمـــع "دراهم" وقد نطقت به العرب.

ومن أمثلة إشباع حركة الفتحة القصيرة في الوزن الشعري، كلمة "العقـــرَب" تحولت إلى "العقراب"، يقول الشاعر:

أعوذ بالله من العقراب الشائلاتِ عُقَدَ الأذناب

والذي يتأمل الأمثلة السابقة يلحظ قيمة الإشباع الصوتي للحركة القصيرة في الوزن الشعري،وأثر ذلك في قوة الإسماع الصوتي، والجانب الموسيقي، والنبر الذي قد يكون سببا رئيسيا في هذا الإشباع الصوتي، فالسمع هي أمّ الملكات – على حد تعبير ابن خلدون– وفي هذا إبانة عن أثر الإشباع الصوتي في الوزن الشعري العربي.

ولاشك في أن الإشباع الصوتي في الوزن الشعري ينتج عنه ظهور صيغ جديدة، أي توليد أبنية صرفية تثري المعجم العربي، وقد ذكر أصحاب المعاجم هذه الصيغ الجديدة بجوار الصيغ الأصلية، وأخيرا أطرح تساؤلات حول هذه المسألةالتي يتقاطع فيها الأصوات والصرف والمعجم، هل ثمّة ضوابط صوتية وصرفية لاستعمال الإشباع في الشعر العربي؟ وهل الشاعر منشئ النصّ حرّ في استعمال الإشباع الصوتي مطلقا؟ وهل هذا الإشباع الصوتي ضرورة شعرية حسنة أم قبيحة؟ وهل عنف اللغة في الإشباع الصوتي ميزة تضاف إلى خصائص اللغة؟ وفي ظنّي أن الشاعر يباح له ما لا يباح للناثر، إذ الشعر إنشاد وموسيقى، فالطرب الصوتي لا يقل أهمية عن جمال المعنى البلاغي القائم على النظم والتأليف والسياق المقامي.

المبحث الثاني

مظاهر الإشباع الصوتي في اللغة العربية ووظيفته .

أولاً- تحويل الثنائي إلى ثلاثي

بنـــي علماء الصرف العرب القدماء الميزان الصرفي على وزن "فعل" أي الأصل الثلاثـــي، وهو الغالب الأعم في اللغة العربية، كما أقام أصحاب المعاجم العربية القديمة نظـــامهم على الأصل الثلاثي للجذر اللغوي، وهو أغلب ألفاظ اللغة العربية، وفى داخل المعجـــم يســـتخدمون نظـــام الأبنية ؛ الثنائي والثلاثي والرباعي... وفي ذلك اعتراف ضـــمني مـــنهم بوجود الثنائي في اللغة، بيد أنهم يبحثون له عن ثالث محذوف، وغالبا مايكون الواو أو الياء، أو التضعيف، نحو : يد، أب، مد، هل ... يقول الخليل بن أحمد : "كلام العرب مبنيّ على أربعة أصناف: علي الثنائي، والثلاثي، والرباعي، والخماسي، فالثنائي على حرفين نحو : قدْ، لمْ، هلْ، لوْ، بلْ ... فإنْ صيّرت الثنائي مثل قدْ، وهل ، ولـــوْ، اسمًا، أدخلت عليه التشديد، فقلت: هذه لوٌّ مكتوبة، وهذه قدٌّ حسنة الكِتْبَة، وزدت واوًا على واو، ودالا على دال ..."(٥١)

وواضح من كلام الخليل بن أحمد اعترافه بوجود الثنائي، وإشارته إلى كيفية تحويله إلى ثلاثي بالتضعيف . وقد سار على نظام الأبنية عند الخليل غير واحد من أصحاب المعاجم العربية، مثل ابن دريد في كتاب "الجمهرة في اللغة "والقالي في كتاب "البارع "، والصاحب بن عبّاد في كتاب "المحيط في اللغة " وغيرهم .

وأمـــا علمـــاء الصرف العربي فعندما قابلوا كلمات مثل "أخ، أب، يد" بحثوا لها عن ثالـــث محذوف، فقالوا : أخو، أبو، يدو، وقالوا : إن النسب والتصغير يردّ الأشياء إلى أصولها، فيذكرون أخويّ، وأبويّ، ويدويّ، وأجازوا أخيّ، وأبيّ، ويديّ، وغير ذلك من التفاصـــيل الصرفية، يقول الزمخشري عن التحقير: "وكلّ اسم على حرفين فإن التحقير يـــردّه إلى أصله، حتى يصير إلى مثال "فُعَيْل"...وفي دم، وشفة وحر، وفل، وفم: دُمَيّ، وشُفَيهة، وحُرَيْح، وفُلَيْن، وفُوَيْة . "(٥٢)

وأما علماء اللغة العرب المحدثون فقد انقسموا إلى ثلاثة فرق ؛ الفريق الأول : يمثله الدكـــتور إبراهـــيم أنيس، ويرفض نظرية ثنائية اللغة، ويرى أن اللغة تنتقل من كلمات طويلـــة كثيرة الحروف إلى تقصير بنيتها "ويتبن من هذا أن ما يدعو إليه بعض العلماء مـــن أن الأصل في بنية الكلمات أن تكون ثنائية، لا أساس له من الصحة، بل يبدو من

ملاحظاتـــنا فـــي كـــل العصور التاريخية أن العكس هو الصحيح أي أن الكلمات كانت طويلة ثمّ قصرت. "(٥٣)

والفريق الثاني يتعصب لمبدأ ثنائية اللغة، ويرى أن هذا هو الأصل في اللغة العربية، بـــل يذهب أبعد من ذلك فيعدّ كلّ أصل ثنائي في اللغة الرومية أو اليونانية له مقابل في لغـــة مُضَر، ويمثل هذا الرأي الأب أنستاس ماري الكرملي، يقول: "إن أول ما وضعت علـــيه أصول هذه اللغة كان يتقوّم من حرفين، ثمّ كُسع بحرف ثالث ؛ للتثبت من تحقيق لفـــظ الحـــرف الثانـــي من الكلمة، ومنذ ذيالك الحين بنيت كلّ لفظة عربية على ثلاثة أحرف.... وأما الكنز الدفين الذي وفقت للعثور عليه ولم أجده في كتاب، ولم أسمعه من أســـتاذ أيّـــا كان، فهو أني لاحظت هذا المبدأ، وهو كل كلمة ذات هجاء أو هجاءين في الرومية أو اليونانية، ولم تكن من أصل منحوت؛ بل من وضع أصيل، أو توقيفي، فلابدّ من أن يكون لها مقابل في لغتنا المضرية.."(٥٤)

وأمّـــا الفـــريق الثالث فيمثله الباحثون في اللغات السامية، مثل برجشتراسر، وهذا الفـــريق يعـــترف بالأصل الثنائي في اللغة العربية، وكذلك الأصل الثلاثي، ويدلل على أصالة الثنائي في العربية من خلال المقارنة بينها وبين الأكادية والعبرية" ونحن نعرف أن الأخ والابـــن مـــن الأسماء القديمة جدا، التي مادتها مركبة من حرفين فقط، لا من ثلاثة أحرف ... فهي في غير العربية من اللغات السامية، مثل الأكادية والعبرية." (٥٥)

وأمـــا رأيـــي فـــي تلك المسألة اللغوية، فإنني أقول بوجود الأصلين معًا ؛ الثنائي والثلاثـــي في اللغة العربية، غير أن الإشباع الصوتي ذو صلة بثنائية اللغة، فهو وسيلة لتحويل الثنائي إلى ثلاثي وذلك بطريقين؛الأول: إشباع الحركة القصيرة، والثاني: إشباع الصـــامت، فمـــثلا كلمة "الحجّ" هي ثنائية الأصل ثمّ حدث لها إشباع بطريق الصامت، فصـــارت كلمة ثلاثية، وكذلك "أب" حدث لها إشباع بطريق الحركة القصيرة، فتحولت إلـــى "أبـــو"، وفي ظني أن كل الكلمات المعتلة في اللغة العربية هي ثنائية الأصل، ثمّ تطـــورت عـــبر العصـــور، فتحولـــت إلى ثلاثية مثل " قال ــ باع "، وكذلك الكلمات المضـــعفة، نحـــو: هـــدّ، ومدّ، وهلهل، ودعد... وعندما جُمعت اللغة العربية من أفواه العرب، بعد هذه التغييرات الصوتية عبر العصور والأزمان، وجدت على تلك الصورة التـــي يظهر فيها كثرة الثلاثي، وقلة الثنائي، وما الخلاف بين النحاة حول جواز النسب إلـــى الأصل الثنائي أبيّ، وأبويّ، إلا دليل على صحة ما نذهب إليه، وواضح أن مسألة الثنائي والثلاثي في اللغة تكشف النظام المعجمي العربي قديما وحديثا.

ثانيًا: إشباع الصامت الثاني

يعدّ إشباع الصامت الثاني -عند علماء الصرف العرب القدماء- مسربًا من مسارب الصيغة الصرفية العربية، ويأتي على منواله وزن معروف وهو "فَعَّل"، إذ تتعدد دلالات هذا الوزن من خلال السياق اللغوي، وذكروا لهذا الوزن دلالاتٍ ومعانٍ عدّة، منها التعدية، نحو: قوّمْتُ زيدًا، والإزالة نحو: جرّبْت البعير، والتكثير، نحو: بركّتُ الإبل، وصيرورة شيء شبه شيء، نحو: حَجّرَ الطين، ونسبة الشيء إلى أصل الفعل، نحو: فسّقْتُ زيدا، والتوجه إلى الشيء، نحو: شرّقْتُ، والاختصار، نحو: هلّل، وقبول الشيء نحو: شفّعْتُ زيدا، وغير ذلك من معاني هذا الوزن الصرفي.[٥٦]

فالمبنى الواحد متعدد المعنى، بل يحتمل دلالات عدّة، فالوزن "فعّل" هنا بمثابة شاغر "slot" يمكن ملؤه بشاغل "filler" مناسب ويتضح المعنى من خلال السياق المقالي، وقد يحتاج إلى السياق المقامي، وهذا هو العامل الخارجي الذي يلعب دورا مؤثرا في عملية التواصل اللغوي بين الناطقين باللغة.

ومن وسائل تعدية الفعل اللازم في اللغة العربية تثقيل الحشو، أي: إشباع الصامت الثاني، يقول الزمخشري: "وللتعدية أسباب ثلاثة، وهي: الهمزة، وتثقيل الحشو، وحرف الجر، تتصل ثلاثتها بغير المتعدي فتصيّره متعديًا ..."[٥٧] وإلي هذه الفكرة ذهب مجمع اللغة العربية بالقاهرة، فذكر أن تضعيف الفعل الثلاثي يفيد التعدية والتصيير نحو قوّاه، وحصّده، "وجواز تضعيف الفعل للتعدية، وقياسة المطاوعة، والمعروف من أنّ تعدية الثلاثي تفيد التصيير إلى الشيء، مثل: قوّاه : جعله قويا ..."[٥٨]

.وتلك المسألة اللغوية أراها جديرة بالرصد والتشخيص والتحليل،وملاك الأمر فيهاأن تحويل الفعل اللازم إلى متعدٍّ، بالهمز أو إشباع الصامت الثاني – في ظنّي – يرجع إلى اختلاف اللهجات العربية القديمة في عملية الإشباع، فأهل الحجاز معروف عنهم ترك الهمز، أي يميلون إلى التسهيل، أو الحذف، أو الإبدال، فيستبدلون بالهمزة في أول الكلمة تضعيف الصامت الثاني، على حين يميل بنو تميم إلى إضافة همزة في أول الكلمة، نحو: مَضّني كلام الناس، وأمضّني كلام الناس، فالأولى: نطق أهل الحجاز، والثانية: نطق بني تميم، ومن الأمثلة على هذه الفكرة قوله تعالى: (ولا يَصُدُّنَّك عن آياتِ الله)[٥٩].فقرئ "ولا يُصِدُّنَّك" من "أصدّ"، وحكاه أبو زيد عن رجل من كلب، والمعروف أن قبيلة كلب إحدى قبائل تميم، كما عزى أبو حيان الأندلسي[٦٠] هذه القراءة

إلــى تميم، وربيعة، وقيس، فهذا من وجهة نظري دليل على أن إشباع الصامت الثاني يمكن نسبته إلى من يفرّ من الهمز، وهم أهل الحجاز.

ومــن أظهــر الأمــثلة على صحة ما ذهبت إليه دلالة التضعيف عندهم على السلب والإزالة، نحو: قرّدْتُ البعير، وقذّيتُ عينه، وأعجمت الكتاب، يقول ابن جني: "ونظيره أيضًــا أشــكلتُ الكــتابَ؛ أي أزلت عنه إشكاله، وقد قالوا أيضًا: عَجّمْتُ الكتابَ، فجاء "فَعّلْتُ" للسلب أيضًا كما جاءت "أفعَلْتُ"..." (٦١)

ومــن دلالات إشــباع الصــامت الثاني إفادة التكثير والتوكيد في اللغة، حيث يهدف الإشباع هنا إلى عملية التواصل بين أهل اللغة، فهو وسيلة إقناع بين الناس، وهذا ملمح مهــم ينبغي الإشارة إليه في هذا المضمار، كما يُعبر الإشباع الصوتي للصامت الثاني عن شدة المبالغة في الشيء، وفي هذا كشف لفوائد الإشباع الصوتي، يقول الجوهري: "عَبَس الرجلُ: كَلَح، وعَبّس وجهه، شدِّد للمبالغة" (٦٢)

وهناك أمثلة من القرآن الكريم على ذلك من الكثرة بمكان، وأجتزئ منها مثالا أرجو أن تتحقق به الإبانة والقصد، قال الله عزّ وجلّ: (فَوَسَطْنَ به جمعًا)(٦٣) قرئ "فَوَسَّطْنَ" بالتشــديد، وهي قراءة عليّ بن أبي طالب، وابن أبي عبلة، وعبد الله بن مسعود، وزيد بــن عليّ، ويعلق ابن جنّي على هذه القراءة قائلا: "ومعنى وَسَطْنَ، خفيفة كمعنى توسط ... ووَسَّــطْنَهُ – مشــددة – أقوى معنى من وَسَطْنَهُ – مخففا – لما مع التشديد من معنى التكثير والتكرير". (٦٤)

ومن المعلوم في القراءات القرآنية واللهجات العربية بالضرورة أن اختلاف القراءات يــرجع إلــى اختلاف اللهجات العربية القديمة، فقبيلة تنطق بالتخفيف "وسطْن". وأخرى تنطق بالتشديد "وسّطْنَ"، فقد ذكر أبو حيان أن هاتين القراءتين لغتان: أي هما لهجتان عربيــتان، غــير أنــه لم يحدد لنا اسم اللهجة، وبناءً على ما سبق يمكن القول: إن هذا الاخــتلاف لايكشف لنا عن اختلاف صوتي بين اللهجات العربية فحســب، بل يميط اللثام عــن عملية التواصل بين اللهجات العربية القديمة، فقد لا يكون سبب الإشباع الصوتي هــنا التكثير والتوكيد والمبالغة – كما ذهب العلماء العرب القدماء – ولكنه اختلاف في عملــية الــنطق الصوتي أو من العادات النطقية لكل لهجة، دعاهم إليه الطبيعة البشرية والبيــئة الصــحراوية، والفضاء الواسع، فلهجة مثلا تقول: "عبس" بالتخفيف، وأخرى تقــول: "عبّس" بالتشديد، وأطرح تساؤلًا عن الدور التواصلي بين اللهجات العربية من خلال عملية الإشباع الصوتي، فهل هو قوة إسماع؟ أم هو توكيد ومبالغة؟ أم الاثنين معًا؟

ثم له قوة إقناع في الكلام؟ وهل للجانب الاجتماعي والثقافي دور في ذلك؟ هذه الأسئلة محتوية لفهم الأبعاد والمقاصد التواصلية للخطاب بين اللهجات العربية فيما بينها، وأثر ذلك في إثراء المعجم العربي على مستوى الصوت والصرف والدلالة وبلاغة الخطاب، كما أنه محاولة مقاربة بين الدرس الصوتي على المستوي الصوتيمي "الفونولوجي"، والصرفي "المورفولوجي"، وبلاغة الخطاب في اللغة العربية، وأثر ذلك في المعجم العربي .

- ثالثا : إشباع الصائت الثاني

يقوم الإشباع الصوتي بدور مؤثر في بنية الثلاثي المجرد، ومن ثمَّ يؤثر في المعني، ومن مسارب الإشباع الصوتي إشباع الحركة القصيرة، (الضمة، الفتحة، الكسرة)، فتتحول الحركة القصيرة إلى حركة طويلة، نحو : قتل، وقاتل، وضرب، وضارب، فنلحظ تحول صيغة "فعل "إلى "فاعل"، فـ "ضرب": فعل ماض يدل علي الحدث والزمن، علي حين "ضارب": اسم فاعل يدل علي الحدث ومَنْ قام به، فزيادة المبني نتج عنه زيادة وتغيير في المعني، فمن معاني صيغة "فاعل" التشارك بين اثنين فأكثر، نحو: خاصم، وقاتل، وجاهد...

ومن دلالات صيغة "فاعل" الرمز إلى صاحب الشيء من دون مزوالته له، ولا صنعة يعالجها، وذلك نحو: "دارع" لصاحب الدرع، و "نابل" لصاحب النّبل، و"تامر" لصاحب التمر، و "لابن" لصاحب اللبن، يقول الحطيئة:

فغرَرْتني وزعمتَ أنك لابنٌ بالصيف تامر

ومن أبرز الأمثلة على ذلك في القرآن الكريم قوله عزّ وجلّ : (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا)[١٥] قرأ الجمهور، وحميد، ومجاهد، والأعمش "أَمَرْنَا" خفيفة الميم أي أمرناهم بالطاعة، فعصوا وفسقوا، إذن فالأمر هنا من الله للمترفين. وقرأ أبو عمرو، وخارجة عن نافع، وابن كثير، وهي رواية نصر بن عليّ عن أبيه عن حمّاد بن سلمة عنه أيضًا، وعاصم،وعليّ بن أبي طالب، وابن أبي إسحاق، ويعقوب، وغيرهم "آمرْنا" بالمدّ، من باب "فاعَل"، ومعناه: كثَّرْنا، أي أكثرنا جبابرتها وأمراءها. فنلحظ هنا أن الإشباع تمّ بطريق الصائت القصير، وهو صائت الفتحة القصيرة، فتغير المعنى من الأمر للمترفين إلى الإكثار من عدد المترفين الفاسقين. وقرأ أبو العباس عن أبي عمرو، وأبان عن عاصم، وهدبة عن حماد

ابن سلمة عن ابن كثير، والنخعي، والجحدري، وابن عباس، وغيره "أمّرنا" بتشديد الميم مفتوحة أي سلّطنا شرارها، فعصوا فيها فأهلكناهم .

ويستبين لنا هنا إشباع الصامت، وهو صوت الميم، فتغير المعنى ودلّ الفعل على تسليط المترفين على القرية فعصوا ربهم فأهلكهم الله، كما نلحظ في هاتين القراءتين الأخيرتين نوعين من الإشباع أحدهما: بطريق الصائت القصير، والآخر: بطريق الصامت، وقد حدث تغيير للمعنى في كلتيهما، وقد يرجع ذلك التباين في طريق الإشباع في كلمة واحدة في آية واحدة إلى اختلاف اللهجات العربية القديمة فقبيلة تنحو إلى إشباع الصائت في معظم كلامهما، والأخرى تميل إلى إشباع الصامت، فهل ثمّة علاقة بين الإشباع والإشارات غير اللفظية في عملية التواصل بين الناطقين باللهجات العربية؟ وما علاقة الإشباع الصوتي بالحالة النفسية والانفعالية للمتكلم باللغة؟أرى أن كل هذا يصب في بئرٍ واحدة وهو المعجم العربي .

وقد يحدث في الصيغة الواحدة إشباعان متتاليان، الأول : للصامت الثاني، والثاني: للصائت الواقع على الصامت الثاني، نحو "فعّال" التي تدل على صاحب شيء يزاوله ويلازمه نحو الصناعة فنقول فرّاء، ورفّاء، ونسّاج، ونجّار...وفي ذلك اتساع في اللفظ والمعني، وبيان لإمكانات اللغة في التعبير عمّا يستجد من مستحدثات كل عصر، كما يوضح علاقة اللغة بالمجتمع، فهي مرآة تكشف عن حقيقة هذا المجتمع، فنعرف من خلال اللغة التطور الاجتماعي الذي أصاب الناطقين بها، ومدي علاقة أهلها بها.

* رابعًا: الإشباع والنبر

إن اللغة العربية تعتمد بشكل واضح على عملية الإشباع الصوتي بنوعيه ؛ إشباع الصائت، وإشباع الصامت، للتعبير عن الأفكار، وللتواصل بين أهلها، فهي لغة كمية، نظرًا للدور المهم الذي تقوم به حروف المدّ واللين، والتضعيف، في قوة الإسماع، وتغير المعنى، والإنشاد الشعري.

وللإشباع الصوتي علاقة بالنبرالطارئ في الكلام، والنبر هو وضوح نسبي لمقطع من مقاطع الكلمة ــ على حد تعبير الدكتور تمام حسّان ــ وقد حكى الفرّاء عن العرب أن منهم من يقول: "أكلت لحما شاةٍ، أراد لحمَ شاة، فمطل الفتحة، فأنشأ عنها ألفا"(٦٦).

ومن ثمّ فإشباع الصائت أو الصامت يغير في شكل المقطع، بل قد يعدد المقاطع، يقول الدكتور تمام حسّان: "إن الحروف الصحيحة إذا طالت كميتها؛ أي شددت، دلت إما على تعدد المقاطع أو الوقف"(٦٧).

وقد ذكر الدكتور تمام حسّان[٦٨] أنواع المقاطع الصوتية في اللغة العربية، وأشار إلى رمز (ص) صامت و (م) مدّ، أي حركة طويلة، و(ح) حركة قصيرة، وهي:

أ- ص: المقطع الأقصر.

ب- ص ح: مقطع قصير.

جـ- ص م "ص ح ح": مقطع متوسط مفتوح.

د- ص ح ص:مقطع متوسط مقفل.

هـ- ص م ص "ص ح ح ص" : مقطع طويل بالمدّ والإسكان.

و- ص ح ص ص: مقطع طويل بالتقاء الساكنين، ويكثر في الوقف.

ومن فوائد الحركات الطويلة أنها تشكل في المقطع الصوتي نواة المقطع، ويحظى الصوت الذي هو نواة المقطع بجهد كبير في النطق؛ وذلك لأنه يمثل قدرة عالية على الإسماع، يقول ماريو باي: "والمقطع syllable عبارة عن قمة إسماع peak sonority غالبا ما تكون صوت علة ... والمقطع يُسمّى مقفولا closed حينما ينتهي بساكن، ومفتوحًا open حينما ينتهي بعلة"[٦٩].

ومثال ذلك كلمة "الفلاّح" التي يظهر فيها إشباعان، على مستوى الصامت، والصائت، وتدل على مهنة الفلاحة، فالتقسيم المقطعي لهذه الكلمة كالتالي:

الْ = همزة وصل + فتحة قصيرة + لام ساكنة "ص ح ص" مقطع متوسط مقفل.

فَلْ = فاء + فتحة قصيرة + لام ساكنة "ص ح ص" مقطع متوسط مقفل.

لاحْ = لام +حركة طويلة بالألف + حاء ساكنة "ص ح ح ص" مقطع طويل، وهنا يقع النبر الطارئ على المقطع الأخير في هذه الكلمة لأن هذا المقطع طويل؛ أي على صورة "ص ح ح ص".

ونموذج آخر نوضح به صلة النبر بالإشباع الصوتي، فعند إسناد الفعل "مدّ" إلى ألف الاثنين تكون "مدّا" فيبقى الإشباع للصامت دون تغيير:

مَدْ = ميم + حركة قصيرة بالفتحة +دال ساكنة "ص ح ص" مقطع متوسط مقفل.

دا = دال + حركة طويلة بالألف "ص ح ح" مقطع متوسط مفتوح.

وفي هذه الحال يقع النبر الطارئ على المقطع الأخير؛ لأن المقطع الأخير هنا متوسط، وكذلك ما قبل الآخر متوسط.

وعند إسناد هذا الفعل "مدّ" إلى ضمير متكلم، نقول: "مَدَدْتُ"فنفك التضعيف، ويتحول الصـــوت الصامت المشدد أي المشبع إلى صوتين صامتين بسيطين، ومن ناحية التقسيم المقطعي والنبر كالتالي:

مَ = ميم + حركة قصيرة بالفتحة "ص ح" مقطع قصير.

دَدْ = دال +حركة قصيرة بالفتحة + دال ساكنة "ص ح ص" مقطع متوسط مقفل.

تُ= تاء + حركة قصيرة بالضمة "ص ح" مقطع قصير.

وهنا يقع النبر الطارئ على المقطع قبل الأخير ؛ لأنه متوسط مقفل، والأخير قصير.

وممّا سبق نلحظ العلاقة بين الإشباع الصوتي بنوعيه والنبر والمقطع.

- خامسًا: الإشباع والوقف

للوقــف طــرق متعددة في اللغة العربية؛ منها الإشباع الصوتي للصوت الصامت أوالصائت، ومنها الوقف في القافية بإشباع الحركة القصيرة ؛ لأن الشعر موسيقى يقوم على الإنشاد.

فمـــن حـــالات الوقف إشباع الصامت الأخير، مع حذف الحركة يقول سيبويه :"وأما التضـــعيف فقولــك:"هــذا خالدّ "، وهو يجعلّ، وهذا فرجّ... "[٧٠] وتعزي هذه العملية الصوتية إلى لهجة سعدية، وذهب الدكتور إبراهيم أنيس[٧١] إلى أنها قبيلة سعد بن بكر.

ومـــن أظهر الأمثلة على ذلك قوله تعالى (ولا يُضارَّ كاتبٌ ولا شهيدٌ)[٧٢] فقرأ يزيد ابـــن القعقاع، وابن جماز، وعيسى بن عمر، وعمرو بن عبيد "ولا يُضارّْ" بتشديد الراء وتسكينها. ويذكر ابن جني أن الإدغام لغة تميم، ومن ثمّ فالوقف بإشباع الصامت الأخير من الكلمة مع التسكين ظاهرة لهجية تعزى إلى سعد بن بكر وتميم.

ومن وسائل الوقف باستخدام الإشباع الصوتي إشباع حركة الضمة القصيرة، فتصير واوًا، قـــال تعالى: (ونادى نوحٌ ابنه)[٧٣].فقراءة الجمهور بإشباع الهاء في "ابنه"، وهي لغة أزد السَّراة، وبني كلاب، وعقيل.

وأما إشباع الفتحة القصيرة في القوافي فيمثله قول جرير[٧٤]:

أقلّي اللّومَ عاذلَ والعتابا وقُولي إنْ أصبتُ لقد أصابا

وقــد ورد فـــي القرآن الكريم إشباع الفتحة القصيرة في رؤوس الآيات، يقول ابن جني: "فأما في النصب فلا خلاف بينهم أن الوقف إنما هو على الألف، التي هي عوض مـــن التنوين، فأما قوله تعالى: (فأضلونا السبيلا) سورة الأحزاب ٣٣/ ٦٧، و(قواريرا)

سورة الإنسان ٧٦/١٥، و (تظنون بالله الظنونا) سورة الأحزاب ٣٣/ ١٠، فإنما زيدت هذه الألفات في أواخر هذه الأسماء التي لا تنوين فيها؛ لإشباع الفتحات، وتشبيه رؤوس الآي بقوافي الأبيات."[٧٥] وفي ذلك مناسبة صوتية في فواصل الآيات القرآنية.

وأمـــا زيـــادة هاء السكت في " ما " الاستفهامية، فتصير "مه"، وقلب التاء هاء عند الوقـــف في نحو: "فاطمة" و"فاطمه"، فهو إشباع للحركة القصيرة، يقول الدكتور إبراهيم أنيس: "وامتداد النَّفَس الذي يخيل للسامع على أنه هاء متطرفة، هو في الحقيقة ما سمّاه القدماء بهاء السكت كما شرحها النحاة، نراها تنحصر في الوقف على الكلمة التي تنتهي بصوت لين طويل ...."[٧٦]

وذهـــب الدكتور رمضان عبد التواب إلى أن التاء لا تقلب هاء في الوقف؛ إذ تسقط الـــتاء فـــي النطق عند الوقف على المؤنث "فيبقى المقطع السابق عليها مفتوحًا ذا حركة قصـــيرة، وهـــذا النوع من المقاطع تكرهه العربية في أواخر الكلمات، فتتجنبه بإغلاق المقطـــع عـــن طريق امتداد النَّفس بهاء السكت"[٧٧]. ويرى د/ سعد مصلوح أن صوت الهـــاء بســـبب نشـــاط الوترين الصوتيين مع ضغط الهواء يوصف بأنه صوت مقطعي صـــامت " والواقع أن من يصفون هذا الصوت { H ـــ هـــ } بأنه صائت إنما ينظرون إلى وظيفته فى نظام اللغة ٠٠٠ وإن كان فى حقيقة أمره من الناحية النطقية والفيزيائية غير حركة ، ولذا يمكن أن يوصف بأنه صائت مهموس أو صوت مقطعى غير حركى ٠٠٠" مصـــلوح ، دراسة السمع والكلام ص ١٧٢ ، وبناء على ما سبق يستبين لنا أن امتداد تيار الهواء مع تقارب الوترين الصوتيين ينتج عنه زيادة قوة ضغط الهواء المار مـــن المزمار فيخرج صوت صائت مهموس مقطعى من الناحية الوظيفية الفونيمية فى اللغة ، وهو أيضا أى الهاء صوت صامت مهموس مقطعى من الناحية النطقية الفيزيائية ومن أمثلة ذلك في الشعر العربي قول الراجز[٧٨]:

قد وردتْ من أمكنَهْ

من ها هنا ومن هُنَهْ

إنْ لم أُرَوِّها فَمَهْ

وقـــد ذهـــب النحاة العرب القدماء إلى تسمية إشباع الحركة القصيرة في آخر الفعل حرف التذكر، فالمتكلم يشبع الحركة متذكرًا، فلا يقطع كلامه، يقول الزمخشري: "ومن أصـــناف الحرف حرف التذكر، وهو أن يقول الرجل في نحو قالَ، ويقولُ، ومن العامِ: قالا فيمدّ فتحة اللام، ويقولو، ومن العامي، إذا تذكّر، ولم يُرِدْ قطع كلامه."[٧٩].

وممّـــا سبق نجد أن الإشباع ذو صلة بعملية التذكر والنسيان عند الإنسان في أثناء إنـــتاج الكلام، وفي ذلك إشارة إلى صلة الكلام بالإنتاج، وبالحالة النفسية والذهنية عند المتكلم، وعلاقة المخ بالجهاز العصبي والجهاز النطقي، وهنا أطرح سؤالات: هل يجوز القـــياس علـــي حرف التذكر؟ فقد ذهب علماء اللغة العرب القدماء إلى أن ما قيس على كلام العرب فهو منه، أم أنّ الأمر سماع يحفظ ولا يقاس عليه؟ ومن الملاحظ أيضًا هنا عـــدم ذكر شواهد من النصّ الشعري أو النثري تؤيد ما ذهب إليه الزمخشري، ومن ثمّ فهـــل هذه الأمثلة مصنوعة من عند الزمخشري؟ وهل سمع بها عن العرب القدماء في لهجـــاتهم الخاصة؟ وفي تقديري أن هذه المسألة جديرة بالبحث والتنقيب عنها في تراثنا اللغـــوي، إذ تلقـــي الضوء على أمر مهمل في دراسة اللغة، فسلوك المجهول هنا أولى عـــندي مـــن ارتـــياد المأهول من الموضوعات التي استهلكها الدارسون العرب قديمًا وحديـــثًا، وهل هذا الإشباع الصوتي هنا هو خروج عن النصّ و القاعدة المألوفة؟ وما صلة ذلك بعنف اللغة؟ فالمتكلم باللغة قد ينحرف عن المألوف، فيعدل عن القاعدة تحت تأثـــير ســـياقات خارجية عن اللغة، مثل الظروف الاجتماعية والسياسية والنفسية وغير ذلك من أنواع المقام.

الخاتمة

أهم نتائج البحث

١) في بعض الأحيان لا يثمر عن عملية الإشباع الصوتي تغيّر في المعنى،إذ يمثل حينئذٍ مرحلة صوتية في تطور الصيغة،مثل "قولٍ"،التي تحولت إلى "قيلٍ " باعتبارها مصدرًا لا فعلا،كما ورد في الحديث النبوي.

٢) وقد يكون الإشباع الصوتي للحفاظ على الصوت من الفناء فيما يليه،مثل الغُنّة في صوتي النون والميم .

٣) إشباع الصائت القصير أيسر في النطق من إشباع الصامت البسيط،ومثال ذلك حدوث المخالفة الصوتية في نحو "الجُبّ" و"الجوب".

٤) إشباع الحركات القصيرة يخفف من ثقل الانتقال من الضم إلى الكسر، مثل كلمة "سأوريكم".

٥) من أبرز وظائف الإشباع الصوتي الانسجام الصوتي أو المناسبة الصوتية، وقوة الإسماع، والإنشاد في الشعر والغناء.

٦) يعدّ الإشباع الصوتي وسيلة مهمة من وسائل ثراء المعجم العربي،فهو طريق لتوليد صيغ جديدة، نحو :غلَق وغلّق،وعَبَس وعبّس...فالوشيجة بين الإشباع والبنية والبلاغة والمعجم واضحة.

٧) يقوم الإشباع الصوتي بدور مؤثرفي العدد،فيحول المفرد إلى جمع مؤنث،نحو "قيعة" تتحول إلى "قيعات"، وذلك بإشباع فتحة العين كما قال ابن جني.

٨) اشتهر عن قبائل عربية ميلها إلى إشباع صيغ معينة في كلامها،فبنو تميم يشبعون الضمير "أنا" في الوصل والوقف، وأهل الحجاز يشبعون حركة ضمير الغائب في نحو "بهو – لهو"، ومن هنا فبعض القبائل تميل إلى الإشباع، وبعضها لا يشبع، وهذا يكشف لنا النقاب عن التطور الصوتي للغة العربية، إذ حافظت على كثير من خصائصها السامية .

٩) تميل أزد السراة وهي قبيلة يمانية إلى إشباع حركة الإعراب،في نحو "هذا عمرو" و"مررت بعمري"و"قابلت عمرا".

١٠) يبدو لي أن بقاء الواو في آخر كلمة "عمرو" هو ركام لغوي لظاهرة إشباع حركة الإعراب عند أزد السراة، وربما كانت تلك الحالة منتشرة في اللغة السامية الأم .

١١) قام الإشباع الصوتي بدور أساسي في تحويل الأصل الثنائي إلى ثلاثي في اللغة العربية،وبقاء بعض الأمثلة دليل على ذلك، نحو :أب،أم، دم، أخ .

١٢) من وظائف الإشباع الصوتي في الدلالة والبلاغة العربية إفادة التوكيد، والتكثير، والمبالغة، والتصيير...

١٣) الإشباع الصوتي مرآة تعكس لنا علاقة المجتمع باللغة، وأثر اللغة في المجتمع، ومثال ذلك فرار أهل الحجاز من الهمز، وميلهم إلى إشباع الصامت الثاني في الصيغة.

١٤) من فوائد الإشباع الصوتي إشباع حركة الفتحة القصيرة على الصامت الأول، نحو "فاعل"، إذ تشير إلى صاحب الشيء من دون مزاولته له، نحو: دارع، ولابن، ونابل ...

١٥) يؤثر الإشباع الصوتي في الصيغة المفردة، فيعدد المقاطع ويحدد موضع المفصل، ومكان النبر الطارئ الصوتي.

١٦) يظهر أثر الإشباع الصوتي في بعض حالات الوقف في اللغة العربية،ومثال ذلك: الوقف بإشباع الصامت الأخير بعد تسكينه، نحو: "هذا خالدّ"، وفي قراءة عمرو بن عبيد "ولا يضارّ" بتشديد الراء وتسكينها، ويعزى هذا الوقف إلى بني تميم.

١٧) للإشباع الصوتي صلة بعملية إنتاج الكلام، وذهن المتكلم،وهو ما أطلق عليه الزمخشري حرف التذكر، كيلا يقطع المتكلم كلامه، وفي ذلك إشارة إلى كيفية عمل المخ في أثناء الكلام، والعلاقة بين المخ والجهاز العصبي وجهاز النطق عند الإنسان.

هوامش البحث

١) ابـن جني، أبو الفتح عثمان، سر صناعة الإعراب، تحقيق حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، سنة ١٩٨٥م، ص١/ ١٧.

٢) ابن الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن، الإنصاف في مسائل الخلاف، تحقيق جودة مبروك، مكتبة الخانجي، بالقاهرة، سنة ٢٠٠٢م، ص١٩.

٣ الشريف الجرجاني، علي محمد، كتاب التعريفات، بيروت، لبنان، مكتبة لبنان، سنة ٢٠٠٠م، ص ٢٢٣

٣) كانتينو، جان، دروس في علم أصوات العربية، ترجمة صالح القرمادي، تونس، سنة ١٩٦٦م، ص ١٤٥.

٤) ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر، عالم الكتب، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٣م، ص١٤٦.

٥) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، سنة ١٩٩٥م، ص٣٨.

٦) عبد التواب، رمضان، المدخل إلى علم اللغة، مكتبة الخانجي بالقاهرة، سنة ١٩٩٧م، ص٩٧ "وليس الطول والقصر خاصًا بالأصوات المتحركة وحدها، بل إن الصوامت تطول وتقصر كذلك، وإنّ ما نعرفه باسم الحرف المشدد أو الصوت المضعف، وليس في الحقيقة صوتين من جنس واحد الأول ساكن والثاني متحرك، كما يقول نحاة العربية، وإنما هو في الواقع صوت واحد طويل يساوي زمنه زمن صوتين اثنين.".

٧) أنيس، الأصوات اللغوية، ص٣٨-٣٩.

٨) مصلوح، سعد، دراسة السمع والكلام، عالم الكتب، القاهرة، سنة ٢٠٠٠م، ص٢٠٩ – ٢١٠.

٩) عضيمة، محمد عبد الخالق، المغني في تصريف الأفعال، الطبعة الثانية، دار الحديث، القاهرة، سنة ١٩٩٩م، ص ٤١ -٤٢.

١٠) المرجع السابق، ص٤٣- ٤٤ .

١١) الخطيـب، عـبد اللطـيف محمـد، الـتقاء الساكنين بين القاعدة والنصّ، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعـية، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، الرسالة (١٥٠) الحولية الحادية والعشرون سنة ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م، ص١٢٤.

١٢) الحديـث رواه الـبخاري فـي كتاب الاستقراض، باب ما ينهى عن إضاعته، بفتح اللام "قيلَ وقالَ" ويروى في الفائق بالتنوين والكسر "قيلٍ وقالٍ" انظر: الزمخشري، محمود بنُ عمر بن محمد، الفائق فـي غريب الحديث، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، سنة ١٩٩٣م ص ٣/١٢١.

١٣) ابن جني، سر صناعة الإعراب، ص١/ ١٨ - ١٩.

١٤) أنيس، الأصوات اللغوية، ص١٥٧.

١٥) المرجع السابق، ص ١٦١. إذ يعتبرها علماء الأصوات أشباه حركات .

١٦) ابن جني، سر صناعة الإعراب، ص٢/ ٧٤٣.

١٧) يوسف، ١٢/ ١٠.

18) العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين، إعراب القراءات الشواذ، تحقيق محمد السيد محمد عزوز، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت، لبنان، سنة ١٩٩٦م، ص ١/٦٨٥.

19) أنيس، الأصوات اللغوية، ص١٥٩.

20) الأعراف ٧/١٤٥.

21) ابن جني، أبو الفتح عثمان، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق علي النجدي ناصف وآخرين، دار سزكين للطباعة والنشر، القاهرة، ص١/ ٢٥٨.

22) مصلوح، دراسة السمع والكلام، ص٢٠٤.

23) التوبة ٩/٣٨.

24) حسّان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ١٥١.

25) الإسراء ١٧/ ١٠٦.

26) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، مطبعة السعادة، القاهرة، ص٦/ ٨٧.

27) الكهف ١٨/ ١٩.

28) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ص٦/ ١١٠. والخطيب، عبد اللطيف محمد، معجم القراءات، دار سعد الدين، دمشق، سنة ٢٠٠٢م، ص٥/١٧٦.

29) النور ٢٤/ ٣٩.

30) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ص٦/ ٤٦٠؛ وابن جني، المحتسب، ص٢/ ١١٣.

31) الزمخشري، محمود بن عمر بن محمد، المفصل في صنعة الإعراب، تحقيق خالد إسماعيل حسّان، مكتبة الآداب، الطبعة الأولى، القاهرة، سنة٢٠٠٦، ص٣٧٧ – ٣٧٨.

32) يونس ١٠/٩٠.

33) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، بيروت، سنة ١٩٥٢م، ص٨/ ٣٧٧؛ وأبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ص٥/ ١٨٨.

34) نوح ٧١/ ٢٢.

35) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ١٠/ ٢٨٥.

36) حسّان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص ٣٠٢ – ٣٠٣.

37) الأنعام ٦/ ١٦٣.

38) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ص٧/ ١٥٥

39) الدمياطي، البنا، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، القسطنطينية، ١٢٨٥هـ، ص ١٩٢.

40) عبد التواب، رمضان، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٠م، ص٦٧ ؛ وانظر، برجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية، صححه وعلق عليه رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، سنة ١٩٩٧م، ص ٦٧ .

41) آل عمران٣/ ٧٥.

42) ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي، النشر في القراءات العشر، نشر علي محمد الضباع، بيروت، دار الكتب العلمية، ص١/٣٠٥.

٤٣) القصـــص ٢٨/ ٨١، وانظر: ابن خالويه، الحجة في القراءات السبعة، تحقيق عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، الطبعة الثانية، بيروت، سنة ١٩٧٧م، ص٣٥٠.

٤٤) ســيبويه، أبو بشر عمرو بن قنبر، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، سنة ١٩٩٢م، ص ٤/ ١٩٥.

(٣) الخطيب، معجم القراءات، ص ٩ / ٤٨.

٤٥) ذهــب الدكتور رمضان عبد التواب إلى أن السبب في وجود الشاذ في اللغة "يرجع إلى ثلاثة أمور : فإمـــا أن تكون تلك الشواذ بقايا حلقة قديمة، ماتت واندثرت وهو ما نسميه بالركام اللغوي للظواهر المــندثرة فـــي اللغـــة ..." انظر: عبد التواب، رمضان، بحوث ومقالات في اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة، سنة ١٩٩٥م، ص٥٨/ ٥٩.

٤٦) سيبويه، الكتاب، ص٤/ ١٦٧.

٤٧) عبد التواب، رمضان، فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، سنة ١٩٨٧م، ص ٣٠٦.

٤٨) كُثَـــيِّر عــزة، ديوانه، تحقيق إحسان عباس، بيروت، سنة ١٩٧١م، ص ق ٤٦/ ١٠؛ وانظر: عبد التواب، فصول في فقه العربية، ص١٩٦.

٤٩) ابن فارس، أبو الحسين أحمد، الصاحبي في فقه اللغة، تحقيق السيد أحمد صقر، القاهرة، ١٩٧٧م، ص٥٠، وانظــر: عــبد الــتواب، فصـــول في فقه العربية، ص١٨٣، وأشير هنا إلى أن ثمّة بحثًا بعنوان "الإشباع الصوتي في المقاطع العربية" لعبد الحميد الأقطش، مجلة علوم اللغة، المجلد السادس العدد الثاني، ٢٠٠٣م، دار غريـــب، وقـــد ركـــز على مسألة المقاطع الصوتية والوزن الشعري، وذكر عددًا من الشواهد الشعرية في إشباع الفتحة والكسرة والضمة في الوزن الشعري.

٥٠) ابن جني، سر صناعة الإعراب، ص١/ ٢٥.

٥١) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، تحقيق عبد الله درويش، بغداد، سنة ١٩٦٧م، ص٥ – ٦.

٥٢) الزمخشري، المفصل في صنعة الإعراب، ص٢٥٦ – ٢٥٧.

٥٣) أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٤م، ص٣٣.

٥٤) الكرملي، الأب أنستاس ماري، نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ص١٠٧ – ١٥٨.

٥٥) برجشتراسر، التطور النحوي في اللغة العربية، ص٥٨.

٥٦) الحمـــلاوي، الشيخ أحمد، شذا العرف في فن الصرف، شرحه وعلق عليه حسني عبد الجليل، مكتبة الآداب، القاهرة، ص ٤١ – ٤٢.

٥٧) الزمخشري، المفصل في صنعة الإعراب، ص٣٤٦.

٥٨) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، القرارات المجمعية في الألفاظ والأساليب، من سنة ١٩٤٣م إلى ١٩٨٧م، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، سنة ١٩٨٩م، ص٢١٥.

٥٩) القصص ٢٨/ ٨٧.

٦٠) أبـــو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ص٧/ ١٣٧، وانظر، الخطيب، معجم القراءات، ص٧/ ٨٣، وقرئ "ولا تُلبِسوا الحقّ بالباطل" بضم التاء، من الفعل "ألبس" سورة البقرة ٢/ ٤٢، وقرأ زيد بن عليّ "يُغيظ الكفار" سورة التوبة ١٢٠/٩، بضم الياء، قصدًا كله أية على عزو الضم إلى تميم، وعزو تصحيفه الحرف الثاني إلى أهل الحجاز، وجامعو اللغة العربية لم يفرقوا بين الأمرين، فاعتبروا ذلك من وسائل التعدية في العربية

الفصحى وفي تقديري هو راجع إلى اختلاف اللهجات العربية في طريقة النطق بين الهمز والإشباع الصوتي للصامت.

٦١) ابن جني، سر صناعة الإعراب، ص١/ ٣٩.

٦٢) الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد النيسابوري، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، سنة ١٩٥٦م، ص ٣/ ٩٤٥.

٦٣) العاديات ١٠٠/ ٥.

٦٤) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ص١٠/ ٥٣٩، وانظر في قوله تعالى: (نحنُ قدَّرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين) سورة الواقعة ٥٦/ ٦٠، فقراءة الجمهور تشديد الدال؛ أي إشباع الصامت الثاني، ويعلق العكبري قائلا: والتشديد للتكثير" انظر العكبري، إعراب القراءات الشواذ، ص٢/ ٥٥٥، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ص١٠/ ٨٨، ومعروف أن اختلاف القراءات يرجع إلى تعدد اللهجات العربية القديمة.

٦٥) الإسراء ١٧/ ١٦، وانظر: الخطيب، معجم القراءات، ص ٥/ ٣٠ – ٣١ – ٣٢.

٦٦) ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، القاهرة، سنة ١٩٥٦م، ص٣/ ١٢٣.

٦٧) حسّان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، ص٧١

٦٨) المرجع السابق، ص٦٩.

٦٩) ماريو باي، أسس علم اللغة، ص٩٦.

٧٠) سيبويه، الكتاب، ص ٤/ ١٦٩.

٧١) أنيس، إبراهيم،في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص١٧٤. ويرى د. تمام حسان أن ما يحدث هنا هو قلقلة للحرف الموقوف عليه وليس تشديدًا، انظر: اللغة العربية معناها ومبناها، ص ٢٧٢.

٧٢) البقرة ٢/ ٢٨٢، وانظر: أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ص٣/ ٣٥٤، وابن جني، المحتسب، ص ١/ ١٤٨.

٧٣) هود ١١/ ٤٢، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ص٥/ ٢٢٦، وابن جني، المحتسب، ص ١/ ١٤٨، والخطيب، معجم القراءات، ص٤/ ٥٦.

٧٤) ابن جني، سر صناعة الإعراب، ص٢/ ٦٧٧.

٧٥) المرجع السابق، ص٢/٦٧٧.

٧٦) أنيس، في اللهجات العربية، ص ١٣٧.

٧٧) عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، ص٢٥٧. وإضافة هاء السكت في نحو " عليهنْ " في حال الوقف شائع في قراءة يعقوب . انظر : الخطيب، معجم القراءات، ص ٣ / ٣٥ــ ٥٤ــ ١٦٥.

٧٨) ابن يعيش، شرح المفصل، ص٤/ ٦.

٧٩) الزمخشري، المفصل في صنعة الإعراب، ص٤٥٧.

المصادر والمراجع

١- الأقطش، "الإشباع الصوتي في المقاطع العربية" مجلة علوم اللغة، المجلد السادس العدد الثاني، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٣م.

٢- ابــن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، تحقيق جودة مبروك محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، سنة ٢٠٠٢م.

٣- أنيس:

- الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، سنة ١٩٩٥م.
- دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، سنة ١٩٨٤م.
- في اللهجات العربية،الطبعة الثامنة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، سنة ١٩٩٢ م.

٤- برجشتراســر، الــتطور النحوي في اللغة العربية، راجعه وصححه وعلق عليه رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، سنة ١٩٨٢م.

٥- ابــن الجزري، النشر في القراءات العشر، نشر علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

٦- ابن جنّي:

- الخصــائص، تحقيق محمد علي النجار،الطبعة الثانية، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، سنة ١٩٥٢م.
- سر صناعة الإعراب، تحقيق حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، سنة ١٩٨٥م.
- المحتســب فــي تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق علي النجدي ناصــف وآخريــن، الطــبعة الثانية، دار سزكين للطباعة والنشر، القاهرة، بدون تاريخ.

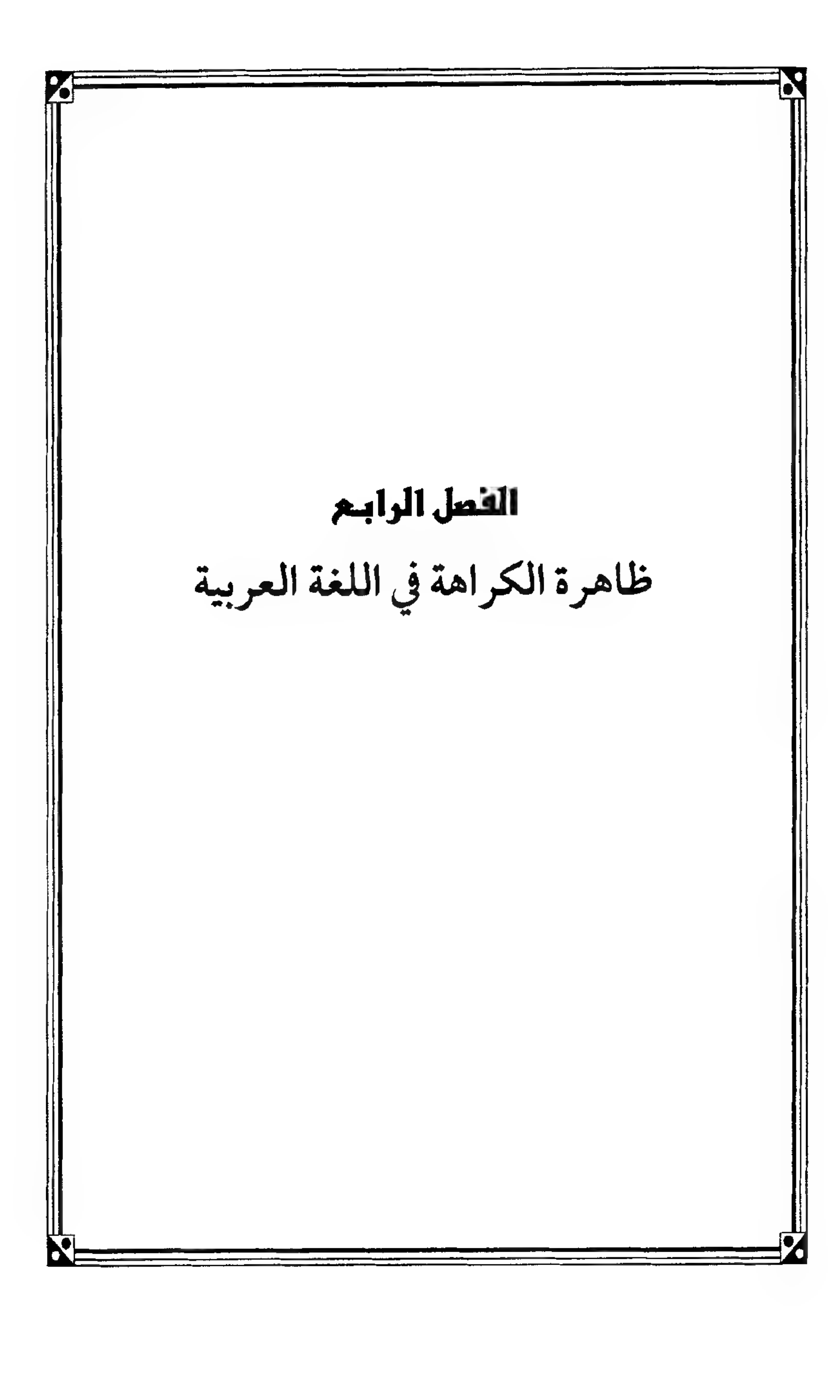
٧- الجوهــري، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، سنة ١٩٥٦م.

٨- حسّان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٩٩٨ م.

٩- المحــلاوي، الشــيخ أحمد، شذا العرف في فن الصرف، شرحه وصححه وعلق عليه حسني عبد الجليل، مكتبة الآداب، القاهرة، بدون تاريخ .

١٠- أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، مطبعة السعادة، القاهرة، بدون تاريخ.
١١- ابـن خالويـه، الحجة في القراءات السبعة، تحقيق عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، الطبعة الثانية، بيروت، سنة ١٩٧٧م.
١٢- الخطيب:
- التقاء الساكنين بين القاعدة والنص، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، الرسالة (١٥٠) الحولية الحادية والعشرون، سنة ٢٠٠٠م.
- معجم القراءات، دار سعد الدين، دمشق، ٢٠٠٢م.
١٣- الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، القسطنطينية، ١٢٨٥ هـ.
١٤- الزمخشري:
- الفائق في غريب الحديث، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، سنة ١٩٩٣م.
- المفصل في صنعة الإعراب، تحقيق خالد إسماعيل حسّان، مكتبة الآداب، الطبعة الأولى، القاهرة، سنة٢٠٠٦.
١٥- سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، سنة ١٩٩٢م.
١٦ـ الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، سنة ٢٠٠٠م .
١٧- عبد التواب:
- بحوث ومقالات في اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة، سنة ١٩٩٥م.
- التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٠م.
- فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، سنة ١٩٨٧م.
- المدخل إلى علم اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة، سنة ١٩٩٧م.
١٨- عضيمة، المغني في تصريف الأفعال، الطبعة الثانية، دار الحديث القاهرة، سنة ١٩٩٩م.

١٩- العكبري، إعراب القراءات الشواذ، تحقيق محمد السيد عزوز، عالم الكتب، بيروت، لبنان، سنة ١٩٩٦م.
٢٠- ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، تحقيق السيد أحمد صقر، القاهرة، ١٩٧٧م.
٢١- الفراهيدي، العين، تحقيق عبد الله درويش، بغداد، سنة ١٩٦٧م.
٢٢- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، بيروت، سنة ١٩٥٢م.
٢٣- كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، ترجمة صالح القرمادي، تونس، سنة ١٩٦٦م.
٢٤- كُثَيِّر عزة، ديوانه، تحقيق إحسان عباس، بيروت، سنة ١٩٧١م.
٢٥- الكرملي، نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها،، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، بدون تاريخ .
٢٦- ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر، عالم الكتب، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٣م.
٢٧- محمد شوقي، وإبراهيم الترزي، القرارات المجمعية في الألفاظ والأساليب، من سنة ١٩٤٣م إلى ١٩٨٧م، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٨٩ م.
٢٨- مصلوح، دراسة السمع والكلام، عالم الكتب، القاهرة، سنة ٢٠٠٠م.
٢٩- ابن يعيش، شرح المفصل، مكتبة المتنبي، للقاهرة، بدون تاريخ.



الفصل الرابع

ظاهرة الكراهة في اللغة العربية

ظاهرة الكراهة في اللغة العربية
دراسة صوتية

تمهيد

تتعرض اللغة لتغيرات عبْر مرور الزمن ، فيطرأ عليها تغيرات في الأصوات، فتميل اللغة إلى التخلص من صوتين متماثلين في المخرج أو متقاربين فيه، وقد يكون توالي المثلين في أول الكلمة أو وسطها أو آخرها، ويتم هذا على مستوى الصوامت والصوائت، وعلة هذا صعوبة تتابع المقاطع والأصوات المتماثلة في النطق.[1] ومثال ذلك في القرآن الكريم "استطاع" صارت "اسطاع" قال تعالى " فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا".[2] ومن ثمّ عني العلماء العرب القدامى بدراسة التغيرات التي تطرأ على اللغة في بعض المواضع.

واللغة العربية في أمسّ الحاجة إلى دراستها لمعرفة خصائصها ، وأسرار بنيتها الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية ، واستكناه التغيرات التي لحقت بها ، وموقف العلماء العرب القدامى من هذه التغيرات ، ثمّ ربط هذه الجهود القديمة بالبحث اللساني المعاصر .

واللغة العربية لها خصائص صوتية، وصف العلماء العرب القدامى بعضها بالكراهة والتقبيح أحياناً. وقد قمت بجمع كثير من الأمثلة التي وصفها العلماء العرب القدامى بالكراهة والتقبيح ، لمعرفة أسباب هذه الكراهة ، ومظاهرها ، وعلل العلماء العرب القدامى لها ، ثمّ موقف الدرس اللساني المعاصر منها، من الناحية الصوتية، "والدرس اللساني العربي لا يزال في معالجته للتراث محصوراً معظمه في أفق مهني بالغ الضيق.[3]

---

[1] انظر: عبد التواب، رمضان، بحوث ومقالات في اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٢٧.

[2] سورة الكهف، ٩٧/١٨.

[3] انظر: مصلوح، سعد ، مقدمة كتاب معجم القراءات لعبد اللطيف الخطيب، دار سعد الدين، دمشق، ٢٠٠٠، ج١، ص ١٣.

واللغة الفصحى ليست بالضرورة هي أقدم أشكال النُطق ، ومن هنا فإن ظاهرة الكراهة أو الاستقباح قد تمثل صورة أقدم من الفصحى تاريخياً ، وقد تكون صورة معبرة عن لهجات عربية قديمة عن الفصحى. كما أن دراسة هذه الظاهرة ربما يفضّ لنا بعض مغاليقها من الناحية الصوتية، كما تطلعنا على التغيرات التي أصابت اللغة الفصحى ، وموقف العلماء العرب القدامى من الأمثلة التي يرونها مخالفة للقواعد التي وضعوها وقاسوا عليها ، وهل كان قياسهم صواباً في كل حالاته؟ وما غايتهم من هذا الوصف للغة الفصحى ؟

وقد شغل مصطلح الكراهة والقبح قدراً لا بأس به من الاهتمام في كتب العلماء العرب القدامى ، ولكنَّ موقفهم منه كان غامضاً وملبساً ، فأحياناً يقصدون به الجواز مطلقاً ، وأحياناً يريدون به الجواز على ضعف ، وأحياناً يقصدون به الامتناع وعدم الجواز ، وأكثر العلماء استخداماً لهذا المصطلح سيبويه في كتابه. فنجد عنده ترادفاً لهذا المصطلح فمرة يستخدم مصطلح الكراهة ، ومرة أخرى يستخدم مصطلح القبح ، ومرة ثالثة يستخدم عبارة "ليس يحسن"، كما أنه يستخدم المصطلح أحياناً بصيغة الفعل مثل : كرهه ، واستقبحه ، ويكرهون ، ويستقبحون .

وجاء في كتاب سيبويه "هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة . فمنه مستقيمٌ حسَنٌ ، ومحالٌ ، ومستقيم كذب ، ومستقيم قبيح ، وما هو محال كذب ... وأمّا المستقيم القبيح فأنْ تضع اللفظ في غير موضعه ، نحو قولك : قد زيداً رأيت ، وكي زيد يأتيك، وأشباه هذا."[٤]

---

[٤] سيبويه، أبو بشر عمرو بن قنبر، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٢، ج١، ص ٢٦.

التغيرات التركيبية للأصوات

اللغة ظاهرة اجتماعية ، تقوم بوظائف كثيرة في حياة الناس ، منها أنها وسيلة اتصال بينهم للتعبير عن أفكارهم وأحوالهم النفسية والاجتماعية والعلمية ، فهي مرآة صادقة للمجتمع ، تكره وتحب ، وتُقبّح وتحسّن ، فما يكرهه الناس تكرهه اللغة ، والعكس ، فالناس يهربون من الأمور الثقيلة بميلهم إلى الاقتصاد في المجهود ، والأخذ بمبدأ السهولة والتيسير ، وكذلك اللغة تتخلص من الأصوات الثقيلة والعسيرة في النطق.

وسبب حدوث التغيرات الصوتية في اللغة العربية ثقل الصوت على ألسنة الناطقين باللغة، لذا نراهم ينسبون الخِفّة إلى الفتحة ، والثقل إلى الضمة والكسرة ، كما عزوا الثقل إلى صوت الهمزة ، وقالوا بكراهية توالي الأمثال من حيث الصامت أو الصائت .

وفي هذا البحث أتناول التغيرات الصوتية التركيبية التي وصفها العلماء العرب القدامى بالكراهة أو القبح ، من خلال المماثلة الصوتية ، والسهولة والتيسير ، والمخالفة الصوتية ، لمعرفة أسباب الكراهة في هذه الأمور ، ومظاهرها ، وذلك من منظور الدرس اللساني المعاصر .

أولاً : المماثلة Assimilation

تتأثر الأصوات اللغوية المتجاورة بعضها ببعض ، فينتج عن هذا التأثر تغيير في مخارج الأصوات أو صفاتها ، من أجل حدوث الانسجام الصوتي الذي أطلق عليه اللغويون المحدثون مصطلح المماثلة الصوتية ، وقسّموها إلى نوعين[٥] :

- رجعي : وفيه يتأثر الصوت الأول بالثاني .
- وتقدمي : وفيه يتأثر الصوت الثاني بالأول .

وقد استخدم أستاذنا الدكتور رمضان عبد التواب مصطلح "التأثر المُقْبل" بدلاً من مصطلح "التقدمي" ، و "التأثر المُدْبِر" بدلاً من "الرجعي"[٦] ، وأشير إلى أنني سأعتمد على المصطلح

---

[٥] أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، الأنجلو المصرية ن القاهرة، ١٩٩٥، ص ١٨١ .

[٦] عبد التواب، رمضان، التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخانجي،القاهرة، ١٩٩٠، ص ٣١-٣٥ .

الخاص بالدكتور رمضان عبد التواب ، وذلك وفقاً لما جاء من قضايا صوتية تحت مصطلح الكراهة أو القبح ، في مصنفات علماء اللغة والنحو القدامى .

فأمّا بالنسبة للنوع الأول من أنواع المماثلة الصوتية فهو التأثر المقبل ؛ وهو أنواع :

١- **التأثر المقبل الكلي في حالة الاتصال** : ومن أمثلة هذا النوع "تتأثر تاء الافتعال دائماً بالدال أو الطاء قبلها ، فتقلب دالاً أو طاء مثل : ادترك – ادّرك ؛ ادتهن – ادّهن ؛ اطتلب – اطّلب ؛ اطتلع – اطّلع ؛ اطترد – اطّرد . "[٧] .

٢- التأثر المقبل الكلي في حالة الانفصال .

٣- التأثر المقبل الجزئي في حالة الاتصال .

٤- التأثر المقبل الجزئي في حالة الانفصال .

وأشير هنا إلى أنني لم أعثر على أمثلة في ظاهرة الكراهة والقبح تنضوي تحت هذا النوع الأول من أنواع المماثلة الصوتية ، ومن ثمّ فإنّ هذا التأثر المقبل حَسَن على ألسنة الناطقين باللغة العربية الفصحى ، فضلاً عن كونه حَسَناً في اللغة الفصحى ، ولذا نستطيع أن نقول : إنّ من خصائص اللغة العربية ميلها إلى أن يُؤثّر الصوت الأول في الثاني من دون قبح أو كراهية.

وأمّا النوع الثاني من أنواع المماثلة الصوتية فهو التأثر المُدبر ، وله حظ وافر من الأمثلة التي وصفها العلماء العرب القدامى بالكراهة في اللغة الفصحى ، وإليك التفصيل :

١- التأثر المُدبِر الكلي في حالة الاتصال :

اشتهر عن لهجة أهل الحجاز ميلها إلى الإظهار في النطق ، فهي تؤثر التأني والوضوح في الكلام ، يقول سيبويه : "وقالوا : وتد يتد ، ووطد يطد ، فلا يدغمون ؛ كراهية أن يلتبس بباب مددت ؛ لأنّ هذه التاء والطاء قد يكون في موضعها الحرف الذي هو مثل ما بعده ، وذلك نحو : وددتُ ، وبللتُ . ومع هذا أنك لو قلت : وَدٌ ، لكان ينبغي أن تقول : "يدّ" ، في "يتد"[٨] .

---

[٧] عبد التواب، التطور اللغوي ص ٣٣.

[٨] سيبويه، الكتاب، ج٤، ص ٤٧٤.

وأمّا لهجة بني تميم فقد اشتهرت بالإدغام "المماثلة الصوتية" فهي تميل إلى السرعة والخفّة في الكلام ، فيُسكّنون التاء للتخفيف في "وَتْد" ثمّ يُدغمون التاء في الدال، فتصبح "وَدّ" . ومن خلال هذا المثال نجد أنّ الصوت الثاني وهو الدال قد أثّرَ في الصوت الأول وهو التاء بعد تسكينها ، فحدثت المماثلة الصوتية بتأثير الصوت المجهور وهو الدال ، في الصوت المهموس وهو التاء ، ذلك لأن صوت التاء والدال من مخرج أسناني لثوي واحد.

كما يتأثر صوت اللام في كلمة "هلْ " و "بلْ " بصوت الراء في أول الكلمة التي تليهما ، فتفنى اللام في الراء ، يقول الزمخشري : "ويتفاوت جواز إدغامها إلى حَسَن وهو إدغامها في الراء، كقولك: "هل رأيت؟" وإلى قبيح وهو إدغامها في النون ، كقولك: " هل تخرج ؟ "[9]. فتنطق "هَرّأيت" و "هَنّخرج" .

ويتفق كلام الزمخشري في إدغام اللام في الراء مع أصحاب القراءات ، فقد قرأ أبو عمرو بن العلاء ويعقوب بن إسحق الحضرمي ، بإدغام اللام في الراء ، في قوله تعالى (كَمَثَلِ ريحٍ)[10] .فتنطق " كَمَثَرّيح " .

ولكنْ ما سبب قبح إدغام اللام في النون عند الزمخشري ؟ أليس الصوتان من مخرج صوتي واحدٍ ؛ وهو اللِّثة؟ كما أنهما صوتان مجهوران ، وقد وردت قراءات صحيحة بإدغام اللام في النون ، في قوله تعالى (بلْ نقذفُ بالحقّ)[11] فقرأ بالإدغام الكسائي وابن مُحيصن[12]. وواضح أن القبح هنا عند الزمخشري لا يقوم على أساس علمي صحيح ؛ لأن وجود قراءة قرآنية صحيحة تدحض رأى الزمخشري ، كما أن المماثلة الصوتية عند اللغويين لا تمنع إدغام اللام في النون .

---

(9) الزمخشري، محمود بن عمر، المفصل في صنعة الإعراب، دار الجيل، القاهرة، د.ت.، ص ٣٣٩.

(10) سورة آل عمران ١١٧/٣ وانظر أيضا : ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، راجعه علي محمد الضباع، المكتبة التجارية، القاهرة، د.ت.، ج٢، ص ٧ . انظر أيضا: الخطيب، معجم القراءات ، ج٦، ص ٩.

(11) سورة الأنبياء ٢١ / ١٨ .

(12) ابن الجزري، النشر، ج٢، ص ٧. انظر أيضا: الخطيب، معجم القراءات، ج٦، ص ٩.

٢- التأثر المدبر الجزئي في حالة الاتصال :

يتأثر صوت السين والصاد المهموسان بصوت الدال المجهور فيتحولان إلى صوت مجهور قريب من مخرج الدال ، وهو من الأصوات الأسنانية اللثوية ، وهو أغنى المخارج بالأصوات في اللغة العربية ، ومن ثمّ يصيران زاياً ، فكلمة " يسدل " و "قصدى " ، تتأثر السين والصاد بالدال فيتحولان إلى زاى ، فنقول : " يزدل " و " فزدى " ، يقول رضى الدين الأستراباذي : "قوله : والزاى من السين والصاد الواقعتين قبل الدال ساكنتين ، نحو : يَزْدُل ، وقول حاتم الطائي:[١٣] " هكذا فَزْدى أَنَهْ " ويبدو أنّ مقولة حاتم توضح جهر صوت الصاد عند قبيلة طيء.

السين صوت مهموس ، والدال مجهور ؛ فكرهوا الخروج من حرف إلى حرف ينافيه ، ولاسيما إذا كانت الأولى ساكنة ؛ لأن الحركة بعد الحرف ، وهى جزء حرف لين حائل بين الحرفين ، فقربوا السين من الدال ؛ بأنْ قلبوها زايا ، لأنّ الزاى من مخرج السين ومثلها في الصفير ، وتوافق الدال في الجهر ، فيتجانس الصوتان ، ولا يجوز ههنا أن تُشْرَبَ السينُ صوت الزاى ، كما يُفعَلُ ذلك في الصاد ، نحو : يصدر ؛ لأن في الصاد إطباقاً . "[١٤]

وواضح أن اللغة أحياناً تكره الخُرُوجَ من صوت مهموس إلى صوتٍ مجهور ، فتقرب بين الأصوات ، بأن يتحول المهموس إلى مجهور حيث تحول صوت السين المهموس إلى صوت الزاى المجهور ، فيتجانس الصوتان المجهوران وهما الزاى والدال ، وأحياناً يحدث العكس ، أي يتحول الصوت المجهور إلى مهموس تحت تأثير صوت ثالث مهموس .

وهناك نوع من المماثلة الصوتية يتم على مراحل ، ومثال ذلك كلمة " ستّ " التي أصلها " سِدْس " ، يقول سيبويه : " فمن ذلك "ستّ " ، وإنما أصلها "سِدْس" ، وإنّما دعاهم إلى ذلك حيث كانت مما كثر استعماله في كلامهم ، أن السين مضاعفة ، وليس بينهما حاجز قويّ ، والحاجز أيضاً مخرجه أقرب المخارج إلى مخرج السين ، فكرهوا إدغام الدال فيزداد الحرف سينا ،

---

[١٣] انظر، البهنساوي، حسام، القواعد التحويلية في ديوان حاتم، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٢، ص ٣٧-٣٨.

[١٤] انظر : الاستراباذي، رضي الدين، شرح شافية ابن الحاجب للرضي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢، ج ٣، ص ٢٣١ .

فتلتقي السينات ، ولم تكن السين لتدغم في الدال لما ذكرت لك ، فأبدلوا مكان السين أشبه الحروف بها من موضع الدال ، لئلا يصيروا إلى أثقل مما فرّوا منه إذا أدغموا، وذلك الحرف التاء ، ولم يبدلوا الصاد ؛ لأنه ليس بينهما إلا الإطباق."[١٥]

ويعلق د. رمضان عبد التواب على كلام سيبويه قائلاً : "وقد مرّت الكلمة بالتطورات التالية : تأثرت الدال المجهورة بالسين المهموسة، فقلبت إلى النظير المهموس وهو التاء، فصارت الكلمة "ستس" ، ثمّ أثرت التاء في السين فقلبت تاء ، فصارت الكلمة "ستّ"[١٦]

وهكذا نجد في هذا المثال أن اللغة تكره توالي ثلاثة أصوات متماثلة في المخرج والصفة، فكرهوا إدغام الدال في السين فتتحول الكلمة "سدس" إلى "سِسّ" لما في ذلك من ثقل على اللسان في النطق ، ومن ثمّ تحولت السين الثانية إلى تاء، فصارت كلمة "سدس" "سدت" ، ثم حدث أن أثّر الصوت المهموس وهو السين في الصوت المجهور وهو الدال، فتحولت الدال المجهورة إلى صوت التاء المهموسة فصارت "سِتّ" . وفي هذه الكلمة نجد تجانساً صوتياً بين الأصوات المهموسة .

وقد تحدث المماثلة بأن يؤثر الصائت على الصامت ، ومن أمثلة ذلك تأثير الكسرة على صوت الكاف في بعض لهجات العرب[١٧] ، وأطلق على هذه الظاهرة لقب الكشكشة والكسكسة ، حيث يتحول صوت الكاف المكسور إلى (تش" أو (تس) ، والسبب في تحول صوت الكاف المكسور إلى هذا الوضع أن صوت الكاف من الأصوات الطبقية ، فهو صوت شديد مهموس مرقق ، "يتم نطقه برفع مؤخرة اللسان في اتجاه الطبق وإلصاقه به ، وإلصاق الطبق بالحائط الخلفي للحلق ، ليسد المجرى الأنفي "[١٨] ، والذي يحدث أن تؤثر الكسرة على الكاف ، فتقلب الكاف إلى ما يقاربها من الأصوات الغارية كالشين ، والأسنانية اللثوية كالسين .

ولكنّ القدماء وصفوا هذه الظاهرة اللهجية المعروفة في ربيعة وبكر بالقبح ، فهل هذا الوصف لأنها لم تشع في اللغة الفصحى أم أن الذوق العربي يأنف منها ؟ يقول السيوطي : "فما

---

(١٥) انظر: سيبويه، الكتاب، ج٤، ص ٤٨١ – ٤٨٢ .

(١٦) انظر: عبد التواب، التطور اللغوي، ص ٥٠ .

(١٧) كشكشة ربيعة وكسكسة بكر ، انظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، تحقيق أحمد أمين وآخرين، القاهرة، د.ت.، ج٢، ص٤٧٥ .

(١٨) انظر: عبد التواب، رمضان، المدخل إلى علم اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٦، ص ٥٣ .

استحسنوه من لغاتهم تكلموا به ، فصاروا أفصح العرب ، وخلت لغتهم من مستبشع اللغات ، ومستقبح الألفاظ ؛ من ذلك : الكشكشة وهي في ربيعة ومضر يجعلون بعد كاف الخطاب في المؤنثة شيناً ، فيقولون : رأيتكش ، وبكش ، وعليكش ، فمنهم من يثبتها حالة الوقف فقط ، وهو الأشهر ، ومنهم من يثبتها في الوصل أيضاً .."[19]

أحياناً تحدث المماثلة بتأثير الصامت على الصائت ، فأصوات الحلق تُؤثر الفتح بدلاً من الضمة والكسرة في أحايين كثيرة ، والنحاة القدامى يرون أن صيغة " فَعَلَ " في الماضي عندما يكون عين الفعل أو لامه حرفاً من حروف الحلق فإنّه يلزم الفتح ، نحو : قَرأ ، يقرأ ، وبَدأ ، يبدأ ، وقَلَعَ ، يقلَع ، وسألَ ، يسألُ ، فجعلوا حركتها الفتحة ، حيث مخرجها الحلق، يقول سيبويه : "هذا باب ما يكون "يَفْعَلُ" من "فَعَلَ" فيه مفتوحاً ، وذلك إذا كانت الهمزة ، أو الهاء ، أو العين ، أو الحاء ، أو الغين ، أو الخاء ، لاماً أو عيناً . وذلك قولك : قرأ ، يقرأ ، وبدأ ، يبدأ ... هذا ما كانت هذه الحروف فيه لامات . وأمّا ما كانت فيه عينات فهو قولك : سألَ ، يسألُ ، وثأرَ ، يثأرُ .. وإنما فتحوا هذه الحروف لأنها سفلت في الحلق ، فكرهوا أن يتناولوا حركة ما قبلها، بحركة ما ارتفع من الحروف ، فجعلوا حركتها من الحرف الذي في حيزها ، وهو الألف ."[20]

يختلف الدرس اللغوي الحديث مع سيبويه في تصنيفه لأصوات الحلق ، إذ يرى علماء اللغة المحدثون أن الأصوات الحلقية هي العين والحاء ، وأن الهمزة والهاء صوتان حنجريّان ، وصنّفوا صوت الغين والخاء والكاف من الأصوات الطبقية ، على حين جعل سيبويه الغين والخاء من أصوات الحلق .

ومن ثمّ نرى أن سبب ميْل الأصوات الحنجرية والحلقية والطبقية إلى الفتح ، هو أنّ صوت الفتحة متسع بخلاف الضمة والكسرة ، فهما صوتان ضيقان، "فعند نطق صوت الفتحة يكون اللسان مستوياً في قاع الفم ، مع انحراف قليل في أقصاه نحو أقصى الحنك ، وتركت الهواء ينطلق من الرئتين، "ويهز الأوتار الصوتية وهو مارّ بها"[21] . إذن ميل أصوات الحلق

---

[19] انظر: السيوطي، جلال الدين، المزهر في علوم اللغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرين، القاهرة، د.ت.، ج1، ص222-223.

[20] انظر: سيبويه، الكتاب ، ج4، ص 101 .

[21] يقصد بكلمة الأوتار الصوتية " الوترين الصوتيين". انظر: عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، ص92 .

إلى الفتح سببه أن الفتح أسهل من الضم والكسر في النطق ، واللغة تميل إلى السهولة وتفرّ من الثقل .

يقول اللغوي الأمريكي "ويتنى" Whitney "كلُّ ما نكتشفه من تطور في اللغة ليس إلا أمثلة لنزعة اللغات إلى توفير المجهود الذي يُبذل في النطق ."[22] ومن ثمّ فالمماثلة اقتصاد للمجهود العضلي في النطق ، والهدف من المماثلة حدوث انسجام بين الأصوات ، سواء أكانت صامتة أم صائتة ، ونلحظ هذا في أن اللغة تستثقل أن يتتابع في النطق ضمة وكسرة أو العكس ، والسبب في ذلك أنهما أثقل الحركات ، فتحدث المماثلة أحياناً بالانتقال من الكسر إلى الضم في أول الكلمة عندما يكون الحرف الثالث مضموماً ، وهذا من أجل الانسجام الصوتي بين الحركات ؛ لأنّ اللغة تكره الانتقال من كسر إلى ضم ، يقول ابن يعيش : "فتقول : اضرِبْ ، اُخرُج ، اِعلَم ، وهذه الهمزة مكسورة لالتقاء الساكنين ، إلا أن يكون الثالث مضموماً ، فإنك تضمها اتباعاً ، كراهية الخروج من كسر إلى ضم ."[23]

ويقول الزجاج : "فإذا ابتدأت قلت : "اُسْجُدوا" فضممتَ الألفَ ، والألفُ لاحظٌ لها في الحركة . وإنما أدخلت للساكن الذي بعدها ؛ لأنه لا يُبتدأ بساكن ، فكان حقّها الكسر ؛ لأن بعدها ساكناً وهو حرف السين ، وتقديرها السكون ، فيجب أن تكسر لالتقاء الساكنين ، ولكنّها ضُمُت لاستثقال الضمة بعد الكسر . وإنما كرهت الضمة بعد الكسرة ؛ لأنها لا تقع في كلام العرب ؛ لثقلها بعدها ."[24] وهكذا تكره اللغة الانتقال من الكسر إلى الضم بسبب الثقل .

وتلك هي الأمثلة التي ورد فيها مصطلح الكراهة أو القبح مقروناً بالمماثلة الصوتية ؛ علّها تكشف سبب كراهية اللغة وأبنائها لبعض الأصوات المتجاورة .

---

[22] انظر : أنيس، الأصوات اللغوية، ص ٢٣٦ .

[23] انظر : ابن يعيش، موفق الدين، شرح المفصل، مكتبة المتنبي، القاهرة، د.ت.،ج ٧ ، ص ٥٨ ، ج٩، ص ١١٤.

[24] انظر : الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتاب، بيروت، ١٩٨٨، ج١، ص ١١٣ .

ثانيا : المخالفة Dissimilation

تسير المخالفة الصوتية في اتجاه عكس المماثلة ، فهما يتجاذبان اللغة ، ويُعرِّف الدكتور إبراهيم أنيس المخالفة فيقول: "هي أن الكلمة قد تشتمل على صوتين متماثلين كل المماثلة ، فيقلب أحدهما إلى صوت آخر؛ لتتمَّ المخالفة بين الصوتين المتماثلين.[٢٥] "

وقد شاع بين القدماء العبارات الآتية (كراهية اجتماع المثلين – وكراهية التضعيف – وكراهية اجتماع حرفين من جنس واحد – وكراهية اجتماع الأمثال) [٢٦]، ولا شك أن شيوع مصطلح الكراهة عند العلماء العرب القدامى في ظاهرة المخالفة كثير إذا ما قورن بالمماثلة الصوتية ، وسبب حدوث المخالفة "أنَّ الصوتين المتماثلين يحتاجان إلى مجهود عضلي للنطق بهما في كلمة واحدة ، ولتيسير هذا المجهود العضلي يُقلب أحد الصوتين إلى تلك الأصوات التي لا تستلزم مجهوداً عضلياً ، كأصوات اللين وأشباهها . [٢٧] " ويقول ابن دريد في الجمهرة : "اعلم أنَّ الحروف إذا تقاربت مخارجها كانت أثقل على اللسان منها إذا تباعدت ، لأنك إذا استعملت اللسان في حروف الحلق دون حروف الفم، ودون حروف الذّلاقة ، كلّفته جرساً واحداً، وحركات مختلفة . "[٢٨] وتحدث عملية المخالفة بأن يتحول أحد الصوتين المتماثلين غالباً إلى صوت من أصوات العلة الطويلة أو الأصوات المائعة (اللام والميم والنون والراء) . وذلك لأنَّ الصوتين المتماثلين فيهما ثقل على اللسان في النطق ، كما فيهما مجهود عضلى صوتى ، فتنتقل الأصوات من المماثلة إلى المخالفة .

أنواع المخالفات الصوتية:

تتمُّ المخالفة الصوتية بطرق ثلاث : الإبدال ، أو الفَصل، أو الحذف ، وفيما يلي نفصّل هذه الطرق بالأمثلة :

---

[٢٥] انظر: أنيس، الأصوات، ص ٢١١ .

[٢٦] انظر: سيبويه، الكتاب، ج٢، ص ٤٠١؛ ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، القاهرة، ١٩٥٦، ج٢، ص ٩٠؛ الفراء، معاني القرآن، تحقيق عبد الفتاح إسماعيل شلبي وعلي النجدي، بيروت، د.ت.، ج٣، ص١٦٧ .

[٢٧] انظر: أنيس، الأصوات، ص ٢١٢ .

[٢٨] انظر: ابن دريد، جمهرة اللغة، تحقيق كرنكو، حيدر أباد الدكن، الهند، ١٣٥١هـ، ج٣، ص٢٧٠؛ السيوطي، المزهر، ج١، ص ١٩١..

فمثال طريقة الإبدال في اللغة العربية كلمة " دينار " بدلاً من " دنّار " ، فنجد أن النون المشددة عبارة عن صوتين متماثلين ، تحول أحدهما إلى صوت الياء الطويلة ، يقول ابن جنّي موضحاً هذه الحالة : " اعلم أنّ هذا موضع يُدفع ظاهره إلى أن يعرف غوره وحقيقته . وذلك أنّه أمر يعرض للأمثال إذا ثقلت لتكريرها ، فيترك الحرف إلى ما هو أثقل منه ليختلف اللفظان، فيخفّان على اللسان ، وذلك نحو "الحيوان" ألا ترى أنه عند الجماعة – إلا أبا عثمان – من مضاعف الياء ، وأنّ أصله "حييان" ، فلمّا ثقل عدلوا عن الياء ، لكنّه لمّا اختلف الحرفان ساغ ذلك . وإذا كان اتفاق الحروف الصحاح القوية الناهضة يُكره عندهم حتى أبدلوا أحدها ياء ، نحو : دينار ، وقيراط ، وديماس ، وديباج ، فيمن قال : دماميس ، ودبابيج ، كان اجتماعُ حرفَي العلة مثلين أثقل عليهم . نعم ، وإذا كانوا قد أبدلوا الياء واواً كراهية لالتقاء المثلين في "الحيوان"، فإبدالهم الواو ياء لذلك أولى بالجواز وأحرى . "[٢٩]

وواضح من كلام ابن جني أن اللغة تفرُّ من الثقل في النطق إلى السهولة وذلك بأن تحوّل أحد الصوتين المتماثلين إلى صوت له شيوع في اللغة بسبب سهولته على اللسان مثل أصوات العلة واللين . ويرى ابن جنّي أن توالي الأمثال في حروف العلة أثقل على اللسان من الحروف الصحيحة ، ويؤكد أن اجتماع الأمثال مكروه ، وعلّة الكراهة الثقل على اللسان .

ومن الأمثلة التي ذكرها ابن جنّي أيضاً في المخالفة الصوتية ، قوله : "تظنّيْتُ" أصلها : "تظنّنْتُ" ، فقلبت النون الثالثة ياء ، كراهية التضعيف . "[٣٠]

وقد حكى الرضي عن سيبويه المخالفة الصوتية بطريق الإبدال عن بعض العرب ، شارحاً التغيرات الصوتية التي حدثت "استخذ فلان أرضاً ، بمعنى : اتَّخَذَ ، قال : ويجوز أن يكون أصله استَتْخَذَ من تَخِذَ يَتْخَذُ تَخْذاً ، فحذفت التاء الثانية ، كما قيل في استاع : إنّه حذف الطاء ؛ وذلك لأنّ التكرير من الثاني ، قال : ويجوز أن يكون السين بدلاً من تاء اتَّخَذَ الأولى ، لكونهما مهموستين"[٣١] .

---

[٢٩] انظر: ابن جني، الخصائص، ج٣، ص ١٨ – ١٩ ؛ السيوطي، جلال الدين، الأشباه والنظائر في النحو، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١، ج١، ص ٢٦؛ الاستراباذي، شرح الشافية، ج٣، ص ٧٣.

[٣٠] انظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، القاهرة، د.ت.، ج٢، ص ٧٥٧ .

[٣١] انظر: الاستراباذي، شرح الشافية، ج٣، ص ٢٩٤ .

وجاء أيضاً في كتاب سيبويه أنّ : "الْطَجَعَ" في "اضطجَعَ" أبدلَ اللامَ مكانَ الضاد؛ كراهية التقاء المطبقتين ، فأبدل مكانها أقرب الحروف منها في المخرج والانحراف ." [32] ، وحدوث المخالفة في هذا المثال كما فسَّرَها سيبويه أن اللغة تكره توالى صوتين مطبقين أحياناً، فأبـدلت اللام مكان الضاد ، وصوت اللام من الأصوات ذات الشيوع في اللغة لسهولتها علـى اللـسان "الإنسان في نطقه يميل إلى تلمس الأصوات السهلة التي لا تحتاج إلى جهد عضلي ، فيبدِّل مع الأيام بأصوات لغته الصعبة نظائرها السهلة ." [33] . وواضح من كلام سيبويه أن اللغة تكـره توالى صوتين مطبقين ، فالضاد والطاء من الأصوات الأسنانية اللثوية ، هذا من ناحية المخرج، وأمّا من ناحية الصفة فهما مطبقان ، والإطباق : "ارتفاع مؤخرة اللسان في اتجاه الطبق ، بحيث لا يتصل به ، على حين يجرى النطق في مخرج آخر غير الطبق ، يغلـب أن يكـون طـرف اللسان أحد الأعضاء العاملة فيه . [34] " وبسبب المماثلة في المخرج والإطباق حدثت المخالفـة الصوتية .

وتروى كتب اللغة والنحو مثالاً عن الخليل بن أحمد الفراهيدى في ظاهرة المخالفة "ولكنهم استقبحوا أنْ يكرروا لفظاً واحداً ، فيقولوا : "ماما" ، فأبـدلوا الهـاء مـن الألـف التـي فـي الأولى".[35]وواضح من هذا المثال أنّ اللغة تكره توالى مقطع صوتي واحد طويل فـي كلمـة واحدة ، ومن هنا حدثت المخالفة الصوتية ، فتحول صوت الألف إلى هاء .

ومن أمثلة المخالفة الصوتية لعلّة كراهية اجتماع صوتين متماثلين كلمـة "قَـوُول" التـي صارت "قؤول" ، يقول سيبويه : "كما يكرهون الواوين فيهمزون ، نحو "قؤول" و "مؤونة" ، وأمّا الذين لم يهمزوا فإنهم تركوا الحرف على أصله ، كما يقولون : "قَوُول" فلا يهمزون ." [36] وذلك بسبب الثقل في النطق على اللسان ، واللغة تميل إلى السهولة والتيسير .

---

[32] انظر: سيبويه، الكتاب، ج٤، ص ٤٨٣ ؛ ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج١، ص ٣٢١ .
[33] انظر: أنيس، الأصوات، ص ٢٤٣ .
[34] حسان، تمام، مناهج البحث في اللغة، الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٠، ص ٨٩ .
[35] انظر: سيبويه، الكتاب ، ج٣، ص٦٠؛ ابن يعيش، شرح المفـصل، ج٧، ص ٤٤٣؛ الـسيوطي، الأشـباه والنظائر، ج١، ص٢٦ .
[36] انظر: سيبويه، الكتاب، ج٤، ص ٣٣١ .

وكما هو واضح من كلام سيبويه نلحظ أن اللغة تفرُ من تكرار صوتين متماثلين بإبدال أحدهما بصوت آخر غالباً ما يكون من أصوات العلة واللين ، ولكن في هذا المثال يتحول الصوت الأول إلى همزة ، ونلحظ أن اللغة تخلصت من صوتين ثقيلين وهما الواو الطويلة التي تُعد من أثقل الحركات الصوتية في اللغة العربية ،ومخرج صوت الواو يتضح " حين نصعد أثناء التصويت بمؤخر اللسان في اتجاه الحنك اللين إلى أقصى نقطة لا ينبغي تجاوزها في المنطقة الخلفية حتى لا يعترض اللسان مسار الهواء ، فستكون الحركة الناتجة هي أقصى حركة ممكنة في الجهة الخلفية العلوية ، ويرمز لها بالرمز (u) . وبالنظر إلى أنّ هذه الحركة هي أكثر الحركات الخلفية ضيقا اصطلح على تسميتها الحركة الخلفية الضيقة ."[٣٧] وتكرار المتماثلين في كلمة واحدة ، إلى صوت واحد ، وهو صوت الهمزة . ويجوز أن تكون رواية "قوول" لهجة أهل الحجاز ، و"قؤول" لهجة بنى تميم ، وكما هو معروف فإن لهجة الحجاز لا تهمز ، بينما لهجة تميم تهمز . كما يحتمل أن تكون لهجة بنى تميم هي الأقدم والأصل ، فهم بدو ، حافظوا على كلمة "قوول" بالهمز ، ثمُ تغيرت الكلمة على لسان أهل الحجاز وهم حضر يستثقلون الهمز ، فتخلصوا منها، فنطقوا الكلمة "قؤُول" وهذا النطق أحدث من نطق بنى تميم .

ومن أمثلة الإبدال لكراهة توالى الأمثال ما حدث في كلمة "أشياء" يقول سيبويه : "وكان أصل "أشياء" "شيئاء" فكرهوا منها مع الهمزة مثل ما كُره من الواو .. ولكنهم قلبوا الهمزة قبل الشين ." [٣٨] ومن خلال كلام سيبويه يتضح أن التخلص من توالى الأمثال هنا بطريق القلب المكاني، فانتقلت الهمزة الأولى في "شيئاء" إلى أول الكلمة ، أي قبل حرف الشين ، فصارت "أشياء" .

ولكن د. رمضان عبد التواب له تفسير آخر في كلمة "أشياء" فيقول: "ولعلَّ المسئول عن منع كلمة "أشياء" من الصرف ، وقوعها في القرآن الكريم في سياق تتوالى فيه الأمثال ، لو صرفت ، في قوله تعالى "لا تسألوا عن أشياء إنْ تُبْدَ لكم تسؤكم. "[٣٩] ؛ إذ لو صرفت لقيل : "عنْ أشياءٍ إنْ" ولا يخفي ما فيه من تكرار المقطع "إنْ" . "[٤٠] فتنطق " عن أشيائن إن " .

---

[٣٧] انظر : مصلوح ، دراسة السمع والكلام ص ٢٠٥.

[٣٨] انظر : سيبويه، الكتاب، ج٤، ص ٣٨٠ .

[٣٩] سورة المائدة ٥ / ١٠١ .

[٤٠] انظر : عبد التواب، التطور اللغوي، ص ٧٤ – ٧٥ .

واللغة العربية تكره الجمع بين الساكنين في وسط الكلمة ، فتتخلص من ذلك بإبدال أحدهما إلى صوت الهمزة ، يقول ابن يعيش : "اعلم أنَّ من العرب من يكره اجتماع الساكنين على كل حال ، وإنْ كانا على الشرط الذي يجوز فيه الجمع بين ساكنين ، من نحو : "دابّة" ، و "شابّة" ، فيحرك الألف ؛ لالتقاء الساكنين ، فتقلب همزة؛ لأنَّ الألف حرف ضعيف واسع المخرج لا يحتمل الحركة ، فإذا اضطروا إلى تحريكه قلبوه إلى أقرب الحروف إليه ، وهو الهمزة ، والهمزة حرف جَلْد يقبل الحركة، فمن ذلك ما يُحكى عن أيوب السختياني من أنَّه قرأ " ولا الضَّألّين"[41] فهمز الألف وفتحها؛ لأنه كره اجتماع الساكنين ؛ الألف واللام الأولى ."[42] وفيما يلي نحاول تحليل القراءتين صوتيا عن طريق المقاطع الصوتية ، فثمَّة علاقة وشيجة بين التنفس والكلام ، فلا يحدث الكلام من دون ضغط الهواء فيما تحت الحنجرة في أثناء عملية الزفير التي يتمّ معها النطق .

ففي قراءة الجمهور " ولا الضّالّين " يمكن أن نتأمّل مقاطع هذه العبارة على النحو الآتي :

وَ = واو + فتحة (ص ح) .

لاضْ = لام + ألف مدّ + ضاد ساكنه (ص ح ح ص) .

ضالْ = ضاد + ألف مدّ + لام ساكنة (ص ح ح ص) .

لين = لام + ياء مدّ + نون ساكنة (ص ح ح ص) .

وفي قراءة أيوب السختياني " ولا الضّألّين " نتأملها على النحو الآتي :

وَ = واو + فتحة + (ص ح) .

لاضْ = لام + ألف مدّ + ضاد ساكنة (ص ح ح ص) .

ضَ = ضاد + فتحة (ص ح) .

ألْ = همزة + فتحة + لام ساكنة (ص ح ص) .

---

[41] سورة الفاتحة ١/٧ . وانظر: ابو حيان الأندلسي، البحر المحيط، مطبعة السعادة، القاهرة، د.ت.، ج١، ص ٢٩. وانظر أيضا: الخطيب، معجم القراءات، ج١، ص ٢٤.

[42] انظر: ابن يعيش، شرح المفصل، ج٩، ص ١٢٩ – ١٣٠ .

لين = لام + ياء مدّ + نون ساكنة (ص ح ح ص) .

وممّا سبق نلحظ أنّ قراءة أيوب السختياني تنتقل من المقطع الطويل بالمدّ والإسكان (ص ح ح ص) المتكرر ثلاث مرّات متتالية في قراءة الجمهور إلى تنوع المقاطع الصوتية ما بين مقطع قصير ومقطع متوسط مُقْفَل ومقطع طويل بالمدّ والإسكان . ومن ثمَّة تخلّصت اللغة العربية من تكرار المقطع (ص ح ح ص) ، كما يمكن القول : إنّ قراءة الجمهور فيها نوعان من الإشباع ؛ الأول بطريق الصائت الطويل ، والثاني بطريق تضعيف الصامت ، وفي ذلك مجهود في النطق بطول النَّفَس .

ولا شك أن ورود قراءة شاذة بهمز الألف في كلمة "الضألّين" يؤكد صحة ما ذهب إليه ابن يعيش ؛ لأن القراءات القرآنية مصدر أصيل للغة العربية ، ففيه صحة السند إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، [٤٣] ويجوز أن تكون قراءة أيوب السختياني صورة لإحدى اللهجات العربية القديمة التي تقلب الساكن الأول همزة إذا التقى ساكنان في وسط الكلمة .

ومن المخالفة الصوتية في اللغة العربية كذلك ما حدث للاسم الممدود عند التثنية، إذا كانت همزته للتأنيث ، نحو "حمراء" و "صفراء" فتقلب الهمزة واواً ، فتصير "حمراوان" "صفراوان" ، يقول الشلّوبين : وسببه اجتماع الأمثال ، فإنَّ هناك ألفين ، وبينهما همزة ، والهمزة قريبة من الألف ، قال : وكان قلبها واواً أولى من قلبها ياء ؛ لأنَّ الياء قريبة من الألف، والواو ليست في القرب إليها مثلها ، والجمع بين الأمثال مكروه عندهم . "[٤٤] .

وللباحث رأى مخالف لكلام ابن الشلّوبين ، فأولاً : إنَّ ما حدث في كلمة "حمراوان" ليست مخالفة صوتية كما ذهب الشلّوبين ، ولكنَّ الذي تمَّ هو من قبيل المماثلة الصوتية ، وثانياً : إنَّ صوت الياء ليس قريباً من الألف إذا ما قورن بصوت الواو ، "فليست الضمة عدّوة للكسرة ، كما يتردد في بعض كتب العربية ، بل هما من فصيلة واحدة ، وذلك على العكس من صوت الفتحة الذي يعد قسيماً للضمة والكسرة."[٤٥] . ويقول الدكتور سعد مصلوح : " ويلاحظ أنّ

---

[٤٣] أثارت القراءات الشاذة جدلا واسعا حول شروطها وضوابطها بين علماء القراءات، مثل ابن شنبوذ وابن مقسم ومكي وغيرهم. انظر: ابن الجزري، النشر، ج١، ص ١٤.

[٤٤] انظر: السيوطي، الأشباه والنظائر، ج١، ص٢٦ – ٢٧ .

[٤٥] عبد التواب، المدخل، ص ٩٤ .

الفروق الكمية بين الفتحة القصيرة والفتحة الطويلة ليست على مثل هذه الدرجة من الوضوح . لذا يمكن أن يقال : إنّ الكم هو المميز الأساسي بين الفتحة القصيرة والفتحة الطويلة ، على حين يشترك الكم والكيف في تمييز الضمة القصيرة والضمة الطويلة ، وتمييز الكسرة القصيرة والكسرة الطويلة "[٤٦] وثالثاً : يرى د. عبد الرحمن أيوب[٤٧] و د. رمضان عبد التواب[٤٨] أن صوت الهمزة مهموس، وأن صوت الألف والواو والياء مجهور، حيث يخرج الهواء عند النطق بهذه الأصوات في مجرى مُستمر خلال الحلق والفم ، ومن ثمّ فإن صامت الهمزة وقع بين صائتين طويلين مجهورين، ويحتاج اللسان في نطقهما إلى أن يتحرك دون أن يشكل تحركه اعتراضا في طريق تيار الهواء فتأثر بهما، فتحول صامت الهمزة الحنجري المهموس إلى صوت انزلاقي مجهور وهو صائت الواو "وحين نصعد في أثناء التصويت بمؤخر اللسان في اتجاه الحنك اللين إلى أقصى نقطة لا ينبغي تجاوزها في المنطقة الخلفية حتى لا يعترض اللسان مسار الهواء، فستكون الحركة الناتجة هي أقصى حركة ممكنة في الجهة الخلفية العلوية ويرمز لها بالرمز (U) . وبالنظر إلى هذه الحركة-هي أكثر الحركات الخلفية ضيقا اصطلح على تسميتها الحركة الخلفية الضيقة وهي شبيهة بحركة الضمة-بقطع النظر عن الطول- في الكلمة العربية "سواء".[٤٩]

ومن أمثلة المخالفة الصوتية بطريق الفَصْل وجوب إظهار "أن" بعد لام التعليل ، إذا دخلت على "لا" ، وذلك كراهية توالى الأمثال ، يقول السيوطي : "وجوب إظهار "أن" بعد لام كي ، إذا دخلت على "لا" نحو : لئلا يعلم ، حذراً من توالى مثلين ، لو قيل: للايعلم"[٥٠]

ولا شك أن القدماء فطنوا إلى زيادة فاصل بين الصوتين المتماثلين وهذا الفاصل قد يكون ألفاً ، نحو : "آأنت" ، و "اخشينان" ، ويمكن القول إن صوت الألف إذا سُبق بفتحة ، فليس بصامت ولكنه صائت طويل ، والقدماء لم يتنبهوا إلى هذه الفكرة ، وقد نسب سيبويه وغيره من

---

[٤٦] انظر : مصلوح ، دراسة السمع والكلام ص ٢٠٩ ــ ٢١٠.

[٤٧] أيوب، عبد الرحمن، أصوات اللغة، مكتبة الشباب، القاهرة، د.ت.، ص ١٨٣ .

[٤٨] عبد التواب، المدخل، ص ٥٧ .

[٤٩] مصلوح، سعد عبد العزيز، دراسة السمع والكلام صوتيات اللغة من الإنتاج إلى الإدراك، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ٢٠٥.

[٥٠] انظر: السيوطي، الأشباه والنظائر، ج١، ص ٢٨ .

القدماء زيادة ألف بعد همزة الاستفهام في "آأنت" إلى بني تميم؛ لأنهم اشتهروا بالهمز ، وأمّا أهل الحجاز فهم يخففون الهمزة ، يقول ابن يعيش : "وأمّا أهل الحجاز فيخففون الهمزتين معاً ؛ لأنّه لو لم تكن إلا واحدة لخففت ، قال سيبويه : ومن العرب ناس يدخلون بين ألف الاستفهام وبين الهمزة ألفاً ، وذلك لأنهم كرهوا التقاء الهمزتين ، ففصلوا بينهما بألف ، كما قالوا : "اخشينانّ" ، ففصلوا بألف بين النونات كراهية التقاء هذه الحروف المضاعفة ، فأمّا قول الشاعر :

فيا ظبيةَ الوَعْساءِ بَيْنَ جُلاجِلٍ وبَيْنَ النُّقا آأنت أمْ أمُّ سالمِ

البيت لذي الرُّمّة ، والشاهد فيه : إدخال الألف بين الهمزتين من قوله : "آأنت" كراهية اجتماع الهمزتين ، كما دخلت بين النونات في قولهم : "اضربنانّ" كراهية اجتماعهما"[51]
وواضح من كلام ابن يعيش أنّ اللغة العربية تكره اجتماع المثلين ، فتتخلص من ذلك بزيادة ألف فاصلة بين الهمزتين أو بين النونين ، وكما ذكرت آنفاً أنّ الألف هنا عبارة عن مطل حركة الصوت الأول . وأمّا في كلمه "اخشينانّ" فنلحظ ثلاث نونات ، وقعت الألف بعد النون الأولى التي هي نون النسوة ، لمطل حركة هذه النون، من أجل الفصل بينها وبين نون التوكيد الثقيلة ، وكذلك مثال "اضربنانّ" .ويمكن تفسير هذه الكلمات (اخشينانّ ــ اضربنانّ ــ تتبعانّ) تفسيرا صوتيا باستخدام المقاطع الصوتية ، فكلمة " اخشينانّ " نتأمّلها على النحو الآتي :

إخْ = همزة وصل + كسرة + خاء ساكنة (ص ح ص) .

شَيْ = شين + فتحة + ياء ساكنة (ص ح ص) .

نان = نون + ألف مدّ + نون ساكنة (ص ح ح ص) .

نِ = نون + كسرة (ص ح) .

ونلحظ ممّا سبق أنّ وقوع ألف المدّ بعد نون النسوة وقبل نون التوكيد يمكن تفسير ذلك صوتيا ؛ فاللغة العربية تميل أحيانا إلى تكرار إشباعين متتاليين من نوعين مختلفين ، فالأول يكون بطريق الحركة الطويلة ، والثاني بطريق تضعيف الصامت ، وهذان النوعان من الإشباع نراهما في كلمة " اخشينانّ " و " اضربنانّ " و " تتبعانّ " . كما أن النبر يقع على المقطع الأخير من الكلمة إذا كان هذا المقطع (ص ح ح ص) أو (ص ح ص ص) وفي

---

[51] انظر: ابن يعيش، شرح المفصل، ج9، ص 119 .

الأمثلة السالفة الذّكر نجد انتهاء الكلمة بالمقطع (ص ح ح ص) ؛ ومن ثمّ يقع النبر هنا على المقطع (ص ح ح ص) ، وأشير إلى سبب آخر يوضح علّة إضافة ألف المدّ بعد نون النسوة وقبل نون التوكيد ، وهو أن الإشباع في اللغة العربية يؤدّي إلى قوة الإسماع في العربية ، فضلا عن الطابع الإنشادي في الأدب العربي ، ولاعتماد العرب في نقل اللغة على المشافهة .

ذكرت من قبل طريقتين من طرق المخالفة الصوتية ، للتخلص من توالى الأمثال ، والآن أعرض الطريقة الثالثة ، وهى المخالفة الصوتية بطريق الحذف .

تتجه اللغة العربية إلى الفرار من توالى الأمثال ، عن طريق الحذف ، وهذا نراه جلياً في الفعل المضارع المؤكد بالنون ، عند إسناده لضمائر الرفع المتصلة ، نحو قوله عز وجل "ولا تتّبِعانِّ سبيل الذين لا يعلمون"[٥٢] ، فأصل الكلمة "تتّبعانِنّ" ، فاجتمع فيها ثلاث نونات ، وفي هذا ثقل على اللسان في النطق ، لذا حُذفت النون الأولى التي هي نون الرفع ، فصارت "تتبعانّ"[٥٣]. وغير خاف على كلّ ذى لُبّ أن تكرار ثلاث نونات في كلمة واحدة ، فيه ثقل على اللسان ، واللغة تكره توالى الأمثال ، فتتخلص منه بحذف النون الأولى التي هي نون الرفع في هذا المثال الذي شرحه ابن عقيل .

ومن أمثلة المخالفة الصوتية بطريق الحذف ، لكراهة توالى الأمثال في اللغة العربية ، يقول الزمخشري : "وقد عدلوا في بعض ملاقى المِثْلَيْن أو المتقاربَيْن ؛ لإعواز الإدغام ، إلى الحذف ، فقالوا في "ظللت" ، و "مسست" ، و "أحسست" ، : ظَلْتُ، ومسْتُ ، وأحسْتُ"[٥٤] ويعلق ابن يعيش على كلام الزمخشري ، فيرى أنّ النحاة لم يوفقوا في وضعهم كراهة اجتماع المتجانسين في باب الإدغام ؛ لأنه ليس منه ، ولكنّه ضَرْب من الحذف في الكلمة للتخفيف على اللسان في النطق ، "اعلم أنّ النحويين قد نظموا هذا النوع من التغيير في سلك الإدغام ، وسمّوه به ، وإنْ لم يكن فيه إدغام ، إنّما هو ضَرْب من الإعلال ؛ للتخفيف ؛ كراهة اجتماع المتجانسين

---

[٥٢] سورة يونس ١٠ / ٨٩ .

[٥٣] انظر : ابن عقيل، شرح ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، ١٩٩٨، ج١، ص ٣٩ .

[٥٤] انظر : الزمخشري، المفصل، ص ٣٧٠؛ ابن يعيش، شرح المفصل، ج١٠، ص ١٥٣؛ ابن الشجري، الأمالي، تحقيق محمود الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٢، ج١، ص ٩٧؛ السيوطي، الأشباه والنظائر، ج١، ص ٢٧ .

كالإدغام ، وذلك قولهم : ظلْتُ ، ومسْتُ ، وأحسْتُ[٥٥] " والسبب في إدراج النحاة المخالفة الصوتية في باب الإدغام أن سيبويه في كتابه صنع هذا النظام ، ثمَّ تبعه من جاء بعده ، وقد فطن ابن يعيش إلى هذا ، فرأى أن من الصواب وضع هذا النوع من التغيير في باب خاص به، وتعالج فيه كلُّ الظواهر اللغوية التي تنضوي تحته ، حيث إنَّ أمثلة هذا النوع متناثرة في أبواب النحو العربي .

ومن الحذف في المخالفة الصوتية لكراهة توالي الأمثال قولهم : "واعلم أنَّه ليس يحسن لـ "أنْ" أنْ تلي "إنَّ" ، ولا "أنَّ" كما قبح ابتداؤك الثقيلة المفتوحة .. واعلم أنَّه ليس يحسن أنْ تلي "إنَّ" "أنَّ" ، ولا "أنَّ" "إنَّ" .."[٥٦] والسبب في الكراهة هنا أنَّ تكرار مقطع صوتي واحد وهو "أنَّ" و "إنَّ" فهذه الأداة تتكون من :" أنْ "= همزة + فتحة + نون ساكنة (ص ح ص) . " نَ" = نون + فتحة (ص ح) وفي تكرار هذا المقطع ثقل على اللسان في النطق ، واللغة تميل إلى الاقتصاد في المجهود العضلي .

وقمين بالذكر أنَّ سيبويه أكثَرَ من الأمثلة المتنوعة في ظاهرة المخالفة الصوتية، ويعلل ذلك باستثقال توالي الأمثال ، وأحياناً تتمُّ عملية المخالفة الصوتية على مراحل ، فعندما يجتمع في كلمة أربع ياءات ، فإنهم يحذفون الياء الأولى الزائدة ، ثمَّ يبدلون الياء الثانية واواً ، ثمَّ يضيفون ياء النسب المشددة ، نحو "عَدِيّ" عند النسب إليها تصبح "عَدَوِيّ" ، يقول سيبويه : "وذلك قولك في "عَدِيّ" : "عَدَوِيّ" وفي "غَنِيّ" : "غَنَوِيّ" ، وفي "قُصَيّ" : "قُصَوِيّ" ، وفي "أُمَيَّة": "أُمَوِيّ" . وذلك أنهم كرهوا أن توالى في الاسم أربع ياءات ، فحذفوا الياء الزائدة التي حذفوها من "سُلَيْم" ، و "ثَقيف" ؛ حيث استثقلوا هذه الياءات ، فأبدلوا الواو من الياء التي تكون منقوصة ؛ لأنك إذا حذفت الزائدة فإنما تبقى التي تصير ألفاً ."[٥٧] ، ويعلِّل كارل بروكلمان على توالي مقطعين متماثلين في الكلمة أنَّه "إذا توالى مقطعان أصواتهما الصامتة متماثلة أو متشابهة جداً، الواحد بعد الآخر في أول الكلمة فإنه يكتفي بواحد منهما ؛ بسبب الارتباط الذهني بينهما[٥٨] " .

---

[٥٥] انظر : ابن يعيش، شرح المفصل، ج١٠، ص ١٥٣ .

[٥٦] انظر : سيبويه، الكتاب، ج٣، ص ١٢٤ ؛ ابن يعيش، شرح المفصل، ج٧، ص ١٥ .

[٥٧] انظر : سيبويه، الكتاب، ج٤، ص ٣٤٤ .

[٥٨] انظر بروكلمان، كارل، فقه اللغات السامية، ترجمة رمضان عبد التواب، الرياض، ١٩٧٧، ص ٧٩ .

ولقد فطن القدامى من أمثال ابن جنى وابن يعيش إلى أن كلمة "أكــرمُ" أصــلها "أأكــرم" فحذفوا الهمزة كراهية اجتماع همزتين في الفعل ، فينتج عن ذلك ثقيلان : الأول : ثقل صــوت الهمزة ، والثاني : ثقل توالي الأمثال ، يقول ابن جنّي : "قولهم أنا أكرمُ ، حذفوا الهمــزة التــي كانت في "أكْرَمَ" ؛ لئلا يلتقي همزتان ، لأنه كان يلزم ، أنا أؤكرم ، فحذفوا الثانيــة ، كراهــة اجتماع همزتين ، ثمَّ قالوا : نكرم ، وتكرم ، ويكرم ، فحذفوا الهمزة ، وإن كان لو جاءوا بها ، لما اجتمع همزتان ، ولكنهم أرادوا المماثلة ، وكرهوا أنْ يختلف المضارع ، فيكون مرة بهمزة، وأخرى بغير همزة ، محافظة على التجنيس في كلامهم ." [٥٩]

ممّا سبق ذكره ، نجد أن المخالفة الصوتية بطريق الحذف ، قد تحدث في أول الكلمــة ، مثل "أأكرم" ، أو في وسط الكلمة مثل "ظلْت" ، أو في آخر الكلمة مثل "تتبعانّ"، وهذه المخالفــة كانت في الأصوات الصامتة ، وقد تحدث المخالفة الصوتية فــي الأصــوات الــصائتة ، بــين الصوائت القصيرة والطويلة ، ومن أمثلة حذف الصائت يقول الشلَوْبين في "شرح الجزوليــة : "إنّما قدّرت الضمة في : جاء القاضي ، وزيد يرمِي ، ويغزو ، والكسرة في : مررتُ بالقاضي؛ لثقلهما في أنفسهما ، وانضاف إلى ثقلهما اجتماع الأمثال ، وهم يستثقلون اجتماع الأمثال ، قال : والأمثال التي اجتمعت هنا هي الحركة التي في الياء ، والواو والحركة التي قبلهمــا ، واليــاء والواو مضارعتان للحركات ؛ لأنهما من جنسها ، ألا ترى أنهما ينشآن عن إشباع الحركــات، فلما اجتمعت الأمثال خففوا، بأن أسقطوا الحركة المستثقلة . قال : ويدل على صحة هذه العلّــة أنهم إذا سكّنوا ما قبل الواو والياء في نحو : غَزْو وظَبْي ، لم يستثقلوا الضمة ؛ لأنَّه قــد قلَّــت الأمثال هناك ، لكون ما قبل الواو والياء ساكناً لا متحركاً ، فاحتملوا ما بقي من الثقل لقلّته ."[٦٠]

وكلام الشلَوْبين لنا ملاحظ عليه ، فقد عدَّ في الياء في كلمة "القاضي" فيها حركة قــصيرة بالكسرة ، وكذلك الواو في كلمة "يغزو" فيها حركة قصيرة بالضمة ، وهذا الكلام لا يوافق مــا وصل إليه الدرس اللغوي الحديث ، فالياء والواو في هاتين الكلمتين هما حركتان طويلتان ، كما أنه لم يفرق بين الواو عندما تكون صامتاً ، وبين الواو عندما تكون صائتاً طويلاً ، وذلك فــي

---

[٥٩] انظر: ابن جني، المنصف، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله آمين، القاهرة، د.ت.، ج١، ص ١٩٢؛ ابــن يعيش، شرح المفصل، ج٧، ص ٥٩ .

[٦٠] انظر: السيوطي، الأشباه والنظائر، ج١، ص ٢٨ – ٢٩ .

كلمة "ظَبْي" و "غَزْو" ، فالياء والواو هنا صامتان، وبقى أن نقول : إن عدم وضع حركة قصيرة بالضمة أو الكسرة فوق " القاضي" أو "يغزو" أن الواو والياء ثقيلتان في النطق ، كما يصعب الانتقال من الكسر إلى الضم في "جاء القاضي" وكذلك يصعب إشباع الواو بالضم ، لأنها مشبعة، ومن ثمَّ فحذف الحركة القصيرة هنا للثقل في النطق على اللسان ، واللغة تكره الثقل في النطق.وإذا نظرنا إلى صوت الياء في" ظَبْي" والواو في " غَزْو " من حيث طبيعتهما النطقية الفوناتيكية فهما نصفا صائت ، ولمّا إذا نظرنا إلى صوت الياء والواو في " ظَبْي " و " غَزْو" من حيث وظيفة الصوت الفونولوجية فهما صامتان ، مثل الإعلال والإبدال .

ومن المعروف أن اللغة العربية تكره توالى أربعة مقاطع قصيرة مفتوحة ، فالمقطع القصير المفتوح يتكون من صامت وصائت قصير ، فنجد الفعل الماضي الثلاثي المتصل بضمير الرفع المتحرك يحدث له تسكين في المقطع الثالث ، لئلا يتوالى أربعة مقاطع ، نحو "كَتَبْتُ" ، فالذي حدث هو حذف حركة الصامت الثالث من الكلمة بتسكينه ، فالسكون تعنى انعدام الحركة وحذفها ، وقد فطن العلماء العرب القدامى إلى أن اللغة العربية مفقود فيها توالى أربع متحركات ، لكراهية أن يتوالى فيها أكثر من ثلاث متحركات ، يقول ابن يعيش : "وذلك نحو : انطلق ، واقتدر ، واستخرج ، واشهابَّ ، واشهبَّ ، واغدودن ، واعلوّط ، فهذه الأبنية قد لزم أولها همزة وصل ، وذلك لسكون أولها ، وإنّما سكن كراهية أن يتوالى فيها أكثر من ثلاث متحركات ، ألا ترى أننا لو حركنا النون من "انطلق " ، والطاء واللام والقاف متحركات ، لتوالى فيها أربعة متحركات ، وذلك مفقود في كلامهم . وكذلك "افتعل" نحو "اقتدر" وسائرها محمول على ما ذكرنا ."[61] ومن ثمَّ نلحظ أن ما تكرهه اللغة العربية وينتج عنه المخالفة الصوتية بطريق الحذف ، يُعدُّ من خصائص هذه اللغة ، فهي تكره توالى أربع صوامت متحركة، كما تكره الابتداء بالساكن ، والمخالفة تتم بين الصوامت والصوائت أيضاً ، وهذه المخالفة غايتها السهولة والتيسير في النطق على اللسان .

ثالثاً : نظرية السهولة والتيسير

ترى هذه النظرية أنَّ اللغة تنحو إلى الاقتصاد في المجهود العضلي ، فتترك الأصوات العسيرة في النطق ، وتميل إلى الأصوات السهلة ، والدليل على صحة هذه النظرية أنَّ اللغة

---

(61) انظر: ابن يعيش، شرح المفصل، ج8، ص 119 .

العربية تميل إلى التخلص من صوت الهمزة الثقيل في النطق ، بتسهيله ، ولا شك أن لهجة أهل الحجاز عُرف عنها تسهيل الهمزة ، بينما أهل تميم يحققونها ، وأحياناً تكون الهمزة بين بين ، أي بينها وبين الحرف الذي منه حركتها ، وورد في القراءات القرآنية تحقيق الهمزة وتسهيلها في قوله تعالى : "إنّما نحن مستهزءون"[٦٢] فقراءة الجماعة بتحقيق الهمزة[٦٣] ، وقرأ يزيد بن القعقاع وحمزة والأخفش بتسهيلها[٦٤] ، وقرأ أبو جعفر بحذف الهمزة وضمّ ما قبلها من أجل الواو[٦٥]، فتنطق "مستهزون" أو "مستهزيون". ويقول أبو حيان الأندلسي : "وقرئ "مستهزءون" بتحقيق الهمزة ، وهو الأصل ، وبقلبها ياء مضمومة ؛ لانكسار ما قبلها ، ومنهم من يحذف الياء تشبيهاً بالياء الأصلية في نحو: يرمون، فيضم الراء ، ومذهب سيبويه – رحمه الله – في تحقيقها: أنْ تجعل بين بين . ومذهب أبي الحسن : أنْ تقلب ياء قلباً صحيحاً ، قال أبو الفتح : حال الياء المضمومة منكر ، كحال الهمزة المضمومة ، والعرب تعاف ياء مضمومة قبلها كسرة."[٦٦] ولعلماء اللغة والنحو القدامى ثلاثة مذاهب هنا : الأول : موقف سيبويه وهو جعل الهمزة بين بين ، والثاني : مذهب أبي الحسن الأخفش قلبها ياء ، والثالث : موقف الجمهور وهو التحقيق . كما نلحظ أن أبا حيان يؤكد على أن العرب يكرهون ياء مضمومة قبلها كسرة ؛ بسبب الثقل في النطق .

وواضح من كلام أبي حيان الأندلسي أن قراءة "مُستَهزِءون" ننتقل فيها من كسر صوت الزاي إلى ضم الهمزة ، والعرب يكرهون الانتقال من الكسر إلى الضم ، فتقلب الهمزة المضمومة إلى ياء ، لحدوث تجانس صوتي بين الياء وهي حركة طويلة ، وكسرة الزاي .

وقد تتخلص اللغة من الهمزة بحذفها ، وإلقاء حركتها على الحرف الصحيح الساكن قبلها ، نحو "الخَبْء" تصير "الخبَ" ، فالتخلص من الهمزة بالحذف تطبيق لنظرية السهولة والتيسير في اللغة ، لأن الهمزة صوت ثقيل في النطق ؛ "لأنه يتم بانحباس الهواء خلف الأوتار الصوتية ثمّ

---

[٦٢] سورة البقرة ٢ / ١١٤ .

[٦٣] انظر: أبو حيان، البحر، ج١، ص ٦٩ ؛ الزجاج، معاني القرآن، ج١، ص ٨٨ . وانظر أيضا: الخطيب، معجم القراءات، ج١، ص ٤٨ .

[٦٤] انظر: الزجاج، معاني القرآن، ج١، ص ٨٩ .

[٦٥] انظر: ابن الجزري، النشر، ج١، ص ٣٩٧؛ الدمياطي، البناء، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشرة، صححه وعلق عليه علي محمد الضباع، القاهرة، د.ت.، ص ١٢٩ .

[٦٦] انظر: أبو حيان، البحر، ج١، ص ١١٤ .

انفراج هذه الأوتار فجأة ."[67] ، ولم يجعلوا همزة "الخبء" بين بين لئلا يلتقي ساكنان ، واللغة تكـره التقاء الساكنين ، وورد في قراءة عكرمة ومالك بن دينار وابن مسعود "الخبا" بألف بدل الهمـزة فـي الوصل .[68]

وذكر ابن يعيش أن حذف الهمزة أبلغ في التخفيف ، "إذا كان قبل الهمزة المتحركة حرف صحيح ساكن ، نحو : يسأل ، ويجأر ، والمسألة ، والخبء ، والكمأة، والمَـرْأة ، والمِـرْآة ، فالطريق في تخفيفها أن تُلقى حركتها على ما قبلها وتحذفها ، وتقول في "مسألة" "مَسَلة" ، وفـي "الخَبْء" "الخَبَ" .. وذلك أنَّ الحذف أبلغ في التخفيف، وقد بقي من أعراضها ما يدل عليهـا ، وهو حركتها المنقولة إلى الساكن قبلها ، ولم يجعلوها بين بين ؛ لأنَّ في ذلك تقريباً لهـا مـن الساكن ، فكرهوا الجمع بين ساكنين."[69]

اشتهر عن القبائل العربية في النطق حالتان : الفتح ، وينسب لأهـل الحجـاز ، وقبائـل غربي الجزيرة العربية ، والإمالة تعزى إلى قبائل وسط وشرقي الجزيرة العربية ؛ ومـن ثـمَّ أشهر من روى عنهم الإمالة من القراء العشرة حمزة ت سـنة ١٥٦هـــ والكـسائي ت سـنة ١٨٩هـ وخلف ت سنة ٢٢٩هـ وهؤلاء القراء من الكوفة؛ أي تأثروا بقبائل وسـط وشـرقي الجزيرة العربية ، بينما اشتهر عن باقي القراء العشرة الفتح .

ومن الناحية الصوتية فإنَّ "اللسان مع الفتح يكاد يكون مستوياً في قاع الفم ، فإذا أخذ فـي الصعود نحو الحنك الأعلى بدأ حينئذ ذلك الوضع الذي يسمى بالإمالة ، وأقصى ما يصل إليـه أول اللسان في صعوده نحو الحنك الأعلى ، هو ذلك المقياس الذي يسمى عادة بالكسرة ؛ طويلة كانت أو قصيرة ."[70] .

---

[67] انظر: عبد التواب، التطور اللغوي، ص ٧٦ .

[68] أبو حيان، البحر، ج٧، ص ٦٩ . انظر أيضا: الخطيب، معجم القراءات، ج٦، ص ٥٠٧ .

[69] ابن يعيش، شرح المفصل، ج٩، ص ١٠٩.

[70] أنيس، إبراهيم، في اللهجات العربية، الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ت.، ص ٦٤ .

وتعريف الإمالة هي "أن تميل الفتحة إلى الكسرة ، والألف إلى الياء ."[٧١] ، ويرى الدكتور إبراهيم أنيس أن "إمالة الفتح إلى الكسر يجب في الحقيقة أن تعزى بصفة عامة إلى أحد عاملين : الأصل اليائي ، والانسجام بين أصوات اللين ."[٧٢]

ويبدو أن اختلاف النحاة القدامى في الأفعال المعتلة ؛ الأجوف ، والناقص ، واللفيف المقرون ، نتج عنه تباين الآراء حول جواز الإمالة في أشياء ومنعها في أشياء أخرى ، فما يراه سيبويه مكروهاً في الإمالة ، يراه ابن يعيش حسناً ، فضلاً عن اختلافهم في إمالة ما كان أصله واواً ، يقول سيبويه : "وكره بعض العرب إمالة نحو "رَمَى" ؛ لكراهة أن يصيروا إلى ما فروا منه ، يعنى أنهم قلبوا الياء ألفاً ، أولاً ، فلِمَ يقلبون الألف بعد ذلك ياء ؟ قلت : وينبغي على هذا أنْ يكرهوا إمالة نحو "باب" و "عاب" و "باع" و "هاب" ؛ لحصول العلّة المذكورة ."[٧٣] وهكذا نجد أن سبب كراهة الإمالة في كلمة "رمى" أنها قبل أن تتحول إلى ألف كانت ياء ، فلماذا نعود إلى الياء بعد أن فررنا منها؟

وأمّا ابن يعيش فإنه يرى أن إمالة "رمى" أمر حَسَن ، بينما نجده يجيز على قبح إمالة ما كان أصله واواً ، "الألف إذا كانت في آخر الكلمة ، فلا تخلو من أن تكون منقلبة عن واو أو ياء، فإن كانت منقلبة من ياء في اسم أو فعل فإمالتها حسنة ، وذلك قولك في الفعل "رمى" و"قضى" و "سعى" . وفي الاسم "فتى" و "رحى" ؛ لأن اللام هي التي يوقف عليها .

وإن كانت من الواو فإن كانت فعلاً جازت فيه الإمالة على قبح ، نحو قولك : "غزا" "دعا" "عدا" . "[٧٤] .

وللغويين المحدثين رأى يختلفون فيه مع النحاة القدامى ، ونجمله في النقاط الآتية :

<u>أولاً</u> : ما أجازه ابن يعيش على قبح من إمالة ما أصله واو ، لا يتفق مع الدرس اللغوي الحديث، وذلك لأن "الإمالة" في هذه الحالة كان حقها أن تكون من الفتح إلى الضم ، لا من الفتح إلى الكسر .[٧٥]

---

[٧١] الراجحي، عبده، اللهجات العربية في القراءات القرآنية، مكتبة المعارف، الرياض، ١٩٩٩، ص ١٤٤ .

[٧٢] أنيس، في اللهجات، ص ٦٨ .

[٧٣] انظر: الاستراباذي، شرح الشافية، ج٣، ص ١١ .

[٧٤] انظر: ابن يعيش، شرح المفصل، ج٩، ص ٥٧ .

ثانياً : ذكر سيبويه أنّ بعض العرب يكرهون إمالة "رمى" لئلا يصيروا إلى ما فرّوا منه ، إذن فسبب الكراهة هنا هو العودة إلى حالة أو مرحلة انتقلت منها اللغة ، ولكنّ الدكتور إبراهيم أنيس يرى "أن الأمر هنا ليس أمر مواضعة مقصودة متعمدة ، وإنّما هو عادة لكلّ قبيلة . فتلك التي تميل لا تستطيع غير الإمالة ، وتلك التي تفتح لا تطاوعها ألسنتها بغير الفتح . فالمسألة لا تعدو أن تكون عادة ككل العادات اللغوية يتوارثها الخلف عن السلف دون شعور بها[٧٦] . "

ثالثاً : اشتهر بين القراء العشرة من عُرف بالإمالة ، مثل حمزة ، والكسائي، وخلف ، كما أن أبا عمرو بن العلاء كان يميل "كلّ ألف في نهاية الكلمة ، منقلبة عن ياء ، سواء كانت الألف لام الكلمة ، أم كانت للتأنيث ، وسواء اتصل بالكلمة ضمير أم لا، فالتي هي لام الكلمة مثل: نرى ، يرى ، اشترى .."[٧٧] ومن أمثلة إمالة ما أصله ياء في القراءات "هدى للمتقين"[٧٨] قرأ بإمالة "هدى" في الوقف حمزة والكسائي وخلف والأعمش.[٧٩] .

رابعاً : هناك تطور صوتي حدث للفعل الأجوف والناقص واللفيف ، وهذا التطور تمّ على مراحل ، أولاها : أنها كانت: قَوَلَ ، بَيَعَ ، وخَوَفَ . وثانيتها: مرحلة التسكين، نحو : قَوْلَ، بَيْعَ ، خَوْفَ . وثالثتها: انكماش الأصوات المركبة ، وهي الواو والياء المسبوقتان بالفتحة فتتحول الواو المفتوح ما قبلها إلى ضمة طويلة ممالة، وتتحول الياء المفتوح ما قبلها إلى كسرة طويلة ممالة . وهذه المرحلة شائعة في لهجة تميم وباقي قبائل وسط وشرقي الجزيرة العربية ، وبها وردت كثير من القراءات بالإمالة. ورابعتها: وهي التحول من الإمالة إلى الفتح الخالص وهذا التطور هو الذي وصلت إليه اللغة العربية في نحو : قام ،

---

[٧٥] انظر: أنيس، في اللهجات، ص ٦٩ .

[٧٦] انظر: أنيس، في اللهجات، ص ٦٩.

[٧٧] انظر: شاهين، عبد الصبور، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، ابو عمرو بن العلاء، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٨، ص ١١٣ .

[٧٨] سورة البقرة ٢ / ٢ .

[٧٩] الدمياطي، الإتحاف، ص ١٢٦؛ ابن الجزري، النشر، ج٢، ص ٣٦. انظر أيضا: الخطيب، معجم القراءات، ج١، ص ٢٩ .

وباع ، وخاف وهذه المرحلة شائعة في لهجة أهل الحجاز وسائر قبائل غربي الجزيرة العربية.[٨٠]

خامساً: يقول د. إبراهيم أنيس : إنّ "انتقال الإمالة إلى الفتح ليس له ما يبرره سوى الاقتصاد في الجهد العضلي ، والميل إلى السهولة التي يلجأ إليها الإنسان في معظم ظواهره الاجتماعية ."[٨١] .

ومن مظاهر نظرية السهولة والتيسير في اللغة تسكين الحرف الثاني من الكلمة للتخفيف ، إذا كان الحرف الأول مفتوحاً ، نحو "فَخِذ" تصير "فَخْذ" ؛ وذلك لأنهم يستثقلون الكسرة والضمة، فيتخلصون منهما بحذفهما ، يقول سيبويه تحت عنوان هذا باب ما يسكن استخفافاً ، وهو في الأصل متحرك : "وذلك قولك : في فَخِذ : فَخْذ ، وفي كَبِد كَبْد ، وفي عَضُد عَضْد، وفي الرَّجُل: رَجْل ، وفي كَرُم : كَرْم ، وفي عَلِم : عَلْم ، وهي لغة بكر بن وائل ، وأناس كثير من بني تميم."[٨٢] ثمّ يُعلّق سيبويه على ذلك فيقول : "وإنّما حملهم على هذا أنهم كرهوا أن يرفعوا ألسنتهم عن المفتوح إلى المكسور ، والمفتوح أخفّ عليهم ، فكرهوا أن ينتقلوا من الأخفّ إلى الأثقل."[٨٣]

وممّا يؤكد اطراد نظرية السهولة والتيسير أن القراءات القرآنية جاء فيها تسكين المتحرك، فقرأ نافع وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم وحمزة وغيرهم "ولا تتبعوا خُطْوات الشيطان"[٨٤] بضم الخاء وسكون الطاء .

كما نجد أن لهجة تميم تميل إلى تسكين عين الكلمة إذا كان من حروف الحلق ، بينما أهل الحجاز يميلون إلى فتح حروف الحلق ، والتسكين أخفُّ من الفتح ، كما أن الفتح أخفُّ من الكسر والضم ، وهذا إنْ دلّ على شيء فإنما يدل على أن اللغة تميل إلى السهولة في النطق، واقتصاد المجهود العضلي ، "وأمّا أهل الحجاز فنظروا إلى أنّ حقّ حروف الحلق إمّا فتحها أو

---

(٨٠) انظر: أنيس، في اللهجات، ص ٦٥؛ عبد التواب، بحوث ومقالات، ص ٥٩ – ٦٦ .

(٨١) أنيس، في اللهجات، ص ٦٧ .

(٨٢) انظر: سيبويه، الكتاب، ج٤، ص ١١٣ – ١١٤ .

(٨٣) انظر : سيبويه، الكتاب، ج٤، ص ١١٥ .

(٨٤) سورة البقرة ١٦٨/٢ .وانظر: أبو حيان، البحر، ج١، ص ٤٧٩؛ ابن مجاهد، السبعة في القراءات، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ١٤٠٠هـ، ص ١٧٤ ؛ الخطيب، معجم القراءات، ج١، ص ٢٣٠ .

فتح ما قبلها : هبْ أنّه تعذر فتحها لما ذكرنا من العلة، فلِمَ غُيِّر ما قبلها عن الفتح ، وهو حقُّها إلى الكسر ؟ وهل هذا إلا عكس ما ينبغي ؟ واللغتان اللتان يشترك فيهما الحلقي وغيره : أولاهما : فَعْل ، بفتح الفاء وسكون العين، نحو : شَهْد ، في الفعل ، وفَخْذ ، في الاسم ، وفي غير الحلقي ، علْم ، في الفعل ، وكَبْد ، في الاسم ، وإنّما سكّنوا العين كراهة الانتقال من الأخفّ؛ أي الفتح ، إلى الأثقل منه ، أي الكسر ، في البناء المبنى على الخفة ، أي بناء الثلاثي المجرد ، فسكّنوه ؛ لأنّ السكون أخفُّ من الفتح ، فيكون الانتقال من الفتح إلى أخفّ منه .»[85]

ومن أمثلة السهولة والتيسير في اللغة نجد أن الكلمة إذا انتهت بمقطع قصير مفتوح (صامت + حركة قصيرة) فإنها تبتعد عنه بإغلاقه عن طريق امتداد النفس بتاء التأنيث ، نحو : فاطمة ، فإنها تُنطق في الوقف "فاطمه" بهاء السكت ، وكذلك عند الوقف على الفعل المعتل الآخر بالواو أو الياء ، فبعد حذف حرف العلة يحدث تقصير للحركة ، فتنتهي الكلمة بمقطع قصير مفتوح ، "واللغة تكره هذا المقطع في أواخر الكلمات ، فيمتد النفس بهاء السكت»[86] ، يقول سيبويه تحت عنوان : هذا باب ما تلحقه الهاء في الوقف لتحرك آخر الحرف : "وذلك قولك في بنات الياء والواو فيهن لام في حال الجزم : ارمِهْ ، ولم يغزُهْ ، واخشَهْ ، ولم يقضِهْ ، ولم يرضَهْ ، وذلك لأنهم كرهوا إذهاب اللامات والإسكان جميعاً ، فلمّا كان ذلك إخلالا بالحرف كرهوا أن يُسكنوا المتحرك .»[87]

وكذلك من مظاهر السهولة والتيسير في اللغة ما ذكره سيبويه في باب "ما حَذْف الياء والواو فيه القياس" كراهية حذف الياء في كلمة "طويلة" عند النسب إليها ، فيكتفي بحذف التاء ، فتصير "طويلي" ، يقصد سيبويه بالكراهة هنا المنع وعدم الجواز، ثمّ يعلل سبب الكراهة بأن يونس بن حبيب قال : إنّ العرب تكره تحريك الواو قبل أن تتحول إلى ألف في "طال" كانت ساكنة ، فذكر أن هذا يكره ، كما يكره حذف الياء في كلمة "شديدة" بسبب استثقالهم تضعيف حرف الدال ، يقول سيبويه موجهاً سؤاله إلى يونس : "قلتُ : فكيف تقول في "بني طويلة" ؟

---

[85] الاستراباذي، شرح الشافية، ج١، ص ٤١ – ٤٢ .

[86] عبد التواب، المدخل، ص ٢٥٧ .

[87] انظر : سيبويه،الكتاب، ج٤، ص ١٥٩ .

فقال: لا أحذف ، لكراهيتهم تحريك هذه الواو في "فَعَل" ، ألا ترى أنّ "فَعَل" من هـذا البـاب ، العين فيه ساكنة ، والألف مُبْدَلة ، فيُكره هذا ، كما يُكره التضعيف ."[88]

وفي تفسير سيبويه لعدم حذف الياء في كلمة ".. طويلة " غموض ، لأنّ المراحل التي مرَّ بها الفعل الأجوف والناقص واللفيف لم تكن مكتملة لديه ، وذكرت آنفاً أن هناك أربع مراحل في اللغة العربية وأخواتها اللغات السامية ، وأن سبب الكراهة يعود إلى رفضهم العودة إلى مرحلة فرّت منها اللغة ، فأولى هذه المراحل "طوَل" بتحريك عين الفعل ، والثانية تسكين الـواو فـي "طوْل" ، والثالثة : إمالة الواو فيها ، والرابعة : التحول من الإمالة إلى الفتح الخالص ، فتصبح "طال"[89] . ومن ثمّ نلحظ أن سبب المنع والكراهة عند يونس وسيبويه هو كراهية الرجوع إلى المرحلة الأولى والثانية ، وواضح أن هذه الحالة التي اعترض عليها يـونس وسـيبويه تمثـل مرحلة من مراحل تطور الفعل المعتل ، فالمرحلة لم تندثر نهائياً ؛ ولكن بقي منها أمثلـة، ولأن النحاة القدامى لم يصلوا إلى درجة مقارنة العربية باللغات السامية ، فحدث هذا القياس النحوي.

---

(88): سيبويه، الكتاب، ج3، ص 339 .

(89) انظر: عبد التواب، بحوث ومقالات، ص 59 – 64 .

الخاتمة

أهـــم النتائـــج

١- اللغة العربية الفصحى تكره أحياناً الانتقال من صوت مهموس إلى صـــوت مجهـــور، والعكس ، لذا تقرب بين الأصوات للتجانس الصوتي ، والاقتصاد في المجهود العضلي فـــي النطق .

٢- التأثر المقبل "التقدمي" حَسَن عند الناطقين باللغة الفصحى ، حيث لم يصفوه بالكراهة .

٣- قد يقصد بالقبح "الكراهة" الصفة اللهجية لقبيلة ما ، نحو الكسكسة والكشكـــشة . التـــي تنسب إلى ربيعة وبكر وغيرهما .

٤- الكراهة قد تعني أحياناً الثقل في النطق على اللسان ، فاللغة الفصحى تكره الضمة بعـــد الكسرة ، وتكره ياء مضمومة قبلها كسرة ، وتكره الجمع بين ساكنين .

٥- اللغة تكره توالي صوتين متماثلين أو أكثر ، فتتخلص من ذلك بالمخالفة الصوتية ، عن طريق الإبدال ، أو الفصل ، أو الحذف .

٦- اللغة تكره الأصوات الثقيلة مثل الهمزة ، فتتخلص منه بالحذف ، أو القلب ، أو تجعلـــه بين بين . وهذا من منطلق السهولة في اللغة .

٧- لم يوفق العلماء العرب القدامى في وصف إمالة "باع" التي أصلها ياء بالكراهة، بـــسبب عدم مقارنتهم العربية باللغات السامية.

٨- اللغة تكره الانتقال من الأخفّ إلى الأثقل.

٩- اللغة تكره الوقوف على المقطع القصير المفتوح .

١٠- من أسباب الكراهة عند العلماء العرب القدامى اختلاف اللهجات العربية .

مراجع البحث

١. البهنساوي، حسام، القواعد التحويلية في ديوان حاتم، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٢.

٢. ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، راجعه على محمد الضباع-المكتبة التجارية-القاهرة، بدون تاريخ.

٣. ابن الشجري، الأمالي، تحقيق محمود الطناحي-مكتبة الخانجي-القاهرة، ١٩٩٢م.

٤. ابن جني الخصائص، تحقيق محمد على النجار، القاهرة، ١٩٥٦م.

٥. ابن جني، المنصف، تحقيق إبراهيم مصطفي وعبد الله أمين، القاهرة، بدون تاريخ.

٦. ابن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق مصطفي السقا وآخرين، القاهرة، بدون تاريخ.

٧. ابن عبد ربه، العقد الفريد، تحقيق أحمد أمين وآخرين- القاهرة، بدون تاريخ.

٨. ابن عقيل، شرح ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيّ الدين عبد الحميد-مكتبة دار التراث-القاهرة، ١٩٩٨م.

٩. ابن مجاهد، السبعة ، تحقيق شوقي ضيف-دار المعارف-القاهرة، ١٤٠٠هـ.

١٠. ابن يعيش، موفق الدين النحوي، شرح المفصل-مكتبة المتنبي-القاهرة، بدون تاريخ.

١١. أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط -مطبعة السعادة-القاهرة، بدون تاريخ.

١٢. الأزدي، ابن دريد، جمهرة اللغة، تحقيق كرنكو-حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٥١هـ.

١٣. الأستراباذي، رضى الدين، شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد وآخرين-دار الكتب العلمية-بيروت، ١٩٨٢م.

١٤. أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، للدكتور -مكتبة الأنجلو المصرية-القاهرة، ١٩٩٥م.

١٥. أنيس، إبراهيم، في اللهجات العربية -مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، بدون تاريخ.

١٦. أيوب، عبد الرحمن، أصوات اللغة، للدكتور -مكتبة الشباب-القاهرة، بدون تاريخ.

١٧. بروكلمان، كارل، فقه اللغات السامية، ، ترجمة رمضان عبد التواب-الرياض، ١٩٧٧.

١٨. حسان، تمام، مناهج البحث في اللغة-مكتبة الأنجلو المصرية-القاهرة، ١٩٩٠م.

١٩. الخطيب، عبد اللطيف، معجم القراءات-دار سعد الدين-دمشق، ٢٠٠٢م.

٢٠. الدمياطي ، البناء، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشرة، ، صححه وعلق عليه علي محمد الصباغ-القاهرة-بدون تاريخ.

٢١. الراجحي، عبده، اللهجات العربية في القراءات القرآنية -مكتبة المعارف-الرياض، ١٩٩٩م.

٢٢. الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ، تحقيق عبد الجليل شلبي-عالم الكتاب-بيروت، ١٩٨٨م.

٢٣. الزمخشري، المفصل في صنعة الإعراب-دار الجيل-القاهرة، بدون تاريخ.

٢٤. سيبويه، أبو عثمان عمرو، الكتاب، تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون-مكتبة الخانجي-القاهرة، ١٩٩٢.

٢٥. السيوطي، جلال الدين، الأشباه والنظائر في النحو، ، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.

٢٦. السيوطي، جلال الدين، المزهر في علوم اللغة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرين، القاهرة، بدون تاريخ.

٢٧. شاهين، عبد الصبور، أبو عمرو بن العلاء، أثر القراءات في الأصوات والنحو-مكتبة الخانجي-القاهرة، ١٩٧٨م.

٢٨. عبد التواب، رمضان، التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه -مكتبة الخانجي-القاهرة، ١٩٩٠.

٢٩. عبد التواب، رمضان، المدخل إلى علم اللغة -مكتبة الخانجي-القاهرة، ١٩٩٦م.

٣٠. عبد التواب، رمضان، بحوث ومقالات في اللغة -مكتبة الخانجي-القاهرة، ١٩٩٥م.

٣١. الفراء، معاني القرآن، تحقيق عبد الفتاح شلبي، وعلى النجدي-دار السرور-بيـــروت، بدون تاريخ.

٣٢. مصلوح، سعد ، مقدمة كتاب معجم القراءات للخطيب، دار ســعد الـــدين، دمـــشق، ٢٠٠٢.

٣٣. مصلوح، سعد،دراسة السمع والكلام ، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٠.

فهرس المحتويات